

خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ وَالْإِعْتِيَادِ

أَلْقَيْتُ
عَلَى مَنبَرِ خَيْرِ الْعَبَّاسِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَعَدَّهَا وَأَلْقَاهَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زُرَّاحِمٍ
الإمام والمخطيب بالمسجد النبوي الشريف
ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة
(سابقاً)

المجلد السادس

مكتبة العلوم والحكم
المدينة المنورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خَطَبُ الْجَمْعِ وَالْأَعْيَانِ
الْقَيْتِ
عَلَى مَنْبَرِ خَيْرِ الْعَبَادِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فأقدم لك أخي القارئ المجلد السادس من الخطب التي ألقيتها
على منبر رسول الله ﷺ ويشتمل على تسعة وأربعين خطبة في
مواضيع مختلفة وعدد من المحاضرات والمقالات وأجوبة على
أسئلة عرضت عليّ .

أسأل الله أن ينفع بها من قرأها وسمعها وصلى الله وسلم
على نبينا محمد .

المؤلف

عبدالله بن محمد بن زاحم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(التعريف بالمؤلف)

التعريف بسماحة الأخ العزيز الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وخطيب المسجد النبوي وفقه الله تعالى للخير والتي أخذتها من مصادر قريبة منه وهي موثقة ومدللة إن شاء الله تعالى والذي جمع وألف رسالة قيمة بعنوان « فضل العلم والقضاء » والتي شرفني بتخريج آياتها القرآنية والأحاديث النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والأقوال السلفية من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فأقول وبالله التوفيق والسداد والإعانة .

أما نسبه :

فهو عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن زاحم بن محمد بن حسن بن سلطا بن زاحم ، من آل فضل المرازيق البقوم من الأزد . محمد بن حسن ، ولد له ابنان ، أحدهما زاحم ، وهو جد آل زاحم ، والثاني عوجان وهو جد آل عوجان ومنهم الشيخ الجليل محمد بن عبد الله عوجان المعروف في

بلدة الزبير ، وتفرّع عن عوجان ، غدِير ، جد آل غدِير ، وفايز جد آل سويد ، وآل علي (١) .

والأزد م ذرية سبأ كما رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى بإسناده عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - وكذا الطبراني في الكبير وفي إسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف وله شواهد يقوى بعضها بعضاً ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره (٢) والهيثمي في مجمع الزوائد لفظ الحديث : أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن سبأ ما هو؟ أ رجل أم امرأة ، أم أرض ؟ قال - ﷺ - بل هو رجل ولد عشرة ، فسكن اليمن ، منهم ستة ، وسكن الشام منهم أربعة ، فأما اليمانيون فمذبح ، وكندة ، والأزد ، والأشعريون ، وأنبار وحمير ، هذا نص ابن كثير ، وأما الشامية ففلخم - وجذام وعامله ، وغسان (٣) .

(١) تاريخ علماء نجد للشيخ عبد الله البسام : ٢ / ٥٨٨ و ٣ / ٨٧٨ و ٨٩٩ .

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى : ٥ / ٥٣٩ وقال في إسناده ابن لهيعة وفيه ضعف ثم ورد له شاهد آخر وهو قوي الإسناد ، وهو من حديث فروة بن مسبك - رضي الله عنه - ثم قال : وإسناده حسن .

(٣) مجمع الزوائد للإمام أبي بكر الهيثمي ٧ / ٩٤ هكذا قال . ثم قال : وعن يزيد بن حصين السلمي - رضي الله عنه - ثم ذكر نحو هذا اللفظ ثم قال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن الحسن بن صالح الصائغ ولم أعرفه أورد له الإمام ابن كثير في تفسيره شواهد كثيرة وقد ثبت هذا المعنى . . إن شاء الله تعالى - وقد ذكره القرطبي في تفسيره .

وكان الأزدي يسكنون مأرب ، الواقع شمال صنعاء بمسافة مائتي كيلو فلما ضرب سد مأرب وحصل سيل العرم المذكور في سورة سبأ ، تفرقت القبائل ، فنزل عشيرة بن الأزدي واد اسمها باقم يقع بين نجران صعدة ، فقبل سموها باسمه : البقوم ثم انتقل البقوم من ذلك الوادي ، ونزلوا وادي تربة الواقع في حدود نجد بما يلي جبال السراة جهة رنية ، وتفرع عنهم بطنان كبيران هما : آل محمد ، وآل زرع ، وتحت كل منهما أفخاذ ، وعشائر كثيرة (١) ، ثم نزح زاحم الأول من تربة إلى القصب من مدة تزيد على سبعة قرون ، لأن الدرجة الثالثة عشرة من ذريته أعمارهم الآن ما بين الخمسين إلى الستين (٢) ، فإذا أعطينا كل جد ستين سنة فنضربه في ثلاثة عشر $٦٠ / ١٣ =$ فسيكون ٧٨٠ سبعمائة وثمانين سنة وكان آل زاحم يتداولون أمانة القصب (٣) حتى غلبهم عليها السيايرة ، ثم استعادوها .

(١) تاريخ علماء نجد : ٥٨٨ / ٢ و ٨٧٨ / ٣ ، ٨٩٩ .

(٢) وقد ورد الحديث بهذا المعنى وفيه : (أعمار في ما بين الستين إلى السبعين) .

الترمذي برقم ٢٣٣١ الزهد وقال الترمذي : حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قلت : نعم أخرجه ابن ماجه في السنن برقم ٤٢٣٦ وإسناده لذاته وهو من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً بهذا اللفظ والترمذي برقم ١٥٥٠ أيضاً .

(٣) تاريخ علماء نجد : ٥٩٩ / ٣ .

موقع بلدة القصب :

وبلدة القصب من بلدان الوشم في قلب نجد ، تبعد عن شقراء شرقاً حوالي ثلاثة كيلو شرق النفود ، وتقع شمال الرياض بمسافة مائة وستين كيلو تقريباً .

ماذا تنتج القصب ؟ :

والقصب مشهورة بإنتاج الملح المائي ، ومن آثارها القديمة الزاهرية ، والدبكية ، الرقبيية ، والسياري ، وصيران ، حميدان الشويعر .

مولده :

ولد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن زاحم في بلدة القصب عام ١٣٥٠ هـ وهو من الدرجة الثالثة عشر بالنسبة للجد الأول زاحم ، وكان أبوه الشيخ محمد بن عبد الوهاب حافظاً للقرآن الكريم ، وإماماً لمسجد في البلدة ، فتوسم في ابنه عبد الله خيراً ، لحرصه على الطلب والتحصيل وجدّ في تعليمه ، فأدخله في الكتاب عند الشيخ عبد العزيز بن محمد المحارب ، ثم عند المقرئ ، الشيخ عبد العزيز بن عوجان ، وحفظه أبوه القرآن الكريم من قصار المفصل ، حتى وصل إلى سورة طه ثم ثم توفي والده محمد بن عبد الوهاب عام ١٣٦٢ هـ فأكمل الشيخ عبد الله حفظ القرآن الكريم فيما بعد .

نزوحه عن القصب :

لما توفي والده الشيخ محمد بن الوهاب - رحمه الله تعالى -
رحل الشيخ عبد الله إلى عمه في الرياض ، ليزداد علماً ، ومعرفته ،
وكان عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -
رئيساً لمحكمة الرياض ويساعده الشيخ محمد الخيال - رحمه الله -
ثم جاء الإمام الجليل الشيخ عبد العزيز بن صالح - رحمه الله - إليها
فيما بعد .

وفي عام ١٣٦٣هـ أمر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل
سعود - رحمه الله تعالى - على الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن
زاحم بتولي رئاسة محكمة المدينة المنورة والدوائر الشرعية بها ،
فتوجه الشيخ الكبير عبد الله بن عبد الوهاب من الرياض إلى المدينة
المنورة ، عن طريق مكة المكرمة في شهر شوال عام ١٣٦٣هـ
ومساعده الشيخ محمد الخيال والشيخ عبد العزيز بن صالح ،
والسكرتير الخاص به الشيخ عبد الرحمن الحصين ، وأبناء أخيه
عبد الوهاب وعبد العزيز وعبد الله والحاشية وبعد انتهاء مناسك
الحج توجهوا إلى المدينة المنورة فوصلوها في أول شهر محرم الحرم
في بداية عام ١٣٦٤هـ والتحق الشيخ عبد الله صاحب الترجمة
بالمدرسة المحمدية الابتدائية التي كانت عند باب المجيدي ، وكانت
دروسها قوية ، وكان يديرها الشيخ عبد الكريم السناري - رحمه الله
تعالى - ومساعده عبيد ترجمان خازمان ، وكانت لهما هيبة ووقار

ونظراً للظروف المالية ترك الشيخ عبد الله صاحب الترجمة المدرسة ، والتحق بالوظيفة وصار يدرس دراسة جدية عند المشائخ منهم عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رحمه الله والشيخ محمد الخيال رحمه الله تعالى في البيت وعند الشيخ عبد العزيز بن صالح - رحمه الله - بعد الفجر في المسجد النبوي الشريف ، وعند الشيخ عبد الرحمن الإفريقي في المسجد النبوي الشريف وفي مدرسة دار الحديث . ولما وصل العالم الجليل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المدينة النبوية الشريفة من بلاده توسط له رئيس المحكمة والدوائر الشرعية بالمدينة الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رحمه الله تعالى لدى المسؤولين في الدولة وفقهم الله تعالى بمنحه الإقامة فأعطى وسمح له بالتدريس في المسجد النبوي الشريف فأخذ عنه صاحب الترجمة في تفسير القرآن الكريم وعلومه ومن قال غير ذلك فقد وهم وأخطأ الذي توسط للشيخ محمد الأمين هو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ثم رغب الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم صاحب هذه الترجمة في المزيد من العلم والثقافة ، فأراد الالتحاق بدار التوحيد في الطائف ، إلا أنه لما سمع بأن معهداً علمياً سيفتح في الرياض عام ١٣٧٠ هـ برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وإدارة أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رحمه الله ، وإن الشيخين الشيخ عبد الرحمن الإفريقي والشيخ محمد الأمين الشنقيطي سيد رسان

فيه انتظره وفي عام ١٣٧١هـ توجه للرياض للدراسة واستقال من الوظيفة ، وأحسن بمس الغربية والوحدة إلا أنه صبر وثابر واحتسب فأعانه الله تعالى ويسر أمره . ثم عين الشيخ عبد الله بن زاحم صاحب الترجمة إماماً لمسجد الإمام عبد الرحمن الفيصل المعروف بمسجد الحسي الواقع في البطحاء بجوار البنك الأهلي بتاريخ ٨ / ١١ / ١٣٧٦هـ وكان المسجد يحتاج إلى درج ومحل للماء فراجع المسئولين فأصلحت .

العلماء الذين استفاد منهم :

ومن العلماء الأجلاء الذين درس عليهم في المعاهد والكليات واستفاد منهم :

١ - سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

٢ - الشيخ عبد الرزاق العفيفي .

٣ - الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

٤ - الشيخ عبد الرحمن الإفريقي .

٥ - الشيخ محمد المختار الشنقيطي .

٦ - الشيخ حمد الجاسر أطل الله في حياته .

٧ - الشيخ عبد العزيز ابن رشيد .

٨ - الشيخ عبد الرحمن بن عدوان .

٩ - الشيخ عبد اللطيف سرحان ، وغيرهم .

ثم تخرج الشيخ عبد الله صاحب الترجمة من كلية الشريعة ونال الشهادة العالية عام ١٣٧٨ هـ وسجلت برقم ٥١ ، وكان يقضي العطلة الصيفية في المدينة المنورة ، ويتزود من علمائها وبعد التخرج طلبه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأصر على تعيينه مساعداً لرئيس محكمة حائل فاعتذر وبقي شهران في الرياض وهو يعتذر ، فلم يقبل منه وبتاريخ ١١ / ٤ / ١٣٧٩ هـ عين الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم صاحب الترجمة مساعداً لرئيس محكمة حائل بالقرار رقم ١٢٥ وكان رئيسها الشيخ عبد الله بن صالح الخليلي ، فلما انحرفت صحة الشيخ الخليلي وأحيل للتقاعد رحمه الله عين الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيساً للمحكمة بالقرار رقم ١٣٧ في ٤ / ٤ / ١٨٠ هـ فعمل على رفع مستوى المحكمة فطالب لها بمحكمة مستعجلة ، وكتابة عدل ، ومدير بيت المال ، وزيادة قضاة وكتبة ومستخدمين ، واقترح فتح ثلاث عشرة محكمة في الملحقات لبعدها عن حائل وفتح بعضها وهو في حائل .

وكان الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم يقضي إجازته في المدينة المنورة عند إخوانه ، وأسرته ويحن إلى الرجوع إليها لمحبتة المثالية الشديدة ، ورغبته الأكيدة للمدينة النبوية الشريفة ولسكانها والمكث فيها إلى أن ينتقل إلى جوار ربه جل وعلا لحديث عائشة رضي الله عنها ، الذي أخرجه الشيخان في صحيحهما وغيره من أهل السنن والمسانيد برقم ١٨٨٩ فضائل المدينة بسياق طويل وفيه

وقال رسول الله ﷺ اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد
وبارك لنا في صاعنا وفي مدنا الحديث - ونحوه مسلم في الصحيح
في كتاب الحج حديث رقم ٤٨٠ وفيه زيادة اللهم حبب إلينا المدينة
وصححها ومن هذا قد تحققت أمنيته الغالية فيما أحب .

وفي عام ١٣٩٠ هـ عاد إلى المدينة المنورة ، وعمل في
محكمتها ، وكان رئيس محاكم المدينة المنورة سماحة الشيخ عبد
العزيز بن صالح ، ومساعدته الشيخ عبد المجيد بن حسن الجبرتي ،
فلما رفع الشيخ عبد المجيد إلى قاضي تمييز في مجلس القضاء
باليضا عىن الشيخ عبد الله صاحب هذه الترجمة مساعدا لرئيس
محكمة المدينة حسب الأمر رقم ٥٦ في ١٣٩١ / ١ / ٢ هـ .

ورشحه سماحة الشيخ عبد العزيز بن صالح إماماً وخطيباً
بالمسجد النبوي الشريف مساعداً له فوافق الملك فيصل رحمه الله
تعالى كما عين عضواً في مجلس الأشراف على التدريس في
المسجد النبوي الشريف بالأمر الملكي رقم ٢٩٧٧٤ / ٢ / م في
٢٦ / ١٢ / ١٣٩٣ هـ ثم عينه الرئيس العام لشئون المسجد
الحرام والمسجد النبوي الشريف الشيخ ناصر الحمد الراشد إماماً
وخطيباً للمسجد النبوي بالقرار رقم ٣٨٤ في ١ / ١٠ / ١٣٩٨ هـ ثم
عينه مجلس القضاء الأعلى قاضي تمييز بتاريخ ١٢ / ١٢ / ١٣٩٧ هـ
ولا يزال حتى الآن على هذه الوظيفة وبتاريخ ١ / ٧ / ١٤٠١ هـ
أجريت معادلة قضاة التمييز بالمرتبة الممتازة .

خدمات الشيخ عبد الله بن زاحم :

وإذا نظرنا إلى خدمات الشيخ عبد الله بن زاحم صاحب الترجمة فإنه وفقه الله تعالى ابتداء عمله الإداري بتاريخ ١٧ / ١ / ١٣٦٤ هـ والأمر باعتبار الخدمة ١٨ سنة صدر بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٣٦٤ هـ فالفرق شهران فلا يشمله الأمر وأفاد مكتب الديوان بالمدينة برقم ٤٥٢١ في ٢٥ / ٥ / ١٤١١ هـ بأن الخدمة التي قبل ١٦ / ٣ / ١٣٦٤ هـ معتبرة لو كان السن أقل من ١٨ سنة فالخدمة الإدارية من ١٧ / ١ / ١٣٦٤ هـ حتى ٩ / ٣ / ١٣٧١ هـ حتى هذا التاريخ ١٠ / ١٢ / ١٤١٤ هـ خمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر والجميع أثنان وأربعون سنة وتسعة أشهر وخدمته في الإمامة في الرياض ٨ / ١١ / ١٣٧٦ هـ حتى ١٩ / ٤ / ١٣٧٩ هـ سنتان وستة أشهر وفي المدينة من ١ / ١ / ١٣٩١ هـ حتى تاريخه هذا ١٠ / ١٢ / ١٤١٤ هـ (١) أربعة وعشرون سنة إلا أيام . الجميع ست

(١) هذا التاريخ هو تاريخ كتابة الترجمة لكن الشيخ عبد الله حفظه الله استمر في القضاء بمرتبة قاضي تمييز وعين رئيساً لمحاكم منطقة المدينة المنورة بالأمر السامي الملكي رقم ٧ / ب / ٧٥٧٣ وتاريخ ٣٠ / ٥ / ١٤١٦ هـ وفي عام ١٤١٧ هـ قدم الشيخ استقالته من رئاسة محاكم منطقة المدينة المنورة فأتت من المقام السامي بالموافقة اعتباراً من ١١ / ١٠ / ١٤١٧ هـ وبقي الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم أمد الله في عمره مستمراً في الإمامة والخطابة في مسجد رسول الله - ﷺ - ومتفرغاً للعبادة والمطالعة والتأليف حتى شعر بشيء من الإرهاق الصحي فقدم استقالته من الإمامة والخطابة وفي / / ١٤١٨ هـ أتت الموافقة على الاستقالة من الإمامة والخطابة في المسجد النبوي الشريف =

وعشرون سنة ونصف .

وهذه المعلومات أخذتها من ملف خدمات المترجم له ومن شجرة نسبه ومن معلوماتي والمراجع الأخرى ، وهي موثقة إن شاد الله .

مشائخه : الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم . الشيخ محمد الخيال . الشيخ عبد العزيز بن صالح . الشيخ عبد الرحمن الإفريقي . الشيخ محمد الأمين الشنقيطي . وفي الرياض سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز . الشيخ عبد الرزاق العففي . الشيخ عبد الله بن ناصر بن رشيد . الشيخ عبد الرحمن بن عودان . الشيخ حمد الجاسر . الشيخ محمد المختار الشنقيطي . الشيخ عبد اللطيف سرحان (١) .

مؤلفات الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم وفقه الله تعالى للجد أمين :

١ - مجموعة خطب قيمة نافعة جداً أعدها وألقاها على منبر

=من رئاسة شئون المسجدين المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف فغد الشيخ أمد الله في عمره متفرغاً للتأليف والعبادة جعل الله عمره مديداً في طاعته مع التمتع بتمام الصحة والعافية وجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين كل خير وحفظه ورعاه أ.هـ . (صلاح محمد كرنه - الدمشقي) .

(١) وهناك مدرسون في المعاهد والكلديات أخذ عنهم سنين وهم كثيرون كما أخذ عن الشيخ محمد ثاني علم الرياضيات (أ.هـ / صلاح محمد كرنه : نقلاً عن الشيخ عبد الله) .

المسجد النبوي الشريف منذ قدومه المدينة وقد وقعت في خمسة مجلدات كبار (١) وقد طبع منها المجلد الأول قسم الإيمان والثاني في التفسير والباقي تحت الطبع وسوف تطبع قريباً تباعاً إن شاء الله تعالى فيما بعد .

٢ - موجز الكلام في فضل المدينة وملخص توسعة المسجد النبوي الشريف وهي رسالة صغيرة طبعت عدة طبعات .

٣ - كتاب فضل العلم والقضاء وهذه هي الرسالة التي رقت آياتها القرآنية وخرجت أحاديثها النبوية والآثار السلفية تحت الطبع الآن (٢) .

٤ - تراجم قضاة المدينة النبوية الشريفة من عام ١٩٦٤ هـ حتى سنة ١٤١٧ هـ وهو تحت الجمع والتحرير (٣) .

اهتمامات الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم :

أما اهتماماته ورغبته بالمطالعة ، والتأليف فقد عرفته حريصاً

(١) بل ستة مجلدات وهذا هو المجلد السادس منها تم طبعها جميعاً والحمد لله رب العالمين .

(٢) تم طبعه والحمد لله .

(٣) طبع والحمد لله رب العالمين ، وقد تم طبع رسالة في أحكام الخمر والزنا وثانية بعنوان

أيام في لندن ورسالة في التوحيد عقيدة أهل السنة والجماعة . والله الموفق والهادي إلى

سواء السبيل أ. هـ صلاح محمد كرنه .

أشد الحرص على مطالعة الكتب القيمة النافعة ، والاستفادة منها على الدوام من كتب الحديث والتفسير والفقه وأصولها كما شاهدت عند تحضيره وإعداده خطب الجمع والأعياد والاستسقاء والخسوف والكسوف واستدلالة واستشهاده واقتباسه من تلك الأدلة التي استدل بها علي الأحكام الشرعية والآداب المرغوبة والأخلاق النبيلة والعقائد الإسلامية الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة وهي كثيرة جداً كما نشاهد ذلك عند تخريجي لخطبه القيمة التي نُشر منها المجلد الأول الذي يتعلق بالإيمان والباقي تحت الطبع ومن هنا أدركت تماماً أنه وفقه الله كثير المطالعة والدراسة ولقد شاهدت مكتبته القيمة النافعة التي جمعت التراث الإسلامي الخالد العظيم وهي تقع في غرفتين كبيرتين زيادة على ما عنده في مجالسه العامة والخاصة من كتب كثيرة متنوعة ولقد أكثر النقل عن تفسير الإمام ابن كثير والقرطبي وابن الجوزي وغيرهم من أئمة التفسير وكذا (الحديث النبوي الشريف فقد أكثر النقل عن أصحاب الكتب الستة مع شروحاتها وعلى رأسها فتح الباري ونيل الأوطار وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم هكذا وتجده ينقل كلام الأئمة الفقهاء الكبار كالإمام ابن قدامة المقدس الحنبلي صاحب المغني وسائر كتبه فقد أكثر النقل عن المغني فيما يتعلق بالمسائل الفقهية ثم

(١) قد تم طبعها جميعاً كما أشرت إلى ذلك سابقاً . أهـ صلاح كرنبه .

يذهب إلي جميع كتب الفقه إذا كانت المسئلة خلافة بين الفقهاء ثم يقارن بينها عن طريق الدليل الصحيح ثم يأخذ الصحيح مع الترجيح في ضوء الدليل مع ترجمه ودعائه لجميع الفقهاء المعروفين بالصلاح والرشاد من السلف والخلف . الذين كانوا على عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

أما نقله للفتاوى إذا كانت القضية أو المسئلة تتعلق بالفتوى فإنه يكثر النقل من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمه رحمه الله تعالى من القدماء ثم يثنىها من فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى وهكذا دأبه وشأنه دائماً وأبداً وفقه الله تعالى للخير .

أسلوب القضاء عند صاحب الترجمة :

فإنه وفقه الله تعالى كما عرفت وتأكدت يحتاط في القضايا ويترث فيها كثيراً ويضبطها تمام الضبط صغيرة كانت أو كبيرة وقد كانت عنده قضيتي في السنوات الأخيرة مع رجل طبع كتابي ثم ادعى عليّ بأنني أجزت لواحد من الناشرين قبل نفاذ الطبعة الأولى ولقد عرفت تماماً أن الشيخ المترجم له احتاط في هذه القضية وضبط إفادتي بالوفاء والتمام ثم حولها إلى وزارة الإعلام لكي تنظر فيها وقد سبق للإعلام النظر فيها وقد أنهاها في الرياض بعد ما ترددت

هذه القضية بين المدينة والرياض لأخذ إفادتي فيها لأن المدعي كان عمله في الرياض وكان مخطئاً فيها ثم ادعى عليّ مرة أخرى هنا بالمدينة ثم قدّمت الأوراق الرسمية إلى سماحة الشيخ بإنهاء القضية في الإعلام وكان المدعي في وقت من الأوقات مرتبط بسماحة الشيخ لأنه كان مدرساً بالمسجد النبوي الشريف وكان قريباً منه جداً ومع ذلك لم يبال به وحول الأوراق والدعوى إلى وزارة الإعلام بالرياض التي سبق لها النظر فيها ثم الحكم في القضية ومن هنا تعرفت تماماً أن لا ظلم ولا استبداد ولا محاباة عنده وفقه الله تعالى وسدد خطاه وهكذا نظام القضاء في الإسلام ثم بقي في القضاء إلى يومنا هذا خمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر وأن هذه المدة الطويلة في هذه المهنة الشريفة أكسبت الشيخ مهارة وخبرة كبيرة مع علمه وزهده وورعه زاده الله تعالى براً ووفيقاً وسداداً وخشية وخوفاً من ربه جل وعلا .

أما خطبه المنبرية : فإنه أعدها إعداداً جيداً بتلك الصور الرائعة التي تجدها في المطبوع ثم النظر في نصوصها الصحيحة المنقولة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وكلام السلف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان ثم إلقاؤها وإسماعها؛ كان أروع وأنفس ، سمعها العالم الإسلامي منذ أمد بعيد عن طريق

الإذاعة والبث التلفزيوني المباشر كما حصل لي الشرف بتخريجها وما فيها من العلم المنقول كتاباً وسنة وذلك في الجزء الأول المطبوع فقد تكلمت عنها وعن بعض ميزاتها وأساليبها الحكيمة والبليغة فلا بد من مراجعة ذلك من المطبوع الجزء الأول وسوف تجد هذه الميزات المميزة إن شاء الله تعالى وصلي الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

كتب ذلكم

العبد الفقير إلى الله تعالى

عبد القادر بن حبيب الله السندي

نزيل المدينة المنورة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة رقم (١)

تفسير يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم

الحمد لله رب العالمين . خلق فسوى وقدر فهدى ، وهو العلي العظيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . خلق الإنسان من طين وأسجد له ملائكته المكرمين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه ونصح لأمته فأقام الدليل وأوضح السبيل . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن الخالق تبارك وتعالى خاطب الإنسان وعاتبه على تقصيره في جانب ربه . خلقه فسواه وجعله في أحسن تقويم ورباه بالرعاية والعناية والحفظ وبالنعيم ومع هذا خالف أمره ونهيه وأنكر ما وصف الله به نفسه وجحد رسالاته وآذى رُسُلَه .

أسمعوا قوله سبحانه في سورة الانفطار في جزء عم .

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ إقرأوا السورة من أولها ﴿ إذا

السماء انفطرت ﴿ فإن أول السورة بمثابة المقدمة لهذه الآية لتهيئة السامع لتلقي الموعدة لأنها تكون أشدَّ تغلغلاً في القلب (١) .

فالقادر على شق السماء وعلى نشر الكواكب وعلى تفجير البحر وبعثرة القبور ، وعلى إحصاء ما عمله الإنسان في أول أمره وآخره من الأقوال والأفعال - جدير بأن يُرهَب وأن يُخاف من غضبه وانتقامه ، ولا يُغتر به . ولا يطاع إبليس في وسوسته .

إن خلق الإنسان على الصورة المعروفة الجميلة المعتدلة . كاملة الشكل والمنفعة . أمر يستحق التدبر والتأمل والشكر لله على نعمه والأدب مع الخالق سبحانه الذي أكرمه بهذه الخلقة فضلاً وإحساناً فالله سبحانه قادر على أن يُركِّب في أي صورة أخرى مشوهة ولكن الله بفضله وإحسانه على الإنسان اختار له هذه الصورة السوية تتوفر فيها عجائب الإبداع ، فهذه الأجهزة في الإنسان الجهاز العظمي والعضلي والجلدي والهضمي والدموي والتنفسي والتناسلي والفكري والعصبي وأجهزة الذوق والشم والسمع والبصر . وعدَّ أخى المسلم ما شاء الله أن تعدَّ من الأجهزة في جسم الإنسان كل جهاز عجيبة من العجائب يقف الإنسان مدهوشاً أمامها .

وإذا تأملنا واحدة من هذه العجائب وما ذكره الأطباء فيها :

(١) التحرير : ٣ / ١٧١ .

عرفنا قدرة الله ، عرفنا قدرة الخالق سبحانه وسعة علمه بما كان وبما لم يكن كيف يكون إذا كان فمن المستحيل أن يخترع الإنسان جهازاً يقوم مقام الصنع لاإلهي . فمثلاً اليد الإنسانية من المستحيل أن تُخترع آلة تضارعها من حيث البساطة والقدرة . وسرعة تنفيذ الإرادة مع الضبط والدقة ، والأذن عدة أجزاء فالأذن الوسطى يقول علماء الطب إنها سلسلة تتكوّن من أربعة آلاف قوس مدرجة بنظام دقيق جداً في الحجم والشكل تلتقط الأصوات على ما هي عليه فمن المستحيل أن يستطيع أحد من الناس أن يخترع أذناً تضاهي الأذن البشرية فسبحان اللطيف الخبير .

وحاسة الإبصار فيك أيها الإنسان المغرور بربه قال بعض علماء التشريح أنها تشتمل على مائة وخمسة وثلاثين مليون من مستقبلات الضوء وهي أطراف الأعصاب كما يقوله بعض أطباء العيون . وجعل الله الجفنين عند كل عين لحمايتها من الأذى فإذا أحس بشيء يدخل إلى العين يتحرك الجفن تلقائياً بدون اختيار والدموع التي تحيط بالعين - أقوى مطهر لها فسبحان العليم القدير .

والجهاز العصبي الذي يسيطر على الجسم يتكون من شعيرات لطيفة تمر في جميع أنحاء الجسم وتتصل بأعصاب أكبر منها . فإذا أحس الإنسان بشيء نقلت الشعيرات العصبية هذا الإحساس إلى المراكز وهي بدورها - تبلغه إلى المخ في سرعة لا يتصورها الإنسان والمخ يتصرف فيصدر أوامره إلى بقية الأعضاء فينتج الحك والنقل

إلى الطبيب مثلاً فالمدة التي بين اللسعة والحك باليد هي مدة التبليغ وإصدار الأوامر والإنسان لا يشعر . فسبحان اللطيف الخبير .
والغذاء الذي نأكله على أنه لذة نطرد به الجوع يدخل إلى المعدة أنواع من الطعام والماء كلها خامات ولا يخطر على البال ماذا تحول ولا إلى أين توجه فتحطم المعدة جميع ما أدخل فيها فتختار الأشياء ذات الفائدة وترسلها إلى أماكنها وتحول بقية الطعام إلى بروتينات غذاء لجميع خلايا الجسم وتحول الألياف إلى مسالكها فسبحان الخالق البارئ المصور .

وكل جهات أجهزة الإنسان يقال فيه الشيء الكثير ولكن الأجهزة التي أشرت إلى بعض ما قاله علماء الطب والتشريح لها مساس مباشر بحاجات الإنسان الضرورية وقد يشارك فيها الحيوان فيتميز الإنسان بخصائصه العقلية والروحية التي هي مناط الامتنان وهناك أمور من خصائص الإنسان لم يدركها العلم الحديث .
وهناك خصائص لن يدركها أبداً لأن الله يقول : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] مثل الروح والحياة والموت ، والخالق سبحانه تفضل على الإنسان وأولاده عنايته والإنسان غافل . نرجع إلى آية العتاب . ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ .

إنه عتاب شديد حين يدرك الإنسان حقيقة مصدره وحقيقة

وقوفه بين يدي ربه . ما هو الشيء الذي غرَّ الإنسان .

قال عمر بن الخطاب وابنه عبد الله غره الجهل . وقال قتادة ما غره غيرُ هذا العدو الشيطان . وقال الفضيل بن عياض لو قال لي ما غرك بي لقلت ستورة المرضاة . وقال أبو بكر الورَّاق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرمُ الكريم ولناخذ الآن في شرح ألفاظ آية العتاب .

النداء يا أيها : للتنبيه إلى أن الكلام الآتي بعد النداء له أهمية كبرى فيجب الإنصات لسماعه .

والتعريف في الإنسان تعريف الجنس إذ ليس المراد إنسان معين فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمراد بالعموم الذين أنكروا للبعث وقارفوا المعاصي ولفظة (ما) في قوله سبحانه (ما غرك) استفهامية عن الشيء الذي غره ، والغرور : الإطماع بما يتوهمه المغرور نافعاً وهو في الحقيقة ضار .

واختيار ذكر الرب عن بقية الصفات والأسماء المقدسة لأن الرب يدل على أن الخالق تبارك وتعالى خلق وأنعم وفي اسم الرب صفاتُ الإنشاء والملك والرفق والإنعام والرعاية - فالرب الذي هذه صفته حقيق بالشكر والطاعة لا بالعصيان وذكر صفة الكريم لتذكير الإنسان بنعم الله عليه وكرمه ، والخلق والإيجاد والعدم .

والتَّسْوِية جعلُ الشيء سويّاً قوياً سليماً .

والتعديل التناسب والتناسق بين أجزاء البدن . مثل تناسب
اليدين والرجلين والعينين وصورة الوجه فلا تفاوت بين متزاوجها
ولا بشاعة في مجموعها .

وقوله جلّ ذكره : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ أي في أي
شكل من الأشكال إرادة الله ركبك فالله قادر على أن يجعله في
صورة منكرة مثل بعض الحيوانات ولكن الله شاء للإنسان صورة
حسنة فضلاً منه وإحساناً ذكر ابن كثير عند قول سبحانه في أي
صورة ما شاء ركبك إن شاء جعله في صورة قرد ، وإن شاء في
صورة كلب . وإن شاء في صورة حمار ، أو خنزير وفي الصحيحين
عن أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله إن امرأتي في ولدت غلاماً
أسود - منكرأ هذا اللون الذي يخالف لونه وزوجه - فقال المعلم ﷺ
هل لك من إبل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر ، قال فهل فيها من
أورق قال نعم قال فأتى أتاها ذلك قال عسى أن يكون نزع عرق
قال وهذا عسى أن يكون نزع عرق (١) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ
بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣] .

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ
أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] .

(١) البخاري : ٧ / ٩٨ . ومسلم : ٤ / ٢١١ .

اللهم بارك في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر
الحكيم اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت
الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تنزهه عن الفحشاء ولا يقع في ملكه إلا ما يشاء .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

اللهم صل على وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن السعادة والنجاة في اتباع هدي نبينا محمد ﷺ والشقاوة والهلاك في اتباع الهوى ومخالفه هديه ﷺ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الحشر : ٧ .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١]

والأعياد المشروعة في دين الإسلام عيد الفطر وعيد الأضحى والجمعة عيد الأسبوع . وما عدا ذلك فهي أعياد لم يفعلها نبينا محمد ﷺ ولا القرون المفضلة وإنما دخلت على الأمة الإسلامية من طريق المستعمرين كفانا الله شرهم بما شاء . فما دخلوا بلداً إلا أفسدوا عقيدة أهله ، وما خرجوا من بلد حتى جعلوا فيه ركيزة لهم

ولا زال أعداء محمد ﷺ وأعداء ملته جادون في صرف الناس
عن دين الإسلام بكل قدراتهم وخبراتهم .

اللهم اكفنا شرهم ، وأبطل كيدهم ، وادحض مخططاتهم ،
ورد شرهم عليهم ، اللهم ألف بين قلوب عبادك المسلمين واجعلهم
يداً واحدة على من سواهم ، إنك على كل شيء قدير .

ثم اعلموا أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه : ﴿ إن
الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
وسلموا تسليماً ﴾ الأحزاب . . . الخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢)

الإيمان والأخوة

الحمد لله رب العالمين . اللهم لا نُحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (خلف فسوى
وقدر فهدى) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله كَوْن أمة مسلمة
مترابطة متعاونة . يشدُّ بعضها بعضا ويحمي بعضها بعضا .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى اله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد : فإن سعادة الفرد والجماعة تتحقق بأمرين :

أحدهما : الأيمان الصادق ، وهو صلة الإنسان بخالقه ،

والثاني : الأخوة في الله وهو صلة المخلوق بالمخلوق .

فالإيمان نور يعطه الله من يشاء ومن عباده يهتدي به في مسيرته

فيقول ويعمل لله ومن أجل الله ، فتكون تصرفاته مسددةً وأعماله -
موفقةً .

وأما الأخوة في الله فهي تربط بين القلوب وتجمع الأبدان . ،
فيحصل التعاطف والتكاتف .

فإذا اجتمع الأيمان والأخوة في الله صارت الأمة متماسكة -
متعاطفة قوية صلبة لها هيبة تخافها الأم لأنها متصلة بمصدر قوتها
الغالب القاهر متعاونة فيما بينها قادرة على تحمل مسؤولياتها
والمحافظة على حقوقها وعلى عزتها وكرامتها .

وتكون بذلك أمة مسلمة كما يريد ربها قادرة على تطهير
مجتمعها ونشر العدل بين الناس .

فالأيمان والأخوة هما قوة الأمة .

ومعلوم أن الأيمان قول واعتقاد وعمل علي وفق شريعة الله
تبارك وتعالى . ومعلوم أن الأخوة تعاطف وتعاون .

وهما متلازمان كما قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب
لأخيه ما يحب لنفسه » . رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي
الله عنه وكما قال ﷺ : « المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا
يخذله » رواه مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وكقوله ﷺ : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا »
أخرجه مسلم رحمه الله من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله
عنه . وقوله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم
كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد

بالسهر والحمى» رواه الشيخان من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

وبهذه المحاسن والفضائل كَوَّنَ النبي ﷺ أمة قوية متعاطفة متناصرة أحبت ربها وأحبها ربُّها تعمل لله وتترك لله فلم يستطع أحد أن يتخلل صفوفها ولا أن يشني قناتها ولا أن يقف أمامها . كانت مع الله فكان الله معها ، نصرت خالقها فنصرها خالقها ، والمسلمون في زمان ومكان إذا اقتدوا فازوا وظفروا .

فلما فتحت الدنيا على المسلمين تنافسوا فيها فتصدعت وحدتهم فوجد أعداؤهم من اليهود والنصار والمجوس فجوة دخلوا منها ، فركزوا على مصدر القوة . الأيمان بالله والأخوة في الله ، وألبسوا أناساً ثياب الإسلام وهم عملاء فصاروا يدسون على المسلمين في العقيدة ويسعون بالتفرقة ويلقون عليهم الشبه للتشكيك وبليلة الأفكار وزينوا الغلو في الصالحين . فعكفوا عند قبور الموتى يطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحوائج وكشف الكربات والعاقل إذا رجع إلى عقله عرف الحقيقة (مرضت امرأة وطال بها المرض وبذلت جميع ما تستطيع من العلاجات فلم يُقدِّر الله لها الشفاء فقال لها بعض أهلها إذا نذهب للرجل الصالح ، فذهبوا بها إلى قبر ولي من الأولياء فلما وصلت قالت أين الرجل الصالح قالوا صاحب هذا القبر فنظرت وفكرت وأراد الله بها خيراً ، فقالت لو كان ينفع شيئاً لنفع نفسه وأزال عنه هذا التراب

وسفَّهت أراءهم وانصرفت .

وما زال أعداء الإسلام ولن يزالوا يفسون الدسائس ويزينون للمسلمين . وقد يرغبون في عمل خير للصد عن عمل أهم وأنفع للإسلام والمسلمين . والله تعالى في شرعه وقدره حكم وأسرار لا يعلمها إلا الله .

وقد أدرك المسلمون واقعهم وأحسوا بما يحيط بهم وعرفوا ما يراد لهم . وحصلت الصحة الإسلامية في الأفراد . ولكن لا بد من الرجوع إلى تعاليم الإسلام . لا بد من العقيدة السليمة المستقيمة لا بد من الاقتداء بالنبي ﷺ في العبادات والعادات والتأخي والتعاون والبعد عن الخلاف والشقاق وتنظيم مناهج الدراسة على وفق نظام الإسلام . وإصلاح الإعلام الإسلامي ليكون إعلاماً إسلامياً .

إن الشعوب غير المسلمة قد أحست بضياع القيادة التي تحقق العدل وتضمن الأموال والأعراض والدماء ، وتنشر العدل ، وتحافظ على الأمن . كأنهم يلتسمون شيئاً فقدوه فهم يبحثون عنه إنه الإسلام دين الفطرة دين العدالة والسماحة .

واجب على المسلمين أن يكونوا مسلمين حقاً في عباداتهم ومعاملاتهم وسلوكهم وفي عاداتهم ، وأن يكونوا دعاة إسلام بالقول والعمل .

فاتقوا الله أيها المسلمون اتقوا الله يا زعماء المسلمين سيروا في حياتكم على منهج رسول الله ﷺ كونوا عباد الله إخواناً لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضاً كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه - كفى بالمرء إثماً أن يحقر أخاه المسلم .

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

اللهم اهدنا الصراط المستقيم وثبتنا عليه . اللهم أصلح شأن المسلمين اللهم ألف بين قلوبهم وأجمع كلمتهم ووحّد صفوفهم . اللهم احفظ الصحوة الإسلامية من كيد الأعداء . اللهم أحطها برعايتك وعنايتك وكللها بالتوفيق والسداد . واهد قادة المسلمين للعمل بكتابك واتباع سنة نبيك محمد ﷺ ، وأن يراقبوا الله . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وأنفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين لا يحمد أحد سواه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معبود بحق إلا الله وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى اللهم صلّ وسلم على البشير النذير نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن أمة الإسلام الآن أحوج ما يكون للتعاون والتكاتف والسير على منهاج القدوة الحسنة صلى الله عليه وسلم .

ما أحوج المسلمين إلى رأب الصدوع الماضية والحاضرة ما أحوج المسلمين إلى نبذ الشقاق والخلاف . والتسامح والأخوة في الله ، ما أحوج الصحوة الإسلامية إلى موجهين إلى الكتاب والسنة .

ومعرفة المستحب من الواجب ، والمعصية من الكفر بالله وبرسوله ﷺ ، ومعرفة حق المسلم على أخيه ومعرفة حرمة المسلم . ومنزلته عند الله فاتقوا الله أيها المؤمنون وتوبوا إلى الله ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (١) .

(١) سورة طه : آية ٨٢ .

ثم اعلّموا أيها المؤمنون أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه
وثنى بملائكته المسبحة بقدسه وثالث بكم أيها المؤمنون من جن العالم
وإنسه فقال جل ثناؤه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١) الخ .

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٦ .

الخطبة رقم (٣)

موسى والخضر عليهما السلام

والخضر نبي يوحى إليه

الحمد لله رب العالمين أعطى موسى معجزات كبرى فأعطاه العصا آية لفرعون فألقاها فإذا هي حية تسعى . وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتي عشرة عينا . وضرب بها البحر فانفلق فكان بأمر الله كل فرق كالطود العظيم ، وكلمه ربه بدون واسطة فهو مقرب عند الله . ونبينا محمد ﷺ أقرب إلى الله وأفضل .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كل شيء قدير إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله شق له القمر يرى بالعينين وأعطاه القرآن آية يتلى إلى آخر الزمان .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى ونجوم الهدى ومن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد : فلما وعظ موسى عليه السلام قومه موعظة وجلت

منها القلوب وذرفت منها العيون ، قال له رجل فهم هل يوجد في الأرض من هو أعلم منك . قال لا ولم يردّ العلم إلى الله عالم كل شيء فأوحى الله إليه أن العلم أعظم من أن يحويه رجل أوتفرد به رسول - وأنه يوجد في الأرض من هو أعلم منك . قال يارب أين مكانه لعلني ألقاه فأخذ من علمه ، قال إنه عند مجمع البحرين : فأوحى الله إلى الرجل الصالح أن رسولي موسى سيأتي إليك فعلمه مما أوحيت إليك . قال اجعل لي آية اعرف به مكانه قال خذ حوتاً ميتاً فإذا فقدت الحوت فهو ثم . فاستعد موسى للسفر إلى مجمع البحرين وأخذ غلامه يوشع بن نون وقال له مهمتك أن تخبرني إذا فقدت الحوت ، وأعطاء المكتل فيه الحوت المملح وقيل إنه مشوي .

فلما بلغ مجمع البحرين كان موسى مجداً فنام فانتفض الحوت وخرج من المكتل ودخل في البحر وكره يوشع أن يوقظ موسى . فلما قام من نومه . نسي يوشع أن يخبره فواصل السير . فأحس موسى بالتعب والجوع فقال لفتاه آتنا غداً فأخبره بما فعل الحوت . فقال ذلك ما كنا نبغ فرجعا يتبعان أثرهما فلما وصلا حيث فُقد الحوت . وجدا العبد الصالح مسجى بثوب تعلوه السماحة وآثار النبوة . فسلم عليه موسى فقال من أنت قال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم . ومن أعلمك بهذا ، . قال الذي أرسلك إليّ فعلم موسى أنه هو الرجل الذي جاء إليه ، والنبى الصالح هو

الخضر سمي بذلك لأنه إذا جلس بأرض مجدبة اخضرت بأمر الله^(١) فقال الخضر لموسى عندك علم لم يكن عندي ، وعندي علم لم يكن عندك وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما يأخذ الطير إذا نقر في البحر .

والخضر يوحى إليه ربه والعلم اللدوني وحي من الله والحكايات الكثيرة التي تقال لا نص فيها لا من كتاب ولا سنة ، ومعلوم أن المؤمن يأخذ العلوم عن الله بواسطة القرآن الكريم أو سنة سيد الأولين والآخرين ، أما المنامات والحكايات بدون دليل فلا يأخذ بها ، وموسى عليه السلام أفضل من الخضر لأن الخضر نبي لم يرسل وموسى نبي مرسل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

والصحيح الذي أيده النص من القرآن وسنة النبي ﷺ أن الخضر ميت وأنه لا وجود له الآن قال شيخنا الشيخ محمد الأمين في التفسير والذي يظهر لي رجحانه بالدليل أن الخضر ميت وذكر أربعة أدلة :

١ - قال سبحانه : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ . كل نفس ذائقة الموت .

(١) أما اسمه فمختلف فيه ولا يترتب عليه كبير فائدة مثل صفة قتل العلام وصفة خرق السفينة وصفة إقامة الجدار لا يترتب عليها حكم شرعي فلم يرد تفصيلها .

٢ - وقوله ﷺ يوم بدر : « اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض » .

٣ - وإخباره ﷺ أنه على رأس مائة سنة من الليلة التي تكلم فيها رسول الله لم يبق على وجه الأرض ممن كان موجوداً ذلك اليوم أحد .

وقوله ﷺ : « ما من نفس منفوسة اليوم أي قبل موته ﷺ بشهر يأتي عليها مائة سنة وهي يحية .

٤ - ولو كان الخضر حيا وقت الرسول ﷺ لكان من أمته وأتباعه وتعامل معه لأن الرسول ﷺ مبعوث إلى جميع الثقليين ، وأشرف أحوال الخضر أن يكون بين يدي الرسول محمد ﷺ ووقوفه تحت راية التوحيد أشرف له واختفاؤه لم يقم عليه دليل . وظهوره أعظم لأجره وأعلى لقدره ومرتبته لمعجزته ، ولم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه . أن الخضر اجتمع برسول الله فهو إذاً ميت مثل بقية الأنبياء .

قال القاضي أبو يعلي محمد بن الحسين بن الفراء سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات قال نعم ولكن النفوس مجبولة على اتباع الهوى والله المستعان وعليه التكلان .

وقد تأدب موسى مع النبي الصالح الذي عنده علم لا يعلمه فاستأذنه في مُرافقته وفي أخذ بعض ما عنده من العلم وجعل نفسه

تبعاً له وصبر على قوله وأعطاه العهد كما طلب إلا أن موسى أنسته
غيرته وحرصه ثم العدل تلك العهود ومن حسن أدب موسى أنه قال
في إجابته إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من
لدني عذراً فخشى إن يقل عليه فهذه ثلاث مسائل فعلها الخضر
وأنكرها موسى :

١ - الأولى خرق السفينة .

٢ - قتل الغلام .

٣ - إقامة الجدار في قرية الشيخ فلما تمت الرحلة أخبر الخضر
موسى عن أسباب العمل الذي لم يصبر عليه فأخبره أنه خرق
السفينة ليعيها لأن ملكاً ظالماً يأخذ كل سفينة صالحة من أهلها قهراً
وصبراً وأما قتل الغلام فكان في علم الله أنه كافر وأبواه مؤمنين
فخشى الخضر أن يؤثر عليهما في دينهما .

انظر إلى أدب الخضر النبي مع الله فنسب خرق السفينة وقتل
الغلام لنفسه وبناء الجدار نسبه لله . ثم أخبر أن الكل بوحى الله قال
فإنه بنى الجدار لأنه ليتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان
أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمةً
من ربك قال وما فعلته عن أمري فإنما هو أمر الله بوحى قال
سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ
يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥١]

فاتقوا الله أيها المؤمنون وراقبوه في السر والعلن فإن مصيركم إليه فارجوا ثوابه واخشوا عقابه وتمسكوا بما جاء به نبينا محمد ﷺ من القرآن والسنة فيهما الخير والبركة ولا تتركوهما إلى قول أحد من البشر فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي محمداً ﷺ .

اللهم بارك لنا في القرآن وانفعنا فيه من الآيات والبيان وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا وعلمنا منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا واجعله قائداً إلى رضوانك والجنة ، وتب علينا واغفر لنا ولا بائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم . . الخ الدعاء .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين لا
إشكال ولا غموض ولا شك ولا ريب من أطاعه دخل الجنة ومن
عصاه دخل النار .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه الله بشيراً
ونذيراً اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد : فإن أعداء الإسلام يتربصون الدوائر بالمسلمين
ويعملون ويخططون والمسلمون غافلون فغيروا العقيدة وحطموها
في نفوس بعض المسلمين ، ولا زالوا يواصلون تنفيذ مخططاتهم
للقضاء على المسلمين وعلى الإسلام ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون ولا يزالون يرسلون ما يخالف العقل والشرع
لينظروا هي في المسلمين بقية تعرف الطيب من الخبيث والحق
والباطل إلى أن صاروا غشاء كغشاء السيل لا يفرقون بين منكر
ومعروف فيهمون عليهم فمن ذلك الدولار الصاروخي والبنت
التي أعياها المرض كله ليس من الإسلام في شيء ولكنهم يختبرون

عقول المسلمين ودياناتهم فإذا كانوا على ما يريد أعداء المسلمين هجموا عليهم وأخذوا بعض ما في أيديهم ، كما هو المشاهد الآن في كثير من البلاد الإسلامية والسعيد من وعظ بغير .

يجب على المسلم أن يكون مسلماً حقاً متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويميز بين الطيب والخبيث وبين النافع والضار وبين الحق والباطل ولا يكون مع كل صاعق وناعق ، ولا يقبل ما يخالف الدين والعقل الصحيح ، فاتقوا الله عباد الله وراقبوه في كل ما تعملون وما تقولون ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] .

واعلموا أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

الخطبة رقم (٤)

الحج

المقارنة بين الحاضر والماضي

الحمد لله رب العالمين له الإرادة النافذة والحكمة البالغة يخرق العادة بما شاء على يد من يشاء كيف يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه فسبحانه هو الإله الحق .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله قربه واصطفاه ورفع منزلة لم يبلغها أحد سواه ونهى عن الغلو والإطراء ، فقال عليه الصلاة والسلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله) .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبيا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله وأطاع أمره وأتبع سنته إلى يوم القيامة .

أما بعد : فإن الله سبحانه من لطفه بأمة محمد ﷺ سخر للحرمين الشريفين من يخدمها ، وسخر للبقاء المقدسة من يعتني

بها وبروادها فجزى الله المحسنين أحسن الجزاء . لقد أتمتم
مناسك الحج في يسر وسهولة في أمن واستقرار وكان الإنسان من
قبل إذا أراد السفر إلى الحج يودع أهله ويوصيهم وصية مودع ،
ويعتبر نفسه في عداد المفقودين لما يري من السلب والنهب وسفك
الدماء والآن ولله الحمد والمنة في أمن واستقرار وراحة بال وذلك
كله بفضل الله سبحانه ورعايته وحمايته لحجاج بيته وزوار مسجده
رسوله ﷺ . فاشكروا نعم الله قولاً وعملاً يا حجاج بيت الله
وزوار مسجده رسوله ﷺ لا تنسوا ما رأيتم اذكروه لمن وراءكم ﴿ وإذ
تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ .

وأخلصوا أعمالكم لله فالخير كمله بيديه . . واحذروا أن
تعلقوا آمالكم بغير الله . . حافظوا على الرحمة والمغفرة التي
أفاضها الرب عليكم في عرفات فلا تذهبوا إلى غير الله لا إلى نبي
مرسل ولا إلى ولي ولا عبد صالح فالكل محتاجون إليه ولكي
تعرف أخي الحاج قدرة الله ألقى هذه الأسئلة وأجب عليها : من
الذي يرفع القسط ويحفظه ، أليس هو الله من الذي أعطى القدرة
لبعض المخلوقات فاستطاع الذي عنده علم من الكتاب أن يحضر
عرش بلقيس من اليمن إلى القدس في الشام في طرفة عين حتى
استقر عند سليمان عليه السلام ، من الذي سخر الريح لسليمان بن
داود غدوها شهر ورواحها شهر أليس هو الله القادر الذي أسرى
بعبد له ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بعض ليلة

وصلّى بالأنبياء في بيت المقدس وهو يبعد عن مكة شهر .

من الذي عرج بنبيه ﷺ فوق سبع سموات وكلمه ربه من وراء حجاب وفرض عليه خمس صلوات وهي في الأجر تعدل خمسين صلاة أليس ذلك هو الله الواحد القهار من الذي جعل في المحيطات البحار الكبيرة أجزاء تخفي السفن الضخمة والطائرات مثل مثلث برمودا . أليس هو الله القاهر .

من الذي أسمع الصحابة رضي الله عنهم تسبيح الطعام وهو يؤكل أليس هو الله من الذي بارك في طعام أي بكر رضي الله عنه حتى شبع الضيوف وبقي أكثر مما كان أليس هو الله .

من الذي استجاب دعاء نبيه محمد ﷺ يوم الجمعة فأنشأ سحابة مثل الترس خلف سلع فتوسعت وأمطرت سبتا أليس هو الله القادر على كل شيء .

من الذي أمر الأرض أن تلفظ جثمان النصراني الذي أسلم ثم تنصر أليس هو الله .

من الذي شق القمر معجزة لنبيه ﷺ في مكة فرآه أهل البرية منشقاً . أليس هو الله .

من الذي أرسل على قوم نوح الطوفان فأغرقهم أليس هو الله من الذي أرسل على عاد الريح العقيم فأهلكتهم . من أرسل على ثمود الصيحة فقطعت قلوبهم . من الذي أرسل على قوم لوط

حجارة من جهنم تضرب الإنسان مع رأسه وتخرج مع أسته . أليس هو الله العزيز الجبار . من الذي أغرق فرعون وقومه أليس هو الله المنتقم الجبار .

من الذي قلب عصي موسى حية تسعى تلقف ما يلقي السحرة أليس هو الله .

من الذي أنطق عيسى بن مريم وهو صغير في المهد يكلم الناس . أليس هو الله . خارق العادات والقاهر فوق عباده .

من الذي أسمع الصحابة صوت الجذع يحن وهو الذي كان يعتمد عليه رسول الله وهو يخطب لما تركه رسول الله ﷺ .

ومن الذي هدئ النبي ﷺ لضمه وتسكيته - أليس هو الله .

من الذي خسف بقارون وبيداره الأرض لإعجابه بنفسه وبما له أليس هو الله وحده لا شريك له ، فإذا كان الله هو المتصرف في هذا الكون وحده لا شريك له ولا ظهير ولا معين ولا وزير .

فلماذا يضحك علينا أعداء التوحيد أعداء الإسلام فيصرفوننا عن الله .

قال العلامة الحافظ ابن كثير الدمشقي عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ٢١] قال : يمجّد تعالى نفسه ويعظم شأنه لقدرته على ما

لا يقدر عليه أحد سواه فلا إله غيره ولا رب سواه .

العبادات مبناهـا كلها على نصوص الشارع ﷺ من القرآن والسنة فمبناهـا على التوقيف . والله تعالى أمرنا باتباع الرسول ﷺ وطاعته وموالاته . وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواها ، وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

ولا ينبغي لأحد أن يخرج عما مضت به السنة وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة ، وما علمه الإنسان قال به وما لم يعلمه أمسك عنه . ولا يقفُ ما ليس له به علم ولا يقولُ على الله ما لم يعلم فإن الله تعالى حرم ذلك ﴿ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [يونس : ٦٩] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم وتفضل علينا بتلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا اللهم علمنا من القرآن ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا اللهم ارحم عبادك المسلمين . اللهم ارحم ضعفهم ورددهم إلى كتابك وسنة رسولك محمد ﷺ رداً سريعاً . اللهم اخذل أعداء الدين ، واجعل بأسهم بينهم واكف المسلمين شرهم . اللهم أهد ضال المسلمين ، وافتح بصيرته لمعرفة الحق واتباعه . اللهم اكفنا شر الأحزاب ، والطرق المبتدعة واهد المسلمين سبل السلام واخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللهم تقبل منا ومن إخواننا حجاج بيت الله الحرام وردهم إلى
أهلهم سالمين اللهم كما غفرت ذنوبهم في عرفات فثبتهم بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . اللهم احفظهم من البدع وعلق
قلوبهم وآمالهم بك وحدك إنك على كل شيء قدير واغفر لنا
جميعاً ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين . بيده الخير وهو على كل شيء قدير .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قيوم السموات
والأرضين رب كل شيء ومليكه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله طهره الله
واصطفاه وقربه وأدناه . شرح له صدره ورفع له ذكره . ووضع
عنه وزره .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب
الوجه الأنور والجبين الأزهر . وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم المستقر .

أما بعد : فينبغي للإنسان أن يدعوا بالأدعية المشروعة التي جاء
بها الكتاب والسنة فإن ذلك أفضل وأحسن وهو الصراط المستقيم
فيحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ثم يدعوا بما أحب .

ومراتب دعاء المخلوقين ثلاث مراتب - أن يكون المدعو بيناً أو
غائباً فيقول الداعي يا سيدي فلان أغثني أو أنا مستجير بك فهذا
حرام لا يجوز لأنه دعاء غير الله ، وقد يتمثل له إبليس في صورة -
المستغاث به ، وقد يقضي الشيطان حاجته أو بعضها فيظن المستغاث
ذلك كرامة للمستغاث به وقد استغاث بعض الناس برجل صالح

وبعبد غائب فجاء الشيطان على صورة ذلك الرجل الصالح فقضى حوائجهم فلما بلغه الخبر قال أنا لم أتحرك من بلدي وأنكر فعلهم .
وهذا أصل عبادة القبور والأصنام واتخاذ الشركاء من دون الله .

وأعظم من ذلك أن يسجد لقبر ولي أو صالح ويصلي إليه ويرى أن ذلك أفضل من استقبال القبلة فقد قال بعض الناس القبر قبله الخواص والكعبة قبله العوام ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ﴾ وأعظم من ذلك من يقول إن قراءة ورده أفضل من قراءة القرآن عدة مرات . أو يقول أن رؤيته أفضل من رؤية الله - تعالى الله عما يقول الجاهلون والظالمون علوا كبيرا . الشر على المسلمين الذي يصدقونهم .

المرتبة الثانية من مراتب الدعاء : أن يقول أحد ليت أو غائب ادع الله لي كما تقوله النصارى لمريم عليها السلام ، وهذا لم يرد عن الرسول ﷺ ولا عن الصحابة ، ولا عن أحد من سلف الأمة - فهو أمر بدعي غير جائز .

الثالثة : أن يقول قائل أسألك بفلان أو بجاه فلان والمنقول عن أبي حنيفة وغيره من أئمة الإسلام أنه منهي عنه لا يجوز .

فاتقوا الله أيها المسلمون واعرفوا الدعاء الجائز من المحرم واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وصلوا على البشير النذير فقد

أَمَرَنَا اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب :
٥٦].

الخطبة رقم (٥)

عبادة المريض وتشيع الجنازة

الحمد لله رب العالمين . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . ماترك خيراً إلا ودل الأمة عليه ورغبهم فيه ، ولا شراً إلا حذرهم منه ونهاهم عنه . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى .

عباد الله . إن للمسلم على أخيه المسلم حقوقاً بها يحصل - ترابط الأخوة الإسلامية وتوثيق عُرَاها .

وفي هذا الزمن الذي فتح الله فيه أبواب الدنيا واشتغل الناس بها عن كثير من هذه الحقوق الإسلامية ، وصار الحب ، والبغض والاتصال عند كثير من الناس من أجل هذه الدنيا لا يجوز للمسلم أن ينسى حق أخيه المسلم الذي - لا يكلفه مالا ولا عناء ، وهو له

خير وبركة في الدنيا وثواب عند الله تعالى - وإن الإنسان - في هذه الحياة معرض لأعراضها ومصائبها . ففي كل يوم نصلي على ميت من إخواننا في الله ونسمع عن آخر أقعده المرض في بيته .

ومن حق المسلم على أخيه المسلم أن يعودوه إذا مرض وأن يشيع جنازته إذا مات . فالمرضى أحوج ما يكون إلى زيارة إخوانه ليرى منهم العطف والشفقة والمشاركة في الإحساس وليفرجوا عنه بدعواتهم الطيبة وينفسوا عنه بأحاديثهم الأخوية ويؤنسونه بوجودهم عنده . والميت أشد حاجة إلى إخوانه يجهزونه ويحملونه ويصلون عليه ويدعون له ويدفنونه في قبره . من أجل ذلك شرع ديننا هذه الحقوق وحث عليها في قوله ﷺ : « حق المسلم على المسلم خمس رد السلام ، وعيادة المريض ، وتشيع الجنازة ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » . وهذه من فضائل هذا الدين الحنيف . ومحاسن الإسلام . ومن صفات أمة محمد ﷺ . إن التخلق بأخلاق الإسلام والتحلي بفضائله أبلغ في الدعوة إليه وإدخاله إلى القلوب - فكم من إنسان دخل في الإسلام لما يرى من محاسنه في أخلاق أهله . من ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال كان غلام يهودي يخدم رسول الله ﷺ فمرض فأتاه النبي يعودوه فقعده عند رأسه فقال له أسلم . فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار .

ويسن لمن عاد مريضاً أن يُدخل عليه السرور ويرشده إلى الصبر والاحتساب فيقول له لا بأس عليك طهور - إن شاء الله ويدعو له بالشفاء ، ويدله إلى السبب المباح كما قال ﷺ لعثمان بن أبي العاص الثقفي . لما شكى له وجعا يجده في جسده . فقال له رسول الله ﷺ ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ، وينبغي لزائر المريض أن يحتسب ثواب الله تعالى ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة - يعني جناها - حتى يرجع) . وفي السنن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن عاده عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة) . ويسن تلقين من حضره الموت كلمة الإخلاص فيقول من عنده لا إله إلا الله . حتى يسمعه فيقول مثل قوله فتكون آخر كلامه ؛ من كان آخر قوله لا إله إلا الله دخل الجنة . وينبغي لمن حضره أن يوصي أهله بالصبر والاحتساب والدعاء له . اللهم اغفر له وارحمه وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه . ويجوز البكاء على الميت بدون رفع صوت وبدون نياحة . وبدن تعداد المحاسن والمناقب فإن الملائكة

يؤمنون على ما يقول أهله . والمشروع في ذلك ما ورد في القرآن العظيم فهو أنفع للحَي والميت وأسلم . ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦] .

ومن حقوق الميت على إخوانه الإحياء الإسراع في تجهيزه لأنه أصبح جيفة معرضة للنتن والتشقق . ثم الصلاة عليه على الصفة الواردة عن النبي ﷺ وتشيعه إلى قبره حتى يدفن وفي ذلك أجر عظيم وثواب كبير .

قال ﷺ : من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان كل قيراط مثل جبل أحد ولكننا عن هذا غافلون وبدنيانا عن الثواب مشغولون . فلو قيل من وصل إلى مكان كذا مسافة بعيدة يعطي جنيها أو مائة ريال لأسرع الناس في الليل والنهار يطلبون هذا العطاء ولكنهم يتكاسلون عن هذا الثواب الكبير فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وينبغي لمن شهد الجنازة أو رأى المقبرة أن تكون له ذكرى وموعظة فينتبه من غفلته ويصحو من سكرة هذه الدنيا . وأن يعلم أنه سيمر مع هذا الطريق الذي مر عليه غيره وأنه يسكن تلك المساكن . ﴿ كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَإِنَّ (٢٦) وَيَقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ . ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ

رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٥٩﴾ ، فإذا دفن الميت يستحب أن يدعى له ، اللهم اغفر له اللهم ثبته ، ولا يقال قل يا فلان كذا وكذا فإنه لا أصل له في الشرع والسنة لجيران الميت أن يصنعوا طعاماً لأهله لأنهم مشغولون بمصيبتهم .

وأما ما يفعله بعض الناس من إقامة الولائم وإحضار النائحات والجهر بالصياح والصراخ فإنما هو من أعمال الجاهلية الأولى ولا يتفق مع هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تواصوا بينكم بالحق والصبر والتقوى وعودوا مرضاكم وشيعوا موتاكم ، وادعوا لهم بالمغفرة والرحمة ولا تقولوا على أنفسكم إلا خيراً ، واحذروا أعمال الجاهلية والعادات التي لا تتفق مع دينكم الحنيف .

واعلموا أن الخير كل الخير والفخر والعزة في اتباع سنة نبينا محمد ﷺ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

اللهم انفعنا بآيات القرآن العظيم ، وبهدي نبيك الكريم ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافة في الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له منه المبتدأ وإليه المنتهى وأن إلى ربك الرجعى .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله وصفوته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وعمل بسنته .

أما بعد : فإن الحازم هو الذي يأخذ للأمور احتياطاتها ويحسب للمستقبل حسابة ، والفطن الذكي هو الذي ينظر في عواقب الأمور ونتائجها ويتخذ من حوادث التاريخ عبرا ومواعظ ، فكل واحد يعرف أن المنية ستوافيه ، ولكنه لا يعرف في أي وقت ولا في أي مكان ، ولا على أي صفة تكون ، وكل إنسان له ارتباطات مع إخوانه في دنياه فينبغي ألا يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه يوضح فيها ماله وما عليه وما ينفعه بعد مماته .

قال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

وللإنسان التزامات لآخرته فيجب أن يقدم أمامه عملاً صالحاً يجده ذخراً وأن يحاسب نفسه على أعمالها في الليل والنهار وأن

يحسن المعاملة مع ربه ومع إخوانه ، وأن يؤدي المسؤوليات التي عليه
لتربية أولاده وإصلاح أهل بيته . وثبتت العقيدة الإسلامية في
نفوسهم وتوجيههم إلى صراط الله المستقيم والعمل على تثبيت
أقداهم عليه .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير
فقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وقال ﷺ : « من صلى علي مرة واحدة
صلى الله عليه بها عشراً . اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على
عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والخوض المورود
. وارزقنا شفاعته وثبتنا على سنته ، اللهم أرض عن الأربعة الخلفاء
الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن بقية أصحاب نبيك
أجمعين . وزوجاته أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين الطاهرين
وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين - اللهم أرض عنا معهم
بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين
ودمّر أعداء الدين واحم حوزة الإسلام يارب العالمين .

اللهم أدم الأمن في أوطاننا واحفظ إمامنا وولاة أمورنا
ووفقهم لما تحب وترضى وسدد خطاهم وثبتهم على صراطك
المستقيم . اللهم انشر الأمن في أوطان المسلمين وأصلح أئمتهم

وولاية أمورهم واهداهم سبيل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى
النور . اللهم اغفر لجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم
والأموات ، اللهم نور على أهل القبور قبورهم وأصلح الأحياء
ويسر لهم أمورهم . وفرج هم المهمومين واقض الدين عن المدينين
واشف مرضى المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم اسقنا واغثنا
اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً
اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك . عباد الله ﴿إن
الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ فاذا ذكر الله يذكركم واشكروه
على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

الخطبة رقم (٦)

الأعمال الصالحة هي الوسيلة

الحمد لله على نعمه المتوالية ، لا نحصي لها عدا ، ولا نقدر لها حمدا .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له . أحصى كل شيء عددا وأحاط بكل شيء علماً .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله اختاره لتبليغ رسالته ، واصطفاه لعبادته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن العمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى هو الوسيلة التي يتقرب بها العبد إلى ربه .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ . وفي حديث النفر الثلاثة قدوة وعبرة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدَّت عليهم

الغار . فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى
بصالح أعمالكم . قال رجل منهم اللهم إنه كان لي أبوان شيخان
كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا . فنأى بي طلبُ الشجر
يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما
نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا . فلبثت
والقدح علي يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجرُ والصبية
يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم إن كنت
فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة
فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي
فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أَلَّت بها سنة من السنين
فجاءني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين
نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تَفُضَّ الخاتم
إلا بحقه فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهبَ
الذي أعطيتها . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا
ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم
غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه
الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أدِّ إليَّ أجري فقلت كل ما
ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال يا عبد الله لا

تستهزئ بي . فقلت لا أستهزئ بك فأخذه كله - فاستاقه فلم يترك منه شيئاً . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة - فخرجوا يمشون . متفق عليه بالفاظ متقاربة .

هذه ثلاثة أنواع من الأعمال الصالحة بر الوالدين ، والعفة والأمانة فرج الله بها محنة النفر الثلاثة ، وهكذا جميع الأعمال الصالحة ثمارها دائماً يانعة مدرة مستمرة . فكم من مكروب توسل إلى الله بوحدانيته فكشف ما به من ضرر ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن إلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾

إن العمل الصالح هو الرصيد الثابت الذي يجده صاحبه أحوج ما يكون إليه لا يخشى عليه من الكساد ولا ينقص من كثرة الصرف أما أرصدة الدنيا أيا كان نوعها فهي معرضة للآفات ولا تنفع عند الشدائد والكربات القدرية .

ماذا تنفع الأرصدة في البنوك إذا جاء الأجل وانقطع العمل ، ماذا تنفع إذا ضرب في الأرض فلم يجد الدواء وأعجز الأطباء . لكن لو أنفق منها في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله لكان عملاً صالحاً يتوسل به إلى الله جل شأنه .

فاتقوا الله عباد الله إنكم في هذه الحياة رهن لمصائبها فما

يدري أحدكم أيَّ سهم يصيبه فقدموا لأنفسكم عملاً صالحاً خالصاً
لله تجدونه ذخراً عند الله تعرفوا إلى الله تعالى في الرخاء يعرفكم
في الشدة .

أصلحوا ما بينكم وبين الله يصلح الله ما بينكم وبين الناس
إجأوا إلى الله يكفيكم كل أمر يهمكم التمسوا رضي الله يرُضي الله
عنكم جميع خلقه ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ﴾ اللهم
بارك لنا في القرآن العظيم . .

اللهم اغفر لنا ولأصولنا وفروعنا وجميع المسلمين إنك أنت
الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن لكثير من الأشياء آفات ومفسداتٍ والرياء هو آفة العمل الصالح يعمل الإنسان عمل الخير فيزينه ويحسنه لما يرى من نظر إنسان . والرياء في أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخفى من ديب النمل . ولذلك تخوف النبي ﷺ منه على أمته . ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن محمود بن لبيد قال قال رسول الله ﷺ : « إن أخوف ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء . إن الله تبارك وتعالى يقول يوم يجازي العباد بأعمالهم . اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » . فاتقوا الله عباد الله . إن الشيطان يلقي في نفس الإنسان ما يغير اتجاه القصد إلى الله تعالى . ويحوّله إلى الرياء - لإفساد عمله فكُن حذراً أيها المسلم وادفع هذه الوسواس وكن مكافحاً ومجاهداً لعدوك . واحذر الاستسلام والاسترسال مع عدوك فيؤدبك إلى المهلكة

والضياع إن الله وملائكته يصلون على النبي .

وارض اللهم عن الخلفاء . .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين .

اللهم انصر المجاهدين .

اللهم آمنا في أوطاننا .

اللهم فرج هم المهمومين .

﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى

عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ .

واذكروا الله الخ .

الخطبة رقم « ٧ »

الإنسان لم يخلق عبثاً

الحمد لله رب العالمين ، الجواد الواعد الكريم . ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعطي الجزيل
ويقبل القليل ، ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله رحمة
للعالمين وشاهداً ومبشراً ونذيراً .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد : فإنني أرجو لحجاج بيت الله الحرام أن يكون حجهم
مبروراً وأن ذنوبهم قد غفرت . وأنهم رجعوا من مكة ولا ذنب
عليهم . كيوم ولدتهم أمهاتهم . فقد منَّ الله عليهم بأداء
مناسكهم ، في أمن ورخاء ويسر وبأهلى بهم ربهم ملائكته
المقربين .

(١) الأعراف : ٥٤ .

أخي الحاج الكريم لقد أَرَقْتَ دُمُوعَ الندم عند بيت الله المحرم وأعلنت توبتك إلى الله . ومعنى التوبة : العزم علي ترك المعاصي وعدم العودة إليها . فأوف بعهدك مع الله ، وحافظ على توبتك ، وعلى نقائك من الذنوب . وتفكر وتدبر . من الذي خلقك؟ ولأي شيء خلقك؟ فستعلم يقيناً أن الذي خلقك هو الله ، فأحضر قلبك والقي سمعك . وتفهم قوله جل شأنه :

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)﴾ (١) .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)﴾ (٢) .

كما أنك إذا تتبعته النصوص الشرعية وتأملت هذا الكون العظيم ونظرت نظرة تأمل وتفكر عرفت يقيناً أنك لم تخلق عبثاً ولن تترك سدى وأن الله خلقك لعبادته كما قال جل شأنه : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ (٣) .

العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال . فما هو من خصائص الله لا يطلب إلا من الله ، وما لا يقدر عليه

(١) الانفطار : الآية ٦-٨ .

(٢) التين : ٤ .

(٣) الذاريات : ٥٦-٥٨ .

إلا الله لا يطلب إلا من الله .

قال ابن كثير - رحمه الله - في التفسير : ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب .

فالعبادة هي الوظيفة الأساسية للإنسان . فيجب أن تكون أعمال الإنسان في بيته ومتجره وفي عمله مرتبطة بالله فيعمل لله ومن أجل الله لإرضاء الله . لطلب الثواب من الله ، يكل نتائج العمل لله ، فليست النتائج داخلة في واجباته ، ولا في مقدوره . إنما هي لله وقدرته . فمتى استسلمت النفس لله وتعلقت بالله ، أنفت من الركون إلى الدنيا وملذاتها . أو اتخاذ وسيلة خسيصة للوصول لغاية كريمة .

وإذا أخلص العبد عمله لله فيما أمره الله ، وجد راحة نفسية وسعة صدر وسداداً وتوفيقاً ؛ لأن الله يكفيه كل أمر يهمه ورضي الله عنه ورضي هو عن الله .

أوصيك أخي المسلم بالمحافظة على الركن الثاني من أركان إسلامك ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (١) .

(١) البقرة : ٢٣٨ .

فامتثل أمر ربك أيها المسلم ، حافظ على الصلوات في أوقاتها مع جماعة المسلمين في المساجد فإنها عمود الإسلام ، من حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . وهي الفارق بين الإسلام والكفر ، وهي أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة فإن صلحت صلح سائر عمله والصلوة نور وبرهان ونجاة لصاحبها يوم القيامة . وهي عَوْنٌ له على كل الأمور ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] .

إنك أخي الحاج مؤمن بالله وبرسوله ﷺ فخذ ما جاء به الرسول محمد بن عبد الله ﷺ بقوة وبفخر واعتزاز ، فدين الله منهج حياة ونظام وهو أدب وخلق فثق بأن الله يراقبك في جميع أعمالك لا تخفى عليه منك خافية . واحذر أن تضعف عن حمل التكليف . انتبه واحذر أن تضعف أمام شهواتك وأمام النفع القريب فتنتكس من كونك إنسان كرمه الله وأعزه ورفعته فترجع إلى مشابهة الحيوان في اتباع الشهوات ، لا إرادة ولا اختبار ولا رجاء ولا خوف . اتق الله حيثما كنت وخف من عقابه وارغب في ثوابه فإنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً . اتق الله فإن التقوى شعور في الضمير وحالة في الوجدان . تنبثق منها اتجاهات وأعمال تتوحد بها

الاتجاهات والمشاعر الباطنة والتصرفات الظاهرة وتصل الإنسان بالله في سره وجهره ، وتزيل الغشاوة والأكنة التي تحول بين الإنسان وبين خالقه ، وبين فهم نصوص الكتاب والسنة ، والتقوى تُسهل للمتقي عبادة تكون صلة بين العبد وربّه ، وترغبه في السخاء اعترافاً بجميل العطاء . وشعوراً بالإخاء وتحمله التقوى على الشعور بأصرة القربى قربى النسب وقربى الدين . والتقوى تُشعر بأن ما جاء من عند الله حق لا مرية فيه فيؤمن المتقي بالله وبما جاء من عند الله على لسان نبيه محمد ﷺ ، وبشعور التقوى ومستلزماتها يصنع الله من البشر إخوة متحابين يُؤثر الواحد منهم الآخر على نفسه ، ولو كانت به خصاصة .

وبهذه المشاعر وهذه الأحاسيس تألفت الجماعة المسلمة الأولى في مدينة الرسول ﷺ فكانت شيئاً عظيماً . أوجد الله بتلك الجماعة أشياء غيرت حياة البشر ، وقامت بتبليغ دين الله ورسالة محمد ﷺ على الوجه الأتم .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وراقبوه في سركم وعلانياتكم فإنه معكم يسمع ويرى وهو مستو على عرشه فوق سمواته .

أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم فإن الله أعطى الكثير ورضي بالقليل فهي ربع العشر والورق النقدي عوض عن أصله ففيه الزكاة ولا يحسبن أحد الزكاة مغرمًا ، فإنما هي مغنم للمسلم

وسد حاجة المسلمين المحتاجين ومساندة للمجاهدين ، وفي نفس الوقت طهرة للمزكي ونماء للمال . تزيده ولا تنقصه كما قال ﷺ : « ما نقص مال عبد من صدقه » . ودفع الزكاة لمستحقيها اعتراف لله بالفضل كما قال سبحانه : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧٧) [القصص : ٧٧] .

فالإحسان إلى عباد الله اعتراف لله بالإحسان وشكر لله على الإحسان ، فالميزة البارزة للمؤمن هي السمة التي تجمع في نفسه بين الإيمان والقيام بالفرائض وأعداء الإسلام يذكرون نتائج الإيمان الصحيح ، فلهذا بذلوا كل الجهد لصرف المؤمنين عن إيمانهم بالله وبما جاء من عند الله وعن الإيمان باليوم الآخر . واشغلوا المسلمين بأمور ما أنزل الله بها من سلطان وماهي من هدي الرسول ﷺ .

فخذ حذرك أخي المسلم من دسائس أعدائك ولا تطع من كان قوله يخالف هدي النبي ﷺ فإنه عدو لك ولدينك وإن قال ما قال . وإن قال إنه صدوق ناصح وأنه حريص على نفعك فلا تطعه فيما خالف أصول دينك .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ [آل عمران : ١٤٩ ، ١٥٠] .

يجب أن يعلم المسلم أن الإسلام لا يأمر بالإساءة إلى المسيء وإنما يأخذ الحذر منه ولا يتولاه ولا تتخذه بطانة من دون المؤمنين .

فالإسلام لا يحرض على مقابلة غل الحاسدين وحقدهم والدسّ والمكر بمثله وإنما يأمر بالوقاية وينبه على خطر الأعداء ودسائسهم وإيضا عنهم خلال صفوف المسلمين .

والمسلم يتعامل مع الناس بسماحة الإسلام . فالإسلام يتقي الكيد ولا يكيد ، ويتقي الحقد والحسد فلا يحقد ولا يحسد . الإسلام يوصي المسلمين بالصبر والتقوى . فإذا تعلقوا بالله ووكلوا أمرهم إلى الله لا يضرهم كيد أعدائهم . قال تبارك وتعالى :

﴿ إِنْ تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١٢٠) ﴿

[آل عمران : ١٢٠] .

اللهم بارك لنا في القرآن ووفقنا للعمل به في كل مكان وبارك لنا في سنة سيد الأنام ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين البر الرحيم الغفور الحليم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه ونصح لأُمَّته . وأحسن التوكل على الله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الوفي ومن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد : فإن الإسلام حدّد ضوابط الحياة وربطها كلها بالله تبارك وتعالى . وكفل لها البقاء والوقار فلا تُنتهك ولا تُهان ولا يُستهزأ بها ، فليس لأحد من الخلق اختيار ولا تبديل ولا تعديل في ضوابط نصوص الكتاب والسنة لا تؤثر فيها الشهوات النازية ولا الرغبات المتقلبة ، ولا المصالح العارضة التي يراها فرد أو مجموعة ، أو جيل من الأجيال ، فيُحطّمون باسم المصلحة وباسم اليسر والسماحة ، تلك الضوابط التي نظّمت حياة المسلمين .

فالمصلحة لا تتحقق إلا في نصوص الشريعة التي أنزلها خالق الإنسان ، وإن خالفت رغبات بعض الناس . والله يعلم ما يصلح

الإنسان وهو أعلم بما ينظم حياته ، ويعلم جل شأنه ما لا يعلم
البشر .

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ
شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾ [البقرة: ٢١٦] .

فما يقرره الخالق تبارك وتعالى في شريعته خير للخلق مما
يقرورنه لأنفسهم .

وأدنى مراتب الأدب مع الله . أن يتهم الإنسان رأيَه أمام تقدير
الله .

وأما حقيقة الأدب مع الله فهي أن لا يكون للإنسان خيرة مع
أمر الله ولا يكون له رغبة تخالف هذا الدين الذي أكمله الله ورضيه
للمسلمين ديناً ، فيجب على المسلم الانقياد لأوامر الله بالرضا
والتسليم .

والثقة والاطمئنان بأنَّ قدرَ الله خير للإنسان من تقدير نفسه ،
وأنَّ شرع الله خير للبشر من شرع المخلوقين .

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥] .

إن الله وملائكته يصلون على النبي . . . إلى الدعاء .

الخطبة رقم « ٨ »

منطلق البشر

الحمد لله رب العالمين ﴿ خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله بالبر والإحسان والعدالة والمساواة وبالتوحيد والإيمان .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن أتبعه ودعى بدعوته .

أما بعد :

فلقد انطلقت البشرية من الجنة في السماء ممثلة في آدم وزوجه حواء عليهما السلام أخرجهما الله - عز وجل - من الجنة وأهبطا ومعهما عدوهما إبليس الذي وسوس لهما وتسبب في إخراجهما من الجنة والناس يريدون الرجوع إلى الجنة إلا أن إبليس العدو المبين وأعوانه يحول بينهم وبين طريقها .

ومن رحمة الله بالناس أن أرسل إليهم رسلاً يذكرونهم ما
نسوه من عهد الله ، وبعداوة إبليس ، ويُنبذونهم لقاء يومهم
الموعود .

وآخر الرسل الصفوة المطهر ﷺ . فأخرج الناس من الجاهلية
إلى الإيمان ، إلا أن الناس اليوم في موقفهم الذي كانوا فيه حينما
جاء محمد ﷺ وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، رجع البشر إلى
الجاهلية فعكفوا عند الأصنام والقبور التي كانت موجودة قبل
الإسلام .

جاء الإسلام ليقم معنى لا إله إلا الله .

إن هذا الدين لم يكن حادثاً تاريخياً ينتهي بمضي تاريخه ، بل
هو نظام سماوي من رب العالمين من رب الناس الذي خلق الناس
ثابت صالح لكل أمة فليس للعرب وحدهم ، وصالح لكل زمان
ومكان فليس لأهل مكة والمدينة والجزيرة العربية ، إنما هو لكل
الناس ، يقيم تصوراته على رضا من الله وعلى وفق منهج الله
الذي أرسل به رسله وآخرهم محمد بن عبد الله ﷺ ، فمتى كان
المسلمون مع الله ، كان معهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ
يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ
(٨) ﴿ [محمد : ٧ ، ٨] . ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي
عزيز .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [١٢٦] ﴿ [آل عمران : ١٢٦] .

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٣] ﴿ [الصف : ١٣] .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤٧] ﴿ [الروم : ٤٧] .

ألم يأتكم نبأ قوم نوح وهود وشعيب ولوط لما عاندوا الرسل وكذبوهم وعلم الله أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن كيف عاقبهم الله بذنوبهم .

﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [٤٠] ﴿ [العنكبوت : ٤٠] .

فهذه هي الصورة الحقيقية للإسلام ، وإذا اتبع المسلم وحي الله الذي أنزل على رسوله محمد ﷺ الذي حفظه الله وسخر له ما في السموات وما في الأرض وأخلص العمل لله كان متقدماً متحضراً متحرراً وإن سبقه غيره إلى الصناعات والمقترحات والتنفيذ .

وإذا ترك المسلم دينه ، رجع إلى الوراء القهري ؛ لأنه رجع إلى الجاهلية الأولى قبل الإسلام ، ولكن الناس يؤثرون الحياة الدنيا

والآخرة خير وأبقى . قال سبحانه : ﴿كَلَّا بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ خَيْرَ وَأَبْقَى﴾ .

أما التقدم في الصناعات والحرف فهي أمر ظاهر يعرف
بالتجارب والتمرين وبناء الأخير على بنیان الأول - وقد أخبر
سبحانه عنهم أنهم يفعلون ذلك فقال سبحانه ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)﴾ [الروم : ٧] .

يجب على المسلم أن يأخذ إسلامه من مصادره ، من القرآن
الكریم فإنه سهل ، ومن السنة المطهرة فهي ميسرة على من يسرها
الله عليه .

إن العالم الإسلامي قد رجع الجاهلية الأولى بعد أن أخذ
بيدهم نبي الرحمة والهداية محمد ﷺ وبعد أن أنقذهم عليه الصلاة
والسلام من الجاهلية .

ولن تفلح الأمة المسلمة إلا إذا أخذت بتوحيد الله وإفراده
بالعبادة ، وكانت مع الله ليكون معها ، ولكنهم انقسموا على
أنفسهم أقساماً بسبب بعدهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ
وبسبب أن الإسلام لا يُعَلَّم في المدارس الرسمية .

أما إذا كانت تعظم غير الله وترجوا غير الله وتدعو غير الله
فالله يكون بعيداً عنها ولا ينظر إليها نظرة رحمة ولا يستجيب
دعائها ، فهي قبل غيرها مثل أعداء الإسلام .

والإسلام لا يصادم الدنيا ولا المادية ولا يحتقرها وإنما ينظمها، ويُطهر مأكَل المسلمين ومشاربهم .

يعمل الإسلام على إصلاح البشر ورفع مستواهم من مشابهة الحيوانات إلى مشابهة الملائكة الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦] [التحریم: ٦] .

لكن حين تكون الدار الآخرة هي الهدف ويكون الإيمان بمعناه سائراً والتوحيد لله في جميع الأقوال والأفعال تكون خصائص الإنسان أسلم محل لتكريم الله ولرعايته ويكون المجتمع متحضراً متقدماً ربانياً ، أما إذا كان الإيثار للحياة الدينا ، الحلال ما حلَّ في أيديهم والعكوف عند القبور والله أعلم هل هي قبور صالحين أو طالحين وهل هي قبور آدميين أم حيوانات يضحك أعداء الإسلام على المسلمين . ويُغررون بهم هم وأعوانهم من المسلمين . وعملاؤهم من دعاة الرذيلة والخنا والسخرية والاستهزاء بالمسلمين . يكون إذاً المسلمون في مؤخرة الركب دائماً ويرجعون إلى الجاهلية التي أنقذهم منها رسول الله ﷺ .

إن الإسلام لا يحتقر المادة ، في جميع صورها ونظرياتها وإنما ينظمها ويعمل على ما فيه تأليف القلوب وجمع شمل المسلم بأخيه المسلم ، فيحل الطيبات ويحرم الخبائث ويحترم شعور الآخرين ويضع الأغلال والآصار التي كانت على المعاندين المكذبين .

الإسلام يريد أن يكون المسلم حراً في ذاته وتصوراتهِ متصلاً
بالله وحده ، مُتحرراً من الشهوات والهوى من اتباع الأعداء
وأولهم إبليس أعاذنا الله منه ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا
أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ
هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴾ [الأعراف : ٢٧] .

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٩٩]
[النحل : ٩٩] .

إن المسلمين الآن قد صاروا شيعاً ، كل حزب بما لديهم
فرحون ، فمنهم ملحد ينكر وجود الله ، ومنهم من يعترف بوجود
الله ولكنه يجعل له من عباده أضداداً وأنداداً ويجعلون لعباده مما
خلق نصيباً . ومنهم من جعل لله ولداً واتخذوا العظماء والزعماء
أرباباً من دون الله يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله
فيطيعونهم .

ومنهم من يتبع مناهج أعدائهم حذو النعل بالنعل ويسمونه
رقياً وتقدماً وتطوراً . ويرفضون منهج الله الذي أنزله من فوق
سماواته على خير خلق الله محمد ﷺ .

إن أهل الجاهلية الأولى أكثر فهماً للنصوص من الجاهلية
المعاصرة ، فالأولى قال لهم الرسول ﷺ : قولوا لا إله إلا الله .

قالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً . أما الوقت الحاضر فيقرأ الشخص قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١] .
فإذا انتهى قال : يا سيدي فلان أغثني المدد ، سهل ولادة فلانة أو نجح فلاناً أو اذكرني عند الصراط . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

إن الأموات تحت التراب لو كانوا ينفعون أحداً لنفعوا أنفسهم .
فاتق الله أيها المسلم . النفع والضرر بيد الله . ليس لأحد معه تصرف في هذا الوجود ولا يوم القيامة :

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٢٠] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، واجعلنا ممن يحل ما أحل ويحرم ما حرم ، ويعمل بتوجيهاته ، إنك ولي ذلك والقادر عليه . واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين . ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴾ [الكهف : ١] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . إمام المتقين
وقائد الغر المحجلين . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا
محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن التشريعات الإسلامية والتوجيهات في منهج الله ، تنبع
من العقيدة ، وترتكز على التوحيد الخالص لله وحد . وهذه سمة
منهج الإسلام فاتقوا الله أيها المسلمون . راقبوا ربكم وأخلصوا له
العمل ولا تصرفوا شيئاً من حقه إلى خلقه فيغضب فإذا غضب
أدخل النار .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير
فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم « ٩ »

الصلاة تؤثر في السلوك

الحمد لله رب العالمين ، وعُدُّه لا يخلف ، وشرعه مُيسَّر وقضاؤه نافذ لا يُسأل عما يفعل وهم يسئلون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . منه المبتدأ وإليه المنتهى .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله دعا إلى الله على بصيرة وجاهد في الله حق جهاده . بلغ رسالة ربه ولا زالت غضةً طريةً كما أنزلت صالحة لكل زمان ومكان ولكل جيل وإقليم والله المستعان .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد :

فإن ركناً من أركان الإسلام ورد ذكره في القرآن الكريم ، مقروناً بالآلف واللام سبْعاً وستين مرة في ثمانٍ وعشرين سورة . ورد ذكره في القرآن تارة بالأمر بآدائه . وتارة بمدح فاعله والثناء

عليه وبيان ثوابه . وتارة بذم تاركه وبيان عقابه . وهذا يدل على مكانة هذا الركن — عند الخالق تبارك وتعالى . وقوة تأثيره في سلوك المسلمين - وتثبيتهم في الشدائد .

إنه الركن الثاني من أركان الإسلام ، وهو الصلاة ، ذلك الركن العظيم الذي غفل عنه كثير من المسلمين وتهاونوا به ، وآثروا النوم والراحة على أدائها مع جماعة المسلمين في المساجد ولو يعلم أولئك مكانة الصلاة من الإسلام وتأثيرها في سلوك الفرد والجماعة . وثواب فاعلها وعقاب تاركها ؛ لطار النوم من أعينهم ولذهب الكسل من أبدانهم .

ولأهمية الصلاة جعل لها أوقاتٌ لا تعارض مصالح المسلم
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «وقتُ الظهر إذا زالت الشمس ، وكان ظل الرجل طولَه ما لم يحضر العصر . ووقت صلاة العصر ما لم تصفر الشمس . ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق . ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط . ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس » .

فأوقات الصلوات المكتوبة : إما قبل العمل ، مثل صلاة العصر والفجر . وإما بعد العمل مثل : صلاة الظهر والمغرب

ولما كانت الصلاة تشد المسلم إلى القوة الغالبة القاهرة إلى ربه الذي خلقه شرعت له صلاة الجماعة للرجال ، وجُعِلَ لها أماكن تؤدى فيها ، وهي المساجد . ولقد كان المسجد ملتقى المسلمين يتعاونون فيه على البر والتقوى وحل مشاكلهم .

وكان المجتمع المسلم سمحاً طاهراً نظيفاً هدفه الصدق والوفاء والنصح . وصفاء الضمير ، وخلوص النية لله تعالى .

ولمكانة المسجد وأهميته رغب النبي ﷺ في بناء المساجد . روى البخاري ومسلم رحمة الله عليهما بسنديهما عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول : من بني لله مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة . . وروى الطبراني عن أبي قُرْصَافَه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ابنوا المساجد إلى أن قال : وإخراجُ القمامة منها مهوراً الحور العين . فهنيئاً وبشرى لمن بنى مسجداً أو وسَّع مسجداً ونظفه وجعل فيه الهواء البارد والماء البارد بشرى له بالنعيم عند الحور العين في جنات النعيم .

ولتأثير الصلاة في إصلاح الأمة ، شُرِعَ لها الأذان إعلاناً بدخول وقتها لتنبيه الغافل ، وإيقاظ النائم وليجتمع المسلمون في بيت من بيوت الله ليدعو بعضهم بعضاً . وليتفقدوا أحوالهم .

وليتعاونوا على نوائب الدهر ويتصلون بربهم يناجونه ويعظمونه
ويسبحونه ويتلون كلامه ويسألونه لدينهم ودنياهم .

ولهذا يجب أن يكون المصلئ لائقاً لمناجاة ربه والوقوف بين
يديه طاهراً من الحدث الأكبر والأصغر والنجاسات بحسب
استطاعته ، وينبغي أن يكون المصلئ علي جانب من العناية بنفسه
حسب طاقته . فلا يأكل ثوماً ولا بصلاً ويلقي عنه كل ما يقلقه
ويشوش عليه في صلاته مثل مدافعة الأخبثين ومن لطف الله بعباده
وتيسيره في شرعه أسقط عن المكلف ما يعجز عنه من الأركان
والواجبات وشرع للمسافر قصر الصلاة وأباح المسح على الخفين .
والجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في وقت إحداهما
للحاجة . ومن لم يستطع استعمال الماء لعدم أو عجز أو عذر
فالتيمم يقوم مقامه . ومن له عذر يصلي بحسب حاله ﴿ لا يُكَلِّفُ
اللهُ نفساً إلاً وسعها ﴾ (٢٨٦) ﴿ [البقرة: ٢٨٦] .

ولتأثير الصلاة في حياة المسلمين ولعظم شأنها عند الله لا
تسقط عن المسلم ما دام قلبه يعي .

ولا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها أبداً مهما كان الأمر بحسب
الاستطاعة ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ .

وروى البخاري رحمه الله عن عمران بن حصين رضي الله
عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً ،

فإن لم تستطع فعلى جنب» . وقال عليه الصلاة والسلام : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» . ومن هذا أخذ بعض العلماء أن المريض إذا لم يستطع الصلاة على جنب صلى مستلقياً ، فإن لم يستطع أو مأ بطرفه . فإن لم يستطع نوى بقلبه أعمال الصلاة ، فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها ما دام القلب يعي ويدرك ما يقال له . سواء مستقبل القبلة أم لا ، وسواء كان على وضوء أم لا ، يصلي بحسب حاله .

ولمكانة الصلاة وتأثيرها في قوة المسلمين وشجاعتهم أمروا بأدائها في حال الخوف وتقابل الجيشين حتى في حال اشتباك القتال وفي حال الضرب والطعن . فالصلاة سلاح في المعركة .

ولقد كان إمامنا وقائدنا النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم الذين تربوا بالقرآن وبسنة سيد الأنام ﷺ : يلقون عدوهم بهذا السلاح قبل أي سلاح ، وكانوا متفوقين على عدوهم .

والمسلمون في العصر الحاضر إذا تخلقوا بأخلاق النبي ﷺ وتخلقوا بالقرآن ورجعوا إلى الله . وعملوا بشرائع الإسلام ، كان لهم ما لرسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم : نصر وعز وتمكين . فالصلاة تعبئة روحية تصلهم بالله الذي بيده النصر والهزيمة فيكون معهم يؤيدهم ويشبّتهم ويهبهم قوة وعزيمة . ويلقي في قلوب أعدائهم رعباً وخوراً وذلاً وهواناً .

فاتقوا الله أيها المسلمون ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ . حافظوا على صلتكم بالله .
﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات
والذكر الحكيم .

واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور
الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله
الحمد وله الشاء الحسن .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ترك أمته على
المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يُصرف عنها إلا محروم .
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد :

فكثيراً ما يُذكر القرآن المؤمنين بنعيم الله عليهم ؛ لأن المسلم
الحقيقي يعرف نعمة الله . ويعرف قيمة نعمة الله عليه . وأن من
أكبر نعم الله على المسلمين هدايتهم للإيمان بالله وبرسالة محمد
ﷺ . وكفى فضلاً وغبطة أن المسلم دائماً مرتاح البال ، طيب
الضمير ، وحاله كلها خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له .
وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له .

فاتقوا الله . أيها المسلمون واشكروا نعم الله بالقول والعمل .
واعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه . . ﴿إِنَّ اللَّهَ

وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
(٥٦) ﴿ [الأحزاب : ٥٦] . إِنْخِ الدِّعَاء .

الخطبة رقم « ١٠ »

الزواج

الحمد لله رب العالمين ، ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرُ ﴾ (٣) [غافر : ١ - ٣] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وإله الأولين والآخرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله إلى الناس كافة على فترة من الرسل ، فحمل راية الهداية وجاءنا بهذا النور الواضح فأظهر الله به الحجة وأبان المحجة . وتركنا على ملة سمحة بيضاء ناصعة ليلها كنهارها ، لا يحد منها إلا من كتب له الشقاوة .

الله صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ﷺ وعلى اله وأصحابه الذين اتبعوا النور الذي أنزل معه وجاهدوا في الله حق جهاده ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد :

فإن الزواج من سنن المرسلين ومحبيب للنفوس : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ

أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ [الروم: ٢١] .

وهو أول الأسرة وبه يبنى المجتمع .

والأصل في مشروعيته : الكتاب والسنة والإجماع .

قال سبحانه : ﴿..... فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى
وِثْلًاثٍ وَرُبَاعَ﴾ ﴿٣﴾ [النساء: ٣] .

وقال ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فليصم فإن
الصوم له وجاء» . متفق عليه .

وأجمع المسلمون على أن النكاح مشروع في دين الإسلام .

وحكم النكاح في الشرع مندوب في الجملة . وقيل :
بالوجوب في العمر مرة واحدة والناس في النكاح من جهة
الوجوب وغيره ثلاثة أنواع :

النوع الأول : نوع يخاف على نفسه أن يقع في المحظور إذا لم
يتزوج ، فهذا يجب عليه الزواج .

الثاني : له شهوة يملكها فيأمن على نفسه الوقوع في المحظور ،
فهذا يستحب له الزواج ابتغاء الولد وإحصان المرأة .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام ولي طول النكاح لتزوجت مخافة الفتنة » . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لسعيد بن جبير رضي الله عنه : « تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء » .

وقال إبراهيم بن ميسرة قال لي طاووس رحمهم الله : « لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر رضي الله عنه لأبي الزوائد ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور » .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : ليست العزبة من الإسلام في شيء والزواج مشروع بقوله ﷺ وفعله . فقد ثبت أنه ﷺ قال على أثر مقالة عثمان بن مظعون ورفاقه : « ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . وقال ﷺ : « تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثركم بالأم يوم القيامة . . » .

النوع الثالث : ليست له شهوة أبداً ولا يحصل له شيء من مقاصد الزواج لا ابتغاء الولد ولا إحصان المرأة فيكون النكاح في حقه جائز وتفرغه للعبادة أولى .

وإذا تعددت الزوجات جاز للمرأة أن تنازل عن ليلتها لضرتها .

وإذا نظرنا إلى النص الشرعي وجدنا أن سودة وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنهما وأن صفية وهبت يومها لعائشة لأن الحق

للمرأة فإذا تركت حقها بطوعها واختيارها . سقط . وصار القسم بينهما ويسقط نصيب التي وهبت . وإن وهبت ليلتها للزوج وضعها حيث شاء ؛ لأنه لا ضرر على الباقيات .

الطلاق حل عقدة النكاح أو بعضها ، وتجري عليه أحكام

خمس :

١ - يكون الطلاق واجباً في حق المولى ، مثل طلاق الحكمين

إذا رأيا ذلك .

٢ - يكون الطلاق مكروهاً إذا كان من غير حاجة ، فيكره

للرجل أن يطلق زوجته بدون سبب شرعي ، وإنما لشيء وجده في نفسه .

٣ - الثالث : يكون الطلاق مباحاً إذا كان لحاجة مثل سوء

عشرة المرأة .

٤ - الرابع : يكون الطلاق مندوباً إليه ، إذا فرطت المرأة في

حق الله تعالى ، أو في حق زوجها إذا كانت غير عفيفة .

٥ - الخامس الطلاق المحرم : وهو طلاق البدعة ، بالثلاث في

كلمة واحدة . أو حال الحيض ، أو في طهر وقع فيه اتصال جنسي

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ وطلق عبد الله بن

عمر زوجته وهي في العادة فأنكره عمر عليه فأخبر النبي ﷺ

فغضب وقال مرة : فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض وتطهر . ثم إن

بداله له أن يطلق فليطلق في طهر لم يجامعها فيه فتلك العدة التي

أمر الله أن تطلق فيها النساء .

والجمهور على أن طلاق البدعة يقع ؛ لقول ابن عمر : حُسِبَتْ عليَّ طَلقة ، ولقوله عليه الصلاة والسلام (مرة) فليراجعها والرجعة تكون بعد طلاق .

لكن إذا صدر اللفظ المقتضي وقع ما اقتضاه اللفظ والنية أمر خفي . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ (١) [الطلاق : ١] .

قال ابن كثير في التفسير خوطب النبي ﷺ بهذه الآية ابتداءً تشريفاً وتكريماً . ثم خوطبت أمته .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، اجعلوا تصرفاتكم شرعية وفق ما جاء به نبينا محمد ﷺ وخلفاؤه . واعرفوا الطلاق البدعي من غيره وافعلوا السنة .

اللهم بارك لنا في القرآن . وانفعنا بما فيه من الآيات والبيانات . وعلمنا منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا . إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقبل توبة التائبين
ويغفر ذنوب المستغفرين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين وقائد
الغز المحجلين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وصحبه الذين جاهدوا في الله حق جهاده . واختارهم الله لصحبة
نبيه ﷺ . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فأمامنا موضوع اهتم به الناس ، وهو مخالف لهدى رسول
الله ﷺ وخلفائه ، وهو الاحتفال بالمناسبات الشرعية . مثل المولد
النبوي والإسراء . ولو كان احتفال خير لسبقنا به نبينا محمد ﷺ
والصحابه والتابعون ، وإنما حدث لما استولى على المسلمين أعداء
لدينهم تظاهروا بالنصح لهم فغروهم .

ذكر في المشكاة عن قيس بن سعد قال : أتيت الحيرة فوجدتهم
يسجدون لمزبان لهم . فقلت لرسول الله ﷺ : أحق أن يسجد له .
فأتيت رسول الله فأخبرته ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أرأيت

لو مررت على قبري أكنت تسجد لي ؟ قلت : لا . فقال : لا
تفعلوا ، لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن
لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من حق » رواه أبو داود .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . إذا كان النبي ﷺ وخلفاؤه وأصحابه
والتابعون لم يحتفلوا بالمولد فهو بدعة مردودة على صاحبها ، يجد
عقابها يوم القيامة فاتقوا الله وراقبوه وارغبوا فيما عنده ﴿وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم (١١)

كل من الجنسين موافق للآخر

الحمد لله رب العالمين ، نظمَّ الغرائز في الإنسان على وفق
الحكمة التي خلقت لها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . خلق الإنسان
وتكفل برزقه ورعايته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أحل الطيبات وما
فيه نفع للإنسان وحرّم الخبائث ؛ لأنها ضرر على الإنسان .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد :

فإن الله تعالى خلق في الإنسان غرائز جنسية لحكمة التناسل
وبقاء ولد آدم إلى أن تقوم الساعة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] . ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ

يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ [النحل : ٧٢] .

فعلى الإنسان أن يأخذ بالأسباب التي من شأنها تحقيق الحكمة الربانية في التناسل والتوالد وهو الزواج الشرعي وتكوين الأسر وعلى الأولياء التيسير وتقليل المؤنة .

والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر ، وتشغل أفكارهم تلك الصلة بين الجنسين ، وتلك المشاعر تحرك نشاطهم وتدفعهم إلى اتصال الزوجية التي تفتح البيوت وتبني الأسر . ولكنهم يغفلون ، وقلما يتذكرون قدرة الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر وجعلت في تلك الصلة الشرعية سكناً للنفس وهدوءاً للأعصاب وراحة للجسم والقلب واستقراراً للحياة وأنساً للأرواح والضمائر واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء .

فيجب على الإنسان أن يدرك حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على طبيعته التي تجعله موافقاً للآخر يجد عنده ما ذكره الخالق تبارك وتعالى لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد . فالمرأة أصيلة في نظام الحياة كأصالة الذكر مع بقائها على طبيعتها ومهمتها التكوينية في الحياة . بل ربما كانت المرأة أشد أصالة لأنها هي المستقر وهي التي تنتج الأولاد وتربيهم وتتعب عليهم . وهذا الإدراك مرتبط بالإيمان . فالانحراف عن الإيمان لا تقف آثاره عند

حدود العقيدة بل تمتد إلى غيرها من العادات المستحكمة وتسير في أوضاع الحياة والتقاليد المتعارف عليها . فإذا استقام الإيمان استقامت الأوضاع ، وإذا انحرفت العقيدة والإيمان انحرفت الأوضاع ، ولئن سمعنا بمن يلزم العقيدة والشرعية الإسلامية في مسألة المرأة نتيجة لما يرونه في هذه المجتمعات المنحرفة . ولم يكلف أولئك الناعقون أنفسهم نظرة في الإسلام . وما أحدثه في حق المرأة وإنقاذها من التصورات الخاطئة .

فالإسلام أوضح مكانة المرأة في الحياة وفي المجتمع المسلم وبين رسالتها في الوجود . وأعطاهما حقها من العزة والكرامة وجعل لها حق التملك والإرث وحسن الاختيار ، ولكن أولئك يريدون إذلالها وإذهاب مكانتها في الوجود وتعطيل الرسالة التي من أجلها خلقت . وجعلها تحت إراداتهم لتنفيذ مخططاتهم المعادية للإسلام .

وحين تنحرف العقيدة ويُفقد الإيمان تنحرف التصورات والاتجاهات .

إن الإيمان بالله الواحد القهار والإيمان بقدرته وإرادته ، يقود إلى الإسلام . إلى سننه وشرعه . وقد شاء الله أن يخلق البشر والشعوب ذكراً وأنثى وجعلهما شقين للنفس الواحدة متكامل بهما وأن يتم بقاء هذا الجنس عن طريق النسل وأن يكون الغسل من التقاء

ذكر بأنثى . وقد ركبهما الخالق بإرادته وقدرته صالحين للتناسل ،
 مجهزين عضوياً ونفسياً لتلك المهمة كل فيما يخصه . والخالق تبارك
 وتعالى نظم هذا اللقاء لبناء البيوت وتكوين الأسر . هذه سنة الله
 التي يتصل العلم بمقتضاها بالإيمان بالله وبحكمته ولطفه . فإذا
 حصل انحراف عنها فهو مرتبط بالانحراف عن الإيمان كلياً أو جزئياً
 ، فتتحرف الفطرة ويتضح انحراف الفطرة في قصة قوم لوط . وقد
 تجاوزوا المنهج الإلهي المتمثل في الفطرة . فإذا هم يريقون ويبعثرون
 الطاقة البشرية في غير موضعها .

﴿ وَلَوْ طَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
 مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَنتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ
 الْمُنْكَرَ (٢٩) ﴾ [العنكبوت : ٢٨ ، ٢٩] .

فإتيان الذكر الذكر فاحشة شاذة قذرة تداني انحراف الفطرة
 وفسادها . فلا هدف لتلك الفاحشة ولم يخلق الذكر للاستعمال
 والتلذذ فإذا وجد أحد تلذذاً بالذكر فقد انسلخ نهائياً من خط الفطرة
 وصار ممسوخاً لا يرتبط بنظام الحياة ، والذين استقامت فطرتهم
 يستقذرون ذلك العمل . فُقُبِحَ ذلك العمل مستقر في الطباع
 السليمة . وفيه تشبيه بالبهايم من همها الشهوة ، بل أخبث وأشنع
 فإن البهايم لا تعمل عمل قوم لوط إلا ما روي عن الخنزير والحمار
 فمن يرضى لنفسه أن يشابه الخنازير والحمير . ولو أن اللوطي آمن
 بأن الله حرمه لما فعله ولو آمن بأن الله يراه ما قرب منه فإن المفعول

فيه يلحقه العار والذلة والصغار والعيب الكامل على وجهه لا يزول . والعاقل لا يُلحق العيب بغيره من أجل لذة خسيصة تنقضي في الحال .

إن هذا العمل القبيح يسبب العداوة المستنكرة بين الفاعل والمفعول فيه . وقد تؤدي تلك العداوة إلى أمر لا تحمد عقباه .

قال القرطبي في تفسيره جامع الأحكام : (سمى الخالق تعالى هذه الجريمة فاحشة لبيان أنها زنى قال سبحانه ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] . قال : واختلف العلماء فيما يجب على من فعل ذلك بعد إجماعهم على تحريره . فقال الإمام مالك - رحمه الله - : يرمم الفاعل أحسن أو لم يحسن . وأما المفعول به فإن كان قد بلغ رجم . ومستند الإمام مالك قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْنَا عَلَيْهِ حَجَارَةٌ مِنْ سَجِيلٍ﴾ . وما رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي والدارقطني أن رسول الله ﷺ قال : «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط - فاقتلوا الفاعل والمفعول به» وعند الترمذي : «أحصنا أو لم يحصنا» .

وروى أبو داود والدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنهما في البكر يوجد على اللوطية قال : يرمم .

وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه حرق رجلاً يسمى الفجاءة حين عمل عمل قوم لوط . وقال علي بن أبي طالب

رضي الله عنه : إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما علمتم أرى أن يحرق بالنار ، فأجمع الصحابة رضي الله عنهم على تحريق اللوطي بالنار .

وأحرق ابن الزبير اللوطية في زمانه . وأحرقهم هشام بن الوليد ، وأحرقهم خالد القسري بالعراق . قال ابن العربي رحمه الله : والذي صار إليه مالك أحق فهو أصح سنداً وأقوى معتمداً . وذكر القرطبي قول الشافعي وقول أبي حنيفة رحمة الله عليهما .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوا ربكم فإنه يراكم ويعلم أعمالكم ويسمع نجواكم . اتقوا الله عباد الله «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» .

يا شباب الإسلام خذوا بتوجيهات نبيكم ﷺ .

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) ﴿[التوبة: ١٢٨] .

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعانة الدائمة في الدنيا والآخرة .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والرضا والغنى والعفاف .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٠) ﴿[الحشر: ١٠] .

اللهم اغفر لنا ولا بائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . حلّل وحرم لمصلحة الناس ، لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق بني آدم لعبادته وطاعته ، منه المبتدأ وإليه المعاد فيجازي كل عامل بعمله .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين فبشر وأنذر ورغب وحذر . ﴿وما على الرسول إلا البلاغ﴾ .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقوى ومن تبعهم واهتدي .
أما بعد :

فإن عمل قوم لوط عاقبته وخيمة على الفاعل والمفعول به . فاللواط نذير الرعب . ودواعي الخيبة ، ودليل على سقوط الأخلاق وانحراف الفطرة . ودليل الخسة والدناءة . وسبب لانتشار الأوبئة والأمراض المهلكة . ويسبب غضب الرب تبارك وتعالى ولعنته .

ويوجب الحد الشرعي القتل سواء بالنار أو بالسيف . ولا تقبل شهادة الفاعل ولا المفعول فيه ؛ لأنه كبيرة من الكبائر تُردُّ به

الشهادة . وفعلُ اللواط دليل قلة الإيمان وقلة الحياء من الله . فالله يسمع ويرى ولو آمن العاصي بأن الله يسمعه ويراه ما أقدم على معصيته .

فاتقوا الله عباد الله . المشرع هو الله ، فلا يجوز لأحد أن يحل ما حرم الله ولا أن يحرم ما أحل الله . فاتقوا الله عباد الله ، خافوا من الله واتقوه واحذروا سخطه وعقابه . فاتقوا الله أيها الناس في أي مكان وراقبوه . فالخلق خلق الله والأمر أمر الله .

ثم اعلموا رحماني الله وإياكم أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم « ١٢ »

عناية الإسلام بالمرأة

الحمد لله رب العالمين ، أكرم النساء وأعطاهن حقهن وافراً غير منقوص .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك . أعدل الحاكمين .
﴿... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾
[المائدة: ٥٠].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه ،
وأدّى أمانته كاملة ، ونصح لأمته . وجاهد ﷺ في الله حق جهاده . وكان بالمؤمنين رحيماً .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن آمن به وعمل بستته .

أما بعد :

فإن الإسلام اعتنى بالمرأة عناية تامة وأعطاهها حقها جزلاً
وافراً . أعطاهها حقها في الكسب وجعل لها حق التملك من المال
وفي الثواب والعقاب ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ

مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾
[النساء : ٣٢] . الآية مطلقة عامة فتشمل كسب الآخرة والدنيا .

وكانت المرأة قبل الإسلام تُورث ولا تُورث فأعطاهما الإسلام حقوقها . وكانت مهانة مضطهدة عند أهل الكتاب ، وعند العرب لا يقبل رأيها ولا قولها فأكرمها الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ...﴾ [النساء : ١٩] .

قال البخاري رحمه الله كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته إن شاؤوا تزوجها أحدهم وإن شاؤا زوجها (أي وأخذ واجدتها وإن شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها فأبطل الإسلام ذلك وجعل لها حقها وأعطاهما الإسلام حقها من الميراث وكانت من قبل تورث هي كالمتاع ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (١) . ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (٢) .

أعطى الإسلام المرأة حقها في اختيار الزوج الصالح ، وما

(١) النساء ، الآية : ٧ .

(٢) النساء ، الآية : ١١ .

اشترط الولي إلا لأن الرجال يعرفون الرجال ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (١).

وقال ﷺ : لا تنكح البكر حتى تستأذن (وإذنها صماتها)، ولا تنكح الثيب حتى تستأمر فتقول زوج وتنعّم بحسناتها وتُعذب بسيئاتها كالرجل وتدخل الجنة . فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلمها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت» (٢) رواه أبو نعيم في الحلية . وله شواهد تقويه ويرقى بها إلى الصحة .

وجعل لها حق النظر متحجبة إلى الذين يلعبون قريباً من دارها قالت عائشة رضي الله عنها : «والله لقد رأيت النبي ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف» (٣).

وجعل الله لها حق مسابقة الزوج والمزاح معه ، فعن عائشة

(١) البقرة ، الآية : ٢٣٢ .

(٢) مشكاة المصابيح : ٢ / ٢٠٢ والحديث برقم ٣٢٥٤ .

(٣) مشكاة المصابيح : ٢ / ١٩٩ .

رضي الله عنها قالت : تسابقت أنا ورسول الله قبل أن أحمل لحماً فسبقته ثم سابقته بعد أن حملت لحماً فسبقني . فقال : هذه بتلك ، اللهم صل وسلم على صاحب الخلق العظيم (١) .

وقال نبي الرحمة ﷺ لعائشة رضي الله عنها : «إني لأعرف إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى . قالت : من أين تعرف ذلك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إذا كنت عني راضية قلت : لا ورب محمد . وإذا كنت عني غضبى قلت : لا ورب إبراهيم . قالت : قلت أجل والله يا رسول الله إني ما أهجر إلا اسمك» (٢) متفق عليه .

وجعل الإسلام للمرأة حق النفقة والكسوة والسكن ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٧) [الطلاق : ٧] .

وقال ﷺ : «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » رواه مسلم وغيره .

وجعل لها الإسلام حق المخالعة إذا لم تطق الصبر على الزوج . جاءت امرأة ثابت بن قيس فقالت : يا رسول الله ما أعتب

(١) انظر مشكاة المصابيح : ٢ / ٢٠٢ .

(٢) المشكاة : ٢ / ١٩٩ .

على ثابت في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : أتردين عليه حقيقته ؟ قالت : نعم . فقال ﷺ لثابت : خذ الحديقة وطلقها تطليقة » رواه البخاري .

إذا عرفنا هذا وغيره كثير ، فما بال بعض النساء لا ترضى بما كتب الله لها ، يجب عليها الرضا بعدالة الإسلام . بعض النساء ترى أن البيت سجنًا والأولاد قيدًا ، تحب أن تكون مثل الرجل في أعماله ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ... ﴾ (٣٢) [النساء : ٣٢] . ألا يكفي المرأة أنها هي التي تُنشئ الرجال وتربهم وتؤدبهم وتؤهلهم . ألا يكفي النساء ما أعطاهن الله ورسوله ﷺ من الحقوق التي كانت ضائعة الذي يقنع بما كتب الله له وهو العدل في أحكامه . فقد كمل عقله . ومن لم يرض فهو ناقص العقل والدين . والمرأة جزء من الرجل فلا بد من التعاون على الحياة فكل خلق لعمل لا يقوم به الثاني .

فلما رأى الغرب أن الإسلام أعطى النساء حقهن أراد أن يغطي ما مضى . فأفلت المرأة ودعا لانفلاتها وتحللها من جميع الأخلاق ليسهل صيدها ، إذا وجدت بين الرجال ، وقصر الثوب ليعرف من حال الساقين حال بقية الجسم .

فاتقي الله أيتها المرأة المسلمة عليك الرضا بما كتب الله فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وأزواجنا وذرياتنا والمسلمين أجمعين إنك أنك الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، نظم حياة عبادہ وألزمهم بكفالة أولادهم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أوجب على الأبوين حضانة طفلهما وعلى الوارث مثل ذلك .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير الهادي القدير .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن أتبع سبيله .

أما بعد :

فإن الأم أحق بكفالة ابنها ذكراً كان أو أنثى قبل سبع سنين . ما لم تتزوج ؛ لأنه يتعلق بها حق الزوج . فإذا بلغ الصبي الذكر سبع سنين خير بين أبيه وأمه .

كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عنبه وقد نفعتني فقال النبي ﷺ : هذا أبوك وهذه أمك فخذ بيد أيهما شئت فأخذ بيد أمه فانطلقت به « رواه أبو داود وأجمع عليه الصحابة .

أما الأنثى فإذا أتمت سبع سنين ففيها خلاف بين العلماء؛
فبعضهم قال تكون عند أيها ؛ لأنه أحفظ لها .

وقال بعضهم : تخير كالغلام .

وقال بعضهم : تكون عند أمها حتى تتزوج . أو تحيض على
خلاف .

والمقيم أحق بالحضانة من الذي يسافر من بلد إلى بلد ثم يعود؛
لأن السفر بالصغير ذكراً كان أو أنثى فيه إضرار به والمقصود من
الحضانة أو الكفالة الإرفاق بالصغير ، وصلاحه وتربيته .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . احرصوا على مصالح أولادكم فإن
الإسلام حرص على مصالحهم وتربيتهم والنظر الأحفظ لهم .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير
فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم « ١٣ »

أخذ الحذر من فتنة النساء

الحمد لله رب العالمين . شرع الأحكام لإصلاح العباد وسعادتهم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لطيف في علمه حكيم في أمره ونهيه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . رحيم بأمته يعز عليه ما يشق عليهم . حريص على أنفسهم في دينهم ودنياهم .

اللهم صل وسلم وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد .

أما بعد :

فلما ذكر سبحانه وتعالى في سورة النساء أنواعاً من الأحكام في الموارث والمحللات والمحرمات ونهى عن الفاحشة أعقبها بقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ

قال المفسرون : أي ليبين لكم ما أحل لكم وما حرم عليكم .
كقوله سبحانه : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ [الأنعام: ...] ؛
فالخالق تعالى يتلطف مع خلقه فيبين لهم حكمة تشريعاته ويكرمهم
ويرفعهم إلى هذا المستوى ويقول لهم : إنه يريد أن يكشف لهم عن
حكيمته ليتقبلوا تشريعاته بقناعة وإدراك .

ولكن لا يدرك مدى هذا التكريم إلا من يعرف مقام الألوهية
ومقام العبودية ودين الله الذي شرعه للمؤمنين منهج ثابت في
أحواله . مُوحد في مبادئه مطرد في غايته وأهدافه . وهو منهج
المؤمنين في كل مكان وزمان فمن علمه وحكمته جل شأنه تصدر
تشريعاته .

فالآية تكشف عن حقيقة ما يريده الله بالبشر حين يشرع لهم
ويبين الحلال والحرام . كما يبين حقيقة ما يريده أعداء المسلمين ،
أعداء الإنسانية الذين يتبعون الشهوات ولا يتبعون منهج الله .

وكل ما حاد عن منهج الله فهو اتباع للشهوات ، فطريق
السعادة واحد هو الجد والاستقامة ، وما عداه هوى متبع ،
وشهوات تطاع . وانحراف وضلال .

وحين يُشرع سبحانه ويبين منهجه ، إنما يريد أن يتوب على
المؤمنين به وبرسالته . يريد أن يهديهم صراطاً مستقيماً ، وأن يجنبهم

المهالك والمزالق .

يريد الله تبارك وتعالى أن يطهر المجتمع الذي ينتمي إليه .
حتى يلقاه الرجال والنساء على الهيئة التي يحبها الله .

يريد أن يرفعهم إلى المرتقى الذي يليق بالمؤمنين ، يليق بحزب
الله .

أما الذين يتبعون الشهوات فيريدون إطلاق الغرائز من كل قيد
بلا حاجز وبلا نظام والشهوات حينما تُفَلَّتْ وتُتَبَع لا يَقْر معها
قلب . ولا يَسْكُن عصب ، ولا يطمئن بيت ولا يسلم معها عرض ،
ولا تقوم معها أسرة .

يريد الذين يتبعون الشهوات أن يعود الآدميون قِطْعَاناً من
البهائم ينزروا فيها الذكران على الإناث بلا ضابط وبلا نظام ولا
هدف . إلا إشباع الرغبة واتباع الهوى . وإفساد المجتمع وإشغال
الناس عما يريده أولئك . وهذا هو الميل الذي يحذر الله منه
المؤمنين ومن يتبع الشهوات والأقلام الهابطة والأجهزة الموجهة
لتحطيم ما بقي من التشريعات والنظم الإسلامية .

قال الحافظ ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ
عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (٢٧) ﴿
[النساء : ٢٧] : أي : يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى
والزناة أن تميلوا عن الحق إلى الباطل .

وقال ابن أبي حاتم : ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (٢٨) [النساء :
٢٨] ، أي : في أمر النساء .

وقال وكيع : يذهب عقله عندهن .

ونقل القرطبي أن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : لقد أتني
علي ثمانون سنة وذهب إحدى عيني وأنا أعشوا بالأخرى
وصاحبي أعمى أصم - يعني عضوه وإني أخاف من فتنة النساء .
ونُقل عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : ألا تروني لا أقوم
إلا رَفْدًا أي معانًا ولا أكل إلا ما لَوَّقَ لي يعني لُين وسُخن . وقد
مات صاحبي من زمان وما يسرني أن أدخلوا بامرأة لا تحل لي مخافة
أن يأتي الشيطان فيحركه عليَّ فاتقوا الله أيها المؤمنون اتقوا الله يا
دعاة الاختلاط اتقوا فتنة النساء .

قال الرازي (١) كان المجوس يحلّون الأخوات وبنات الإخوة
وبنات الأخوات ، فلما حرّمهن الله وأحل بنت الخالة وبنت العمّة
قالوا : الخالة والعمّة عليكم حرام فكيف تحلون بناتهن فانكحوا
أيضاً بنات الأخ والأخت ، قاتلهم الله : قياس مع الفارق . فتحرّيم
بنات الأخ والأخت ؛ لأن قرابتهما من جهة ذات الشخص فيحرّم
وتحرّم بناتهن على ذات الرجل إلى الأبد .

أما العمّة والخالة فتحريمهما لقرابتهما بِأَبِ الإنسان فتحل

(١) الرازي : ١٠ / ٦٧ .

بناتهما للولد دون الأب .

وقوله سبحانه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٨] .

من ذلك إباحة نكاح الأمة عند الحاجة ومنه تيسيره وتسهيله في التشريع ولم يُثقل التكيف كقوله سبحانه : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وقوله : ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ ، وكقوله ﷺ : « جئكم بالحنيفية السمحة السهلة » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . وكقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، هداانا لمعالم دينه الذي ارتضاه لنفسه .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحب التوايين
ويحب المتطهرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد
الغر المحجلين . اللهم صل على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى
آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد :

فبعضُ الناس يظن أن التقيد بمنهج الله شاق مُجهد وأن
الانطلاق وراء الذين يتعبون الشهوات ميسر مريح ، وهذا وهم
وظن سوء . والواقع الماضي يبين الحقائق . فانظر أيها الإنسان إلى
سيرة النبي ﷺ وأصحابه وخلفائه والتابعين لهم بإحسان . وتعامل
حياة المجتمعات التي تحررت كما تزعم من قيود الدين والأخلاق
والحياء . تجدا أن النخبة المتدينة المطيعة لربها الملتزمة بنظام الإسلام
في راحة واطمئنان وعز ونصر وتميكن ورفع ورقي وتقدم وقرب
من الله وسعادة تامة وراحة شاملة وأيضاً الذين ساروا على سنتهم
يتمتعون بالراحة النفسية والأمن والرخاء والاستقرار ، وتيسير
الأمور وحل المشاكل بسهولة وتوفيق مثل هذه المملكة العربية

السعودية . وانظر إلى حياة الذين اتبعوا الشهوات وانفلت عندهم زمام الأخلاق وذهبت منهم الغيرة والحياء .

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية معولاً هداماً حطم حضارتهم وانهارت قواهم . فَدَيَّدَنَّهُم الانهزام في كل معركة يخوضونها . فسيطر عليهم الانهيار التام . فاضمحلّت قواهم الجسدية ؛ لأن الهياج المسعور يوهن الأعصاب . وطغيان الأمراض السرية أجحفت بصحتهم . فأين الدولة التي تسمى نفسها قاهرة البحار . وأين الدولة التي تسمى نفسها قاهرة الصحراء . أين الدولتين اللتين استعمرت العالم . اضمحلّت قوتهم وانهارت أعصابهم بسبب انفلات الأخلاق والبعد عن منهج الله . إن الأمر لله ، والحكم لله . والعز والنصر بيد الله . فمن اتبع شريعته وآمن برسالته وبرسوله وكان معه أيّده ونصره .

ومن نسيه ونسي شريعته ، نسيه الله ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ .

فاتقوا الله أيها الناس ، راقبوا ربكم واشكروا نعمة الله عليكم ﴿واذن تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [سورة . . .] .

ثم اعلّموا أن الله تعالى أمركم في كتابه بالصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ فقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) ﴿[الأحزاب : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم (١٤)

الحدود

الحمد لله رب العالمين . حد الله حدوداً لإصلاح البشر
ولزجرهم عن محارم الله .

وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له ، لا تنفعه طاعة المطيع ولا
تضره معصية العاصين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نفذ الحدود وأمر بتنفيذها .
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه أهل الفضل والتقوى ومن تبعهم بإحسان واهتدي .
أما بعد :

فإن العقوبات المقدرة في شرع الله تسمى حدوداً مثل : السرقة
والقذف ، والزنا والشرب ، وقطع الطريق . وإنما شرعت الحدود
لتمنع من الوقوع في المعصية .

وإقامة الحد للإمام أو نائب الإمام ، وتحرم الشفاعة في حد من
حدود الله ؛ لما روى مسلم والبخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي
الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا :

من يكلم فيها رسول الله ﷺ . قالوا : ومن يجترئ عليه . إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال : «أتشفع في حد من حدود الله!! . ثم قام وخطب ثم قال عليه الصلاة والسلام إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله يقول : «من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع ، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال » والردغة عصارة أهل النار . رواه الإمام أحمد وغيره .

وتحرم إقامة الحد في المسجد لما روى حكيم بن حزام أن النبي ﷺ نهى أن تقام الحدود في المساجد . وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرقى برجل زنى فقال : أخرجوه من المسجد واضربوه .

ولا يكفي في إقامة الحد علم الإمام ، فلا بد من بينة أو اعتراف ، وينبغي أن يحتسب الإمام في إقامة الحد ويقصد به وجه الله ، وتأديب العصاة ، وتنفيذ شرع الله ، ويأثم إن جلدته للتشفي ، أو لغرض في نفسه غير شرعي .

وأشد الجلد في الزنا ، ثم جلد قذف ، ثم شرب خمر ، ثم تعزير .

ويختار الإمام أداة الجلد جريداً أو نعالاً أو بأيدي وخاصة في حد الشرب ولا يؤخر استيفاء الحد لمرض ولا نفاس ، ولا حر ولا لبرد ولا ضعف محدود لوجوبه فوراً ويكون السوط بحسب حال المحدود وقوته وضعفه ومرضه . حتى لو كان عثكول نخل أي عذقاً فيه شماريخ بعدد الجلادات ؛ لما روى أبو أمامة بن سهل عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً اشتكى حتى ضنى فدخلت عليه امرأة فهش لها فوق وقع بها فسئل له رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ مائة شمراخ فيضربوه ضربة واحدة . رواه أبو داود والنسائي . فترك من عليه حد غير جائز وضرب المريض ما قيد يتلفه .

وإذا كان المحدود في رجم أو جلد امرأة حامل فلا يقام عليها الحد حتى تضع لئلا يتضرر الجنين .

والسكران لا يقام عليه الحد حتى يصحو . وبعد إقامة الحد يحرم إيذاء المحدود بكلام أو غيره .

وإذا كان ثبوت حد الزنا أو السرقة أو خمر ونحوه بإقرار ثم رجع قبل إقامة الحد قبل منه ؛ لأن الحدود تُدرأ بالشبهات . وفارق الحد سائر الخصومة ؛ لأنها لا تُدرأ بالشبهات . فلو اعترف بمال لإنسان ثم رجع لم يقبل رجوعه ، وإن اجتمعت حدود من جنس

واحد على شخص حد حداً واحداً .

وإن كانت من أجناس بأن زنا وسرق وشرب فلكل واحد حد فيبدأ بالأحق فالأحق فيجلد أولاً لشرب ، ثم لزنا ، ولا يستوفي حد حتى يبرأ الذي قبله ، وإن فعل حدوداً فيها قتل بأن كان زانٍ محصن ، استوفي القتل وحده ويسقط البقية . لما روى سعيد بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : إذا اجتمع حدان أحدهما القتل أحاط القتل بذلك ولا يعرف له مخالف من الصحابة فكان كالإجماع .

والحد كفارة لما اقترف من الذنب ؛ فعن خزيمة بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ من أصاب ذنباً فأقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ . قال : «من أصاب حداً فعجلت عقوبته في الدنيا في الدنيا فإن الله أعدل من أن يثني على عبده العقوبة في الآخرة والمعاصي التي فيها عفو باب محددة هي :

١ - الزنا .

٢ - القذف .

٣ - السكر .

٤ - السرقة .

٥ - قطع الطريق والإفساد في الأرض .

أما الزنا فهو معروف وهو أعظم ذنب بعد الشرك وقتل النفس

المحرمة . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أي ذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزني بحليلة جارك . فأنزل الله سبحانه وتعالى تصديقها ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان : ٦٨] .

فالمُحصن هو الذي وطئ زوجته في نكاح صحيح . بعد الإسلام أو قبله فيرجم المحصن حتى يموت ويجلد غير المحصن ، مائة جلده ويغرب سنة عن بلده ليموت ذكر الفاحشة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الأسلمي إلى النبي ﷺ ، فشهد على نفسه أربع مرات بأنه أصاب من امرأة حراماً كما يصيب الرجل امرأته حلالاً . وفي كل مرة يعرض عنه النبي ﷺ . فأقبل في الخامسة فقال عليه الصلاة والسلام : أَنْكِتَهَا ؟ قال : نعم . قال حتى غاب ذاك منك في ذلك منها ؟ قال : نعم . قال : كما يغيب المروء في المكحلة والرشاء في البئر ؟ قال : نعم . قال : هل تدري ما الزنا ؟ قال : نعم أتيت منها حراماً كما يأتي الرجل من أهله حلالاً . قال : فما تريد من هذا القول . قال : أريد أن تطهرني فأمر به فرجم . وقال ﷺ : والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها . وفي سنده مجهول .

وأما القذف بزنا أو لواط فحده ثمانون جلده لقوله سبحانه

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ [النور: ٤، ٥] .

فيطالب القاذف بالزنا بأربعة شهود ، فإن أحضرهم ، وإلا جلد ثمانين جلدة وحكم بنفسه حتى يتوب ويعلن توبته .

وأما شرب المسكر فما أسكر كثيره فقليله حرام ، فحده ثمانون جلدة ؛ لأن عمر استشار الناس في حد الخمر ، فقالوا : إذا سكر هذى وإذا هذا افترى فحدّه حد الفرية . وكتب بذلك إلى عماله في الأمصار .

ويثبت شرب مسكر بإقرار به مرة واحدة أو بشهادة عدلين فإذا جاش العصير فهو مسكر حرام ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : علمت أن رسول الله ﷺ كان يصوم فتمنيت فطره بنبيذ صنعته في دباء . ثم أتيته به فإذا هو ينش فقال ﷺ : « اضرب بهذا الحائط فإن هذا شراب من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر » .

وأما السارق ، وهو الذي يأخذ مال غيره من حرزه خفية فحده قطع يده اليمنى من مفصل الكف الذي فيه الأصابع ؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨] . فلما ترك بعض الناس إقامة الحدود عمت لديهم الفوضى وتثبت السرقة باعتراف مرتين أو شاهدي عدل .

وقطاع الطريق والمفسدون في الأرض ، حدهم القتل ؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣] .

وسواء كان قطع الطريق في صحراء أو في بنيان ، بل البنيان أشد .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللهم علمنا من القرآن ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا .
اللهم انصر المسلمين وأيدهم بتأييدك وأنزل الرعب في قلوب أعدائهم . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نطقاً بها وعملاً بمقتضاها .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله رحمة الخلق ورسول الثقلين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبله .
أما بعد :

فقد ذكر العلماء تعريف أهل البغي فقالوا : وهم الخارجون على الإمام سُمُوا بُغَاةً لعدولهم عن الحق ، وما عليه أئمة المسلمين .

ويجب على عامة الناس أن يكونوا مع الإمام ومع نائبه ضد أهل البغي ؛ لقوله تعالى : ﴿... فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٩﴾ [الحجرات : ٩] ؛ ولقوله ﷺ : «من أتاكم وأمركم جمعٌ علي رجل واحد يريد أن يشق عصاكم

ويُفرق جماعةكم اقتلوه) رواه مسلم وغيره وقاتل عليُّ أهل
النهر وان فلم يُنكر عليه . وقوله ﷺ : « من فارق الجماعة شبراً
فميتته جاهلية » متفق عليه .

وفي الحديث المتفق عليه عن علي رضي الله عنه قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « سيخرج قومٌ في آخر الزمان حدثاء الألسن
سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم
حناجرهم ، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية ، فأينما
لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة » (١) وعند
مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : « تكون أمتي فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم
بالحق » .

وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن أنس
ابن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : سيكون في أمتي
اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسئون الفعل يقرؤون القرآن
لا يجاوز تراقيهم ، يرقون من الدين مرق السهم من الرمية ، لا
يرجعون حتى يرتد السهم إلى فوقه . وهم شر الخلق والخليقة ،
طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منافي شيء .
من قاتلهم كان أولى بالله منهم قالوا : يا رسول الله : وما

(١) مشكاة المصابيح : ٢ / ٧٨١ .

سيماهم؟ قال : التحليق أي استئصال شعر الرأس « رواه أبو داود .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا بذلك في كتابه العزيز فقال

سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا

عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) [الأحزاب : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم « ١٥ »

خطبة عيد الأضحى

الله أكبر .

الله أكبر كلما أهل الحجاج محرمين ملين .

الله أكبر كلما أفاضوا من عرفات مغفوراً لهم فرحين .

الله أكبر كلما رموا جمرة العقبة مهللين مكبرين .

الله أكبر كلما أفاضوا إلى البيت العتيق مستبشرين .

الله أكبر عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته .

الحمد رب العالمين . تفرد بالوحدانية ليس له شريك ولا ظهير
ولا يَشْفَعُ أحد عنده إلا بإذنه .

خلق الجن والإنس لعبادته ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
(٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾ (٥٧) [الذاريات : ٥٦ ،
٥٧] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جواد كريم رب
رحيم يعطي الجزيل ويقبل القليل .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين ، بشيراً
ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد خاتم
الأنبياء أفضل خلق الله سيد الأولين والآخرين . وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد :

فإن عيد الأضحى فرحة بعبادة يحبها الله ويأتنام حجاج بيت
الله معظم مناسكهم وفرحة بما أفاض الرب على أهل عرفات من
نفحاته ومغفرته ورضوانه ، وبين المقيم والحاج تشابه في بعض
الأعمال .

فإذا كان الحاج يلبي ويوحّد الله ويُعظمه ، فالمقيم يكبر الله
ويحمده ويوحده .

وإذا وقف الحاج بعرفات ، فالمقيم يصوم ذلك اليوم رجاء
مرضات الله ومغفرته ، وإذا اجتنب الحاج محظورات الإحرام
فالذي يريد أن يضحي اجتنب أخذ شيء من ظفره أو شعره أو
بشرته حتى يذبح أضحيته ، وإذا أفاض الحاج من مزدلفة إلى منى
أفاض المقيمون من البيوت إلى مصلى العيد .

وإذا ذبح الحاج فديته ذبح المقيم أضحيته ، وفي أيام التشريق
يشرع للحاج رمي الجمرات الثلاث ، واستحب للمقيمين الزيارات

وصفاء القلوب ونبذ الخلاف .

والرابطة القوية بين المسلم وأخيه المسلم هي العروة الوثقى يلتف حولها المسلمون كما التف حولها محمد رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم .

إن الأضحية مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع . قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) ﴾ [الكوثر : ١ - ٣] .

وروى البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده سمي وكبر ووضع رجله على صفحتيهما .

وأجمع المسلمون على مشروعية الأضحية ، فمنهم من جعلها واجبة على المقتدر ؛ لقوله ﷺ : من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا .

والجمهور على أنها سنة ، ومعروف أنه لا ينبغي لمن قدر عليها تركها . والمقصود من الأضحية التقرب إلى الله بتكبيره وتعظيمه . لا من أجل لحمها لكن من أجل التقوى والتوحيد والإخلاص لله سبحانه ، ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) ﴾ [الحج : ٣٧] .

ولذبح الأضحية وقت معلوم يبدأ من بعد انتهاء صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق . روى البخاري رحمه الله عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما نبأ به يومنا هذا نصلي ثم نرجع فننحر ، من فعله فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل (أي قبل الصلاة) فإنما لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء ويشترط للأضحية أسنان معلومة ، وهي الشني من كل شيء ويجزئ الجذع من الضأن خاصة ، فالشني من الإبل ما تم له خمس سنين ومن البقر ما تم له ستان ، ومن المعز والضأن ، ما تم له سنة .

وقد جعل الله للشني وللجذع علامات ظاهرة ، فالشني الذي نبت له سنان في الوسط أكبر من الأولان . والجذع بأن يفترق الصوف الذي على الظهر يمناً وشمالاً فيطيح على الجنين وكان قبل تمام ستة أشهر واقفاً .

ويشترط في الأضحية سلامتها من العيوب التي تنقص الثمن .
الله أكبر الله أكبر .

وتجزئ البقرة والبدنة كل واحد عن سبعة أشخاص ، وتجزئ الشاة سواء معزاً أو ضأناً عن الرجل وأهل بيته .

وأفضل كل نوع أسمنه ، وأكثره لحماً ، وأغلاه ثمناً .

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣٢)

[الحج : ٣٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما تعظيمها استسمانها واستحسانها . والسنة أن يأكل ثلثاً ويهدي ثلثاً ويتصدق بثلث .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد .

يجب التزام جانب الأدب مع الله في الاعتقاد وفي الأسماء والصفات وفي طلب قضاء الحوائج .

وحدوا الله في ذاته ، وبأفعالكم ، فإنكم في قبضته وتحت قهره . احذروا الكبائر كلها ، فإنها تسخط الرب وجرأة على الله ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَ﴾ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴿ [الانفطار: ٦ - ٨] .

أدوا الصلوات المكتوبة في أوقاتها ، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً . وعلى الرجال أداؤها مع جماعة المسلمين في المساجد . جاء رجل وأظنه ابن أم مكتوم فقال : يا رسول الله : إنني رجل أعمى والمدينة كثيرة الهوام والطريق وعرفهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : تسمع النداء ؟ قال : نعم . فقال : أجب ؛ لا أجدل لك رخصة .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة

نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم إلى أن قال : ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يمر بين الرجلين حتى يأتي الصلاة . وقال : إن رسول الله علمنا سنن الهدى ، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه .
أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم فقد أعطاكم الله الكثير ورضي منكم القليل .

برؤا آباءكم وأمهاتكم . وإياكم والعقوق ، فإن مفتاح الجنة تحت أقدام الأمهات ، فمن حرم رضاها حرم الجنة إلا ما شاء الله (١) .

مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وخذوا على يد السففيه ، تابعوا أولادكم واعرفوا من هم جلسائهم وإلى أين يذهبون إذا سافروا فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، والتي ليس معها راع .
إياكم وسوء الظن ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

واحذروا الخمر بكل مسمياتها ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٩١) ﴿ [المائدة : ٩١] .

واحذروا اللواط فإن عاقبته وخيمة ويقضي على الرجولة وجزاؤه شديد .

احذروا الزنا ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٣٢) ﴿ [الإسراء :

. [٣٢

(١) الترغيب والترهيب : ٣ / ٣١٦ .

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿١٧٩﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٠﴾ [البقرة: ١٧٩].

واحذروا الغدرَ والسَّرقةَ ، فإنَّ اليدَ إذا كانت أُمينة كانت يمينه فإذا خانت هانت ﴿١٧٩﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾ [المائدة: ٣٨].

صوموا شهرَكم ، فإنَّما هو شهر من اثني عشر شهراً ﴿١٨١﴾ ... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... [البقرة: ١٨٥].

وَأَدُّوا الْحَجَّ الْوَاجِبَ عَلَيْكُمْ ، وَمَنْ حَجَّ فَرَضَهُ فليوسع لإخوانه المسلمين ، فإنَّ الأمانةَ محدودة ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٨].

اللهم بارك لنا في القرآن وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا .

اللهم علمنا من القرآن ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا .

اللهم يسر ليضيوفك مناسكهم وحجهم وتقبل منهم واغفر لهم .

اللهم يسر للمقيمين أمورهم وثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وتقبل منهم صالح أعمالهم .

واغفر لنا ولجميع المسلمين . إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الله أكبر الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .
الله أكبر .

الحمد لله رب العالمين ، عليه توكلت وإليه أنيب ، وأعوذ بالله
من الضلالة ومن المعصية ومن الشك والعمى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . هداً للإيمان
ورحماً بنبينا محمد ﷺ فهدانا به وأيدنا ونصرنا على عدونا وجعلنا
في الله إخواناً متحابين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه الله رحمة
للعالمين ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى
آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، وبشكر نعم الله ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) ﴿
[إبراهيم : ٧] .

فما شكر قوم نعم الله عليهم وأطاعوه إلا أعزهم ونصرهم ،
وما كفر قوم نعم الله ، ولم يتوبوا إلا سبلوا عزهم وسلط الله
عليهم عدوهم ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعِزُّ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مِمَّنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ [آل عمران : ٢٦] .

فاتقوا الله عباد الله ، وأطيعوا الله ورسوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ [آل عمران : ٣١] .

واعلموا أن طاعة ولي الأمر من طاعة الله ومن طاعة رسوله ﷺ فتجب طاعة ولي الأمر بنص القرآن والسنة والإجماع .

قال سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾ [النساء : ٥٩] .

وروى مسلم في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك» . قال العلماء : تجب طاعة ولاية الأمور فيما يشق وتكرهه النفس .

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه زيادة . وألا ننازع الأمر أهله ، فحرام على الإنسان مهما كانت درجته العلمية أن ينازع ولاية الأمور في ولايتهم ، وحرام إيذاء المسلمين والإضرار بهم بدنيا وماليا من أجل شخص آخر أو أشخاص .

قال جل شأنه في محكم التنزيل : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (٥٨)
[الأحزاب : ٥٨] .

وأجمع المسلمون على تحريم الخروج على الإمام ؛ لأنه ستر
للمسلمين يقاتل من ورائه ويمنع العدو . ويحافظ على مصالح
الرية . ويدفع عنهم الاضرار والمشاكل والإزعاج ويحل مشاكلهم
ويفصل بين المحق والمبطل ويحفظ حقوقهم ويحمي بيضة
الإسلام . ويترتب على الخروج مفسد كبيرة . وإذا بدر من ولي
الأمر مخالفة للشريعة نبه عليه ويبين له الحق من الباطل ، ولا يجوز
الخروج عليه ولا مخالفة الأمر الذي ليس فيها معصية ، ولا ينتزع
يده من طاعته .

بل ينصح ويبين له الحق . وما يفعله بعض الناس من
الإرجافات والكذب والافتراء من أجل الإساءة إلى سمعة الدولة
فهو سفه مخالف لشريعة الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ
بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦)
[الحجرات : ٦] .

ولقد أثبتت الدولة أدام الله عزها وتوفيقها بالقبض على
المفسدين قدرتها على حماية مقدساتها والإحسان إلى الناس
والضرب على أيدي العابثين المخربين فلا يطمع مفسد بالانفلات
من رجال الدولة له ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ،

وَتُشْكِرُ وزارة الداخلية ورجال الأمن على الجهود الموفقة التي بُذلت
للقبض على المخرين ، مهما اختفوا ومهما اندسوا . وبلادنا
محفوظة من فضل الله بسبب تحكيم الشريعة المحمدية والوحي
السماوي ، والله محيط بالمجرمين المفسدين ، فلا يظُنُّ أحد أنه
يُفْلِتُ من يد العدالة مهما طال الزمن . فنسأل الله أن يحفظ خادم
الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده ، والنائب
الثاني ، وأن يطيل في حياتهم على طاعة الله ولخدمة الإسلام
والمسلمين . وخدمة الحرمين الشريفين . وحجاج بيت الله الحرام .
اللهم أتمم للحجاج مناسكهم في أمن واستقرار وراحة
وهدوء .

اللهم تقبل منا ومنهم واغفر لنا ولهم وتُبْ علينا وعليهم .
وردهم إلى بلادهم سالمين مغفوراً لهم .

اللهم أدم أمننا واستقرارنا واحفظ أئمتنا وأمرائنا . واكفنا شر
المفسدين المخرين . إنك على كل شيء قدير .

وصلوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير
فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] . إلخ . . . الدعاء .

الخطبة رقم (١٦)

خطبة عيد الفطر

الله اكبر الله (٩ مرات نسقا)

لا إله الا الله والله أكبر الله أكبر . الله أكبر الله أكبر والله
الحمد لله أكبر عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته .

سبحان من تسبح له السموات وأملاكها والنجوم وأفلاكها
والأرض وسكانها والبحار وحياتها . ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (١) الحمد لله رب العالمين تفرد
بحكمه ، وأوجد الكون بقدرته وسيره بإرادته ونظمه بمشيئته
. لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢)
﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . خلق الجن والانس
لعبادته وأعطاهم العقل والفهم لمعرفة فمّن أطاعه أعزه ونصره
وأدخله الجنة ومن عصاه أذله وأهانته وعذبه بالنار .

(١) سورة الإسراء : آية / ٤٤ .

(٢) سورة ص : آية / ٢٧ .

(٣) سورة آل عمران : آية / ١٩١ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب المقام المحمود
والخوض المورود وشفيع المؤمنين وفرطهم على الخوض .
اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى ومن تبعهم واهتدى .

أما بعد : - فاتقوا الله أيها الناس وتأملوا وجودكم في هذه
الدنيا ولأي شيء خلقتكم قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ﴾ (١) خلقتكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من
مضغة ثم أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً لاتعلمون شيئاً
وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فيها يحصل العلم والمعرفة
فالذي خلق عزيزاً وعلمه التوراة وأرسل عيسى وأعطاها الإنجيل هو
الذي أرسل محمداً ﷺ وأنزل إليه القرآن فلم يؤمن الناس ببعض
ويكفرون ببعض فالكل من عند الله لانفرق بين أحد من رسله
فرسالة النبي العربي محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي ﷺ خاتمة
الرسالات مصدقة لها ومهيمنة عليها موصوف في التواراه وفي
الإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فأهل الكتاب يعرفونه
كما يعرفون أبناءهم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ

(١) سورة الذاريات : الآية / ٥٦ .

الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ﴾ (٢) فاتقوا الله ايها الناس .

ايها المؤمنون تذكروا واقعكم بين صوم قدمتموه ترجون ثوابه
وبين فطر فعلتموه طاعة لله ولرسوله ﷺ فسبحان الحكيم العليم
حرم علينا الفطر بالأمس وأوجب الفطر علينا اليوم فسبحان الكبير
المتعال يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وفي ذلك تنبيه إلى أن الخلائق
كلها تحت إرادته وقهره فبحكمته يأمر المكلفين وينهاهم وبحكمته
نظم حياة مخلوقاته وتكفل بأرزاقهم ، إن الهداية للإسلام والتوفيق
للعمل بواجباته نعمة من الله فقد أنعم الله على الأمة المسلمة بصيام
رمضان وأتم لهم العدة ووعدهم بجزيل الثواب وفتح باب الجنة
للطائعين فسابقوا إلى الجنة بما كنتم تعلمون ولا تقابلوا نعم الله
بالمعاصي ولا تقولوا ذهب رمضان فتركوا العمل بطاعة الرحمن
وتهاونوا بالفسوق والعصيان فإن الله يحب أن يعبد ويطاع في كل
الشهور ويكره أن يعصى في أي وقت كان تيقنوا بأن الله يراكم
ويطلع على سرائركم وخفيات نفوسكم فقابلوا أنعم الله بالشكر

(١) سورة .

(٢) سورة الأعراف : الآيتان / ١٥٧ و ١٥٨ .

وأبشروا بالزيادة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (١) واعلموا رحماني الله وإياكم أن الأعياد الإسلامية فرحةٌ باتمام عبادة فرضها الله وفرحةٌ بما حصل للسلمين من عفو وكرامات وعتق من النار .

ياأيها الإنسان تأمل هذا الكون الذي يحيط بك وتأمل ما خلق الله لك في الأرض تأمل ما في هذا الكون من أسرار سخرت من أجلك . قلمٌ مأمور . ولوح فيه نظام حياتك مسطور . أفلاك وأمالك على ما يلصحك تدور حفظة وكتّاب تحصي أعمالك ولا تجور ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٢) فستجد أيها الإنسان أعمالك وأقوالك وتصرفاتك في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها يقال لك ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٣) تأمل أيها الإنسان الطريق الذي ستسلكه بعد هذه الدنيا فأمامك الموت وسكراته والقبر ووحشته وتذكر أيها المؤمن البعث وهوله والحساب ودقته والميزان وعدله والصراط وزلته فتأهب لهذه الأمور وأعد لها عدتها .

أوصيكم أيها المؤمنون بالمحافظة على الصلاة فإنها عمود الإسلام وتنهى عن الفحشاء والمنكر حافظوا عليها في أوقاتها فإنها

(١) سورة إبراهيم / آية ٧ .

(٢) سورة ق : آية / ١٨ .

(٣) سورة الإسراء : آية / ١٤ .

نور ونجاة وبرهان من حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لغيرها من واجبات الإسلام أكثر ضياعاً . أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم فإن الله رزقكم الكثير وطلب القليل فالزكاة ربع العشر تطهر المال وتزكي نفوس المتصدقين وتسد حاجة المساكين فطهروا أموالكم وزكوا نفوسكم أدوا الأمانات إلى أهلها وخالفوا الناس بخلق حسن واحذروا الخمر فإنها ملعونة ملعون شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ملعون بائعها . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ سورة المائدة واجتنبوا الربا فإنه حرب لله ورسوله والربا حرام بنص كتاب الله وسنة رسوله حتى لو سمي بغير اسمه الربا هو الربا حتى لو سمي فوائد وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب الرسالة ﷺ ولا يعذر المسلم أن يترك العمل بكتاب الله ويذهب إلى قول فلان وفلان وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم واحذروا شهادة الزور فإنها من أكبر الكبائر والفسوق وإياكم والكذب فبئس المطية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿[التوبة : ١١٩]

وابتعدوا عن الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فيه قتل للنطفة وتحليل ما حرم الله ولا تستعملوا أواني الذهب والفضة فإنها محرمة على

الرجال والنساء وإنما ابيح للنساء التحلي بالذهب والفضة .

واحذروا جميع المعاصي فإنها تُغضب الرب وتسلط الأعداء وتسبب أنواعاً من البلايا وتمنع القطر من السماء مروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر وخذوا على أيدي السفهاء ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ .

أيها المؤمنون إذا تأملنا أحوال العالم علمنا أن الأعداء تسلطوا على المسلمين يقتلونهم ويشردونهم ويضطهدونهم ويذلونهم ويفعلون بهم أشنع الظلم والعدوان . ويستنزفون أموالهم بالحروب . والظالم تعينه الظلمة كما تسمعون عن فلسطين والبوسنة والهرسك وكشمير وغيرها والله تعالى قادر على نصر المسلمين ولكن ليبتيهم وليختبرهم وليتخذ منهم شهداء وفي نفس الوقت لعلهم ينتهون عن التقصير والإهمال وتقليد الأعداء فيما يخالف وحي السماء ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (٤٠) [الحج : ٣٩ ، ٤٠] اللهم أعد علينا من بركات هذا العيد وآمنا من هول يوم الوعيد وأدخلنا الجنة دار الخلود اللهم إن عبادك قصدوا إليك واجتمعوا لرجاءك وتعرضوا لرحمتك وإحسانك ورجوا مغفرتك ورضوانك اللهم فحقق آمالهم وأصلح أحوالهم

وتقبل أعمالهم ويسر أمورهم واغفر ذنوبهم واستر عيوبهم اللهم
عوضنا عن رمضان بالقبول والمغفرة والتوفيق للهداية ولزوم
طاعتك وطاعة رسولك ﷺ اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة اللهم اعفر لنا وجميع المسلمين الأحياء والميتين
إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الله أكبر (٧ مرات) .

الله اكبر . الله اكبر . لا إله إلا الله . والله أكبر . الله أكبر . والله
الحمد الحمد لله معيد الجمع والأعياد ، رافع السماء بغير عماد
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الدنيا والآخرة وإليه
المعاد .

واشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الهادي إلى سبيل
الرشاد اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد : - فاجعلوا فرحتكم بالعيد مصحوبة بتقوى الله
وخشيته فإنه يراكم ويعلم ما تكنه صدوركم ولا تغرنكم الحياة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور . الدنيا كلها عرض زائل ودار إبتلاء
وإختبار وبلايا فكم من أخ لنا في الله مشغول بنفسه لم يفرح بالعبد
وكم من أخ لنا كان معنا في العام الماضي فأخذهم ريب المنون
فأصبحوا في القبور لا يجالسهم إلا أعمالهم فأحسنوا الجليس
تذكر الذين فارقونا من الآباء والأمهات والأخوات والأحباب
والجيران أصبحوا رهائن أعمالهم في حفر في قعر التراب لم يأخذ
أحدهم من دنياه إلا خرقعة لفت على جسده . انقطعت عنهم

الاعمال إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو لهم ونحن إلى ما صاروا إليه صائرون ومع الباب الذي دخلوه داخلون وفي أمثال قبورهم مدفونون وفي مثل أكفانهم ملفوفون فقدموا لأنفسكم فإن الآجال محدودة والمنايا محتومة ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] فاستعدوا للرحيل وأعدوا للسؤال جوابا والسعيد من وعظ بغيره وكفى بالمرت والمرت واعظا .

اللله أكبر . اللله أكبر . لا إله إلا الله . والله أكبر . ولله الحمد ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] اللهم صل وسلم على النبي الرحيم بأمته نبي قربه الله وأدناه ورفعته منزلة لم يبلغها أحد سواه اتخذته ربه كليما وخليلا وكتب اسمه فوق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله أعطاه المقام المحمود والحوض المورّد ولا يرفع الدعاء إلى السماء إلا بالصلاة والسلام عليه .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين وعن بقية أصحابه أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم ارض عنا . . .

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى والبر والتقوى وأجمع شملهم ووحد صفوفهم وقوي شوكتهم وانصرهم على عدوك

وعدوهم اللهم أصلح زعماء المسلمين واهددهم سبل السلام
وأخرجهم من الظلمات إلى النور ووفقهم لتحكيم كتابك والعمل
بسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

اللهم آدم الأمن والاستقرار في بلادنا وارزقنا شكر نعمك
علينا واكفنا شر الأعداء والحاسدين والحاquدين اللهم احفظ إمامنا
برعايتك واكأله بتوفيقك وعنايتك اللهم من أراد به سوء فرد كيده
في نحره اللهم انصر به دينك وأعل به كلمتك وأعز به عبادك
الصالحين اللهم اعفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم
فرج هم المهمومين واقض الدين عن المدينين واحم حوزة المسلمين
يارب العالمين فاذكروا الله . . الخ الدعاء .

الخطبة رقم (١٧)

تذكر الموت والبلى

الحمد رب العالمين له ما في السموات وما في الأرض إن الله
لهو الغني الحميد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يرث الأرض ومن
عليها وإليه ترجع الأمور .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أول من تشقق
عنه الأرض وأول شفيع وأول من يدخل الجنة وهو يفتح بابها

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله و
أصحابه ومن أهدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد : - فإن الحق نور يبدد الظلام ولا يضره مصدره ولا
يقصر به حامله (١) .

تذكروا أيها المؤمنون أنكم تسировون على طريق سفر لا يستقر
رحله دون الغاية ولا يتأتى معه إقامة دون المنتهى فمن أصلاب الآباء
إلى أرحام الأمهات إلى الوجود في دار الفناء إلى القبور إلى
البعث والنشور إلى دار القرار إلى الجنة أو النار فما أولادكم ولا

(١) الزواجر والعظات : ١٦٢ .

أعمالكم ولا دنياكم إلا مثل بناء في قفر قريباً يرحل عنه صاحبه ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن : ١٥] فما بعد المقيّل إلا الرحيل وما بعد الرحيل إلا المستقر إن إمامكم أهواً تشاغلتم عنها وكأنّها للناس دونكم تذكروا سكرات الموت تذكروا القبر ووحشته والحساب ودقته والصراط وزلته فلو كشف لنا عن قليل من تلك الأهوال لذهلت العقول ولطاشت الأحلام ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [فاطر : ٥] هل أعد المسلم لهذه الأهوال حيلة أم أن الأمانى والتسويق حالاً دون الاستعداد أم أمن مكر الله فأنجرف خلف الشهوات وترك التشريع وراءه ظهرياً ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٩] فرحم الله من نظر لنفسه قبل غروب شمسهِ وقدم خيراً لغيره ولم ينسى نفسه .

واعلموا أن الحياة تجر إلى الموت والغفلة تقود إلى الفوت والشباب سفينة مرساها ساحل الهرم .

فإذا شعرت أيها المسلم بأن نفسك تميل إلى شيء من المعاصي فاشعل عود الكبريت واعرض عليه أصبعك فستجد الحرارة فقل لها ذوقي ما تدعونني إليه يا أمارة بالسوء كيف التواني والموت يرتقب مع الانفاس ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] فليس الموت للشيب دون الشبان ولا للفقراء دون الأغنياء الناس فيه سواء فكم صغيراً

صلينا عليه مع الكبار وكم من شاب قطعت المنية آماله . ومهما طالت الحياة فالموت محتوم .

أوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن ضع يدك على جلد ثور فبقدر ما حُزته من شعر تعيش عدد سنين فقال يارب وماذا بعد ذلك قال تموت فقال يارب فالآن .

تذكروا الآباء والأمهات والأحباب كانوا معنا فأين هم الآن وجوه علاهن التراب وصحائف تنتظر الحساب وعظام صارت رفاتاً ونضرة الأجسام صارت تراباً ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [فاطر : ٥] حب الدنيا رأس كل خطيئة يحمل الإنسان على قطيعة الرحم وسفك الدماء ويسبب البغضاء حلالها حساب وحرامها عذاب والمشتبه نقاش وعتاب .

ولو تأمل العاقل سبب الشقاء لوجده البعد عن الله وحب الدنيا وطول الأمل فما اورد النفس الموارد إلا طول الأمل كلما قويت النفس بأحكام الحدود فسح لها أركان الرخص . وكما قويت العزيمة افسدها بالغرور فيأ أصحاب المخالفة أسرعوا إلى التوبة فإن بابها مفتوح ومالك الملك يجير ولا يجار عليه نستغفر الله ذا الجلال ونستهديه من الضلال ونتبرأ إليه من الحول والقوة فلا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم انظرنا بعين رحمتك التي وسعت الأشياء وشملت الأحياء والأموات يادليل الحائرين ويارحيم ارحمنا ياولي من ولينا

إذا أعرضت عنا فمن لنا نحن المذنبون وانت غفار الذنوب يامقلب
القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك واستر عيوبنا يا أمل الطالبين
يامغيث المستغيثين ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٧] اللهم بارك لنا في
القرآن ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٩] . وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ
الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١] وأشهد أن
سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله طهر الأعمال والإعتقاد من أخطار
الجاهلية وحمى جناب التوحيد اللهم صل وسلم على عبدك
ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد فإن في السنة الصبر على البلاء والرضاء بالقضاء
وحفظ اللسان والجوارح عن إظهار الجزع والتسخط روى البخارى
ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال اشتكى سعد بن
عبادة شكوي له فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبدالرحمن بن عوف
وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه فلما دخل
عليه فوجده في غاشية أهله فقال : « قد قضى » قالوا : لا يا رسول
الله . فبكى النبي ﷺ . فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا . فقال
الاتسمعون : (أن الله لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب ولكن
يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أويرحم . إن الميت يعذب ببكاء

أهله عليه) (١) .

أغمي على عبدالله بن رواحة رضي الله عنه فجعلت أخته تبكي واجبلاه واكذا وكذا تعدد عليه فقال حين أفاق ماقلت شيئاً إلا قيل لي أنت كذلك رواه البخاري فلما مات لم تبك عليه وأغمي على معاذ بن جبل رضي الله عنه فجعلت أخته تقول واجبلاه أو كلمة أخرى فلما أفاق قال مازلت مؤذية لي منذ اليوم قالت لقد كان يعز عليّ أن أؤذيك قال مازال ملك شديد الإنتهار كلما قلت واكذا قال أكذلك أنت فأقول لا . وأغمي على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فاقبلت إمراته تصيح برنة ثم أفاق فقال ألم تعلمي وكان يحدثها أن رسول الله ﷺ قال أنا برئ عن حلق وصلق وخرق (٢) .

وهل يجدي الصراخ وتعداد المحاسن شيئاً . الذي ينفع الدعاء والترحم وطلب المغفرة والصبر على البلاء

والسنة أن يصنع لأهل الميت طعام يرسل إليهم لأنهم مشغولون بما هم فيه . أما تركة الميت فقد تعلق بها حق الورثة وقد يكون فيهم صغير أو غائب فما يؤخذ من التركة يضمه أخذه والتجمعات التي يكون فيها ثرثرة وقهقهة بحيث لا يفرق من رأيهم بين التعزية وبين حفل العرس مخالفة والذي فيه السلامة أن من عزى انصرف إلى أهله .

(١) متفق عليه البخاري برقم ١٣٠٤ ومسلم ٩٢٤ .

(٢) المشكاة : ١ / ٥٤٣ .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . فرقوا بين السنة وأعمال الجاهلية
فالزموا السنة واتركوا أعمال الجاهلية واتقوا الله أيها المؤمنون
وصلوا على البشير النذير .

الخطبة رقم (١٨)

الإيمان بالقدر

الحمد لله رب العالمين حي قيوم لاتأخذه سنة ولا نوم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه ونصح لأُمته وجاهد في الله حق جهاده حتى عبد الله وحده .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان اما بعد .

فإن الله تعالى بعث رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ارسله رحمة للعالمين فاخرج العرب اقواماً من الظلمات إلى النور وفتح الله به قلوب غلفا وأذاناً صما وأعيناً عمياً فهداهم صراطاً مستقيماً .

بلغ ﷺ رسالة ربه ونصح لأُمته وبين حق الله على خلقه وثبت الإيمان في نفوس من آمن به وحقق العبادة لله وحده لا شريك له صان توحيد الله من الأهواء وإتباع الشهوات والهوى وحفظ التوحيد من أعمال الجاهلية قبل الإسلام وبين قواعد الإسلام ونصح لأُمته وبين الإيمان بالقدر فعن عبد الله بن عباس رضي الله

عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي يا غلام إنني أعلمك كلمات أي يحفظك الله بهن احفظ الله يحفظك إ حفظ الله تجده تُجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفعت الصحف وفي رواية إ حفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً^(١).

هذا الحديث قاعدة من قواعد الإيمان واصل عظيم في مراقبة الله والخوف منه والإيمان بالقدر والتوكل على الله وتفويض الأمر لله اشتمل على بشاريتين الأولى أن من تعرف إلى الله بامثال امره واجتناب نهيه وآمن برسوله ﷺ وقت قدرته وجد ذلك مدخراً عند الله يوم ضعفه وعجزه عن العمل . الثانية : أن الشدة لاتدوم ولله الحمد والمنة فلا بد أن يكشفها الله وكل شيء إذا بلغ متناه أعقبه جنده فأخر الصبر أول النصر وآخر الكرب أول الفرج وآخر العسر أول اليسر ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾ [الشرح : ٥ ، ٦] والمؤمن من كلما اشتد عليه الكرب ازداد إيمانه بالله

(١) شرح الأربعين النووية : ٥٣ - ٥٤ الحديث التاسع عشر .

وبرسوله ﷺ ويحتسب الأجر على الله فالنفع والضرر بيد الله .

فاذا اجتهد المؤمن في إمتثال امر ربه واجتناب نواهيه وأثنى على الله بما هو أهله حفظه الله وحفظ أهله وثبته على الصراط المستقيم وشرح الله صدره ووفقه بتوفيقه وكان الله معه حيث كان يؤنس ويشد من أزره ويقوي حاله ويغنيه عن سوى الله فالأمور كلها بيده خزائن كل شيء عنده يعطيها من يشاء .

وأقرب الناس إلى الله وأعزهم وأكرمهم على الله هو خاتم رسله وأنبيائه وخيرته عند جميع خلقه نبينا محمد ﷺ يجب على جميع الثقلين الإيمان به وإتباع رسالته ومع هذا أخبر ﷺ أنه لا يملك لأحد ضراً ولا نفعاً .

روى البخاري في صحيحه ومسلم ايضاً أنه عليه الصلاة والسلام قال لابنته فاطمة ولعمه وعمته رضي الله عنهم أجمعين (سلوني من مالي ما شئتم لا أغني عنكم من الله شيئاً) وقال سبحانه لنبيه محمد ﷺ (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً الا ما شاء الله) فما بالكم بمن هو أقل قدراً من النبي ﷺ وابنته وعمه وعمته .

فما دام أن الأمر كله لله ولا يحصل الا قدر الله فكيف أيها المسلم تطلب قضاء حوائك من إنسان مثلك بل هو ميت وأنت حي أم كيف تطلب من إنسان مخلوق تحت التراب نفعك أو كشف الضر عنك وهو لا يملك لنفسه شيئاً والأمر لله قال سبحانه ﴿إِنْ يَمْسَسْكَ

اللَّهُ بَصِيرٌ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ [الأنعام: ١٧]

وان تعجب أخي المسلم فعجب فعل بعض المخلوقين يذهب إلى أخيه الميت وهو تحت التراب يطلب منه كشف الشدة ويطلب منه المدد والإغاثة على قضاء الحوائج ويقرب له القرابين وقد يصرف له شيئاً من انواع العبادة الخاصة بالله واعجب من ذلك الذي يذهب إلى بعض الجمادات كالأحجار والأصنام يطلب منها بركة ولا أرى هذا إلا من دسائس أعداء الإسلام.

أيها المسلمون إن العقول التي أعطاكم ربكم إنما هي منحة من الله ونعمة لتمييزوا بها بين الحق والباطل ﴿اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] ألا يفكر الناس ألا ينظرون ألا يؤمنون بما جاء به رسول الله ﷺ ألا يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم ويتركون محدثات الأمور الا يتبعون نبيهم ويتركون من سواه من البشر.

أخي المسلم حياتك وموتك وجزائك عند الله فلم تعلق آمالك على غير الله ثق أن القرآن كلام الله وأن وعد الله حق وأن كلام رسول الله ﷺ حق فاعبد الله وحده وعلق آمالك بالله وحده واترك من سوى الله فإنه لا ينفعك ولا يضرک وإنما هذا من الشيطان ووسوسته ليبعدك عن الجنة التي أخرج منها أبواك آدم وحواء

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه في سركم وعلا نيتكم ﴿٢٩﴾ إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ [الأنفال : ٢٩] اللهم إنا نسألك نعيماً لا ينفد وقرت عين لا تنقطع ونسألك إيماناً صادقاً و يقيناً كاملاً حتى نعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وأن ما أخطئنا لم يكن ليصيبنا .
واغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما اعلنا وتجاوز عن ذنوبنا اللهم إنا نسألك برد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم .
واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين تفرد بتصريف هذا الوجود كيف يشاء
وسخره لمن يشاء .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك .

ليس له شبيه ولا نظير ولا ند ولا وزير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] وأشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورسوله تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها
ولا يرغب عن الاقتداء بها إلا هالك .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد : فإن من مرغوبات الإنسان انتشار الأمن وشرح الصدر
وراحة البال فلا طيب للعيش إلا بها والإيمان بالله وبقدر الله
والتوابع والعقاب من أسباب شرح الصدر وراحة البال . وتحكيم
شرع الله وإقامة حدود الله من أسباب الأمن واستتبابه .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه في سركم وعلا نيتكم فإنه
يراكم ويعلم ما أنتم فيه ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [هود : ٥] (يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور) . إحذر أخي المسلم البدع والمحدثات وتمسك

بسنة نبينا محمد ﷺ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا تطع أعداء الإسلام فإنهم يريدون أن يصدوك عن الله من كان مع الله كان الله معه ومن نصر الله نصره الله (يا أيها الذين آمنوا إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

أخي المسلم لا تجعل بينك وبين الله واسطة فإنه معك حيثما كنت يسمعك ويراك ويستجيب دعاك وهو مستور على عرشه بائن من خلقه .

قس أعمالك بمقياس الشريعة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واحذر من دسائس الأعداء وأعوانهم فإنه ليس مع الله شريك ولا يملك أحد لأحد شيئاً والأمر لله وحده فعلق آمالك بالله واترك من سواه فإن تعلقك بالله ينفعك وتعلقك بغير الله يضرك .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] واعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه وثلاث بكم أيها المؤمنون من جن العالم وإنسه فقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقال ﷺ من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا . . إلى آخر الدعاء .

الخطبة رقم (١٧)

مسائل الصيام

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْأَحْسَابِ ﴾ (١٢)

[الإسراء: ١٢]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله رغب في الصيام وحث عليه .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .

فهناك مسائل تمر على الصائم قد يتشوق لتذكر حكمها وهل تفسد الصوم فيقضى أو لا تفسده . سأذكر إن شاء الله طائفة منها بإختصار . المسألة الأولى : إذا أذن المؤذن الفجر والإناء في يد الصائم يشرب منه فيكمل شرابه ولا شيء عليه وإذا كانت اللقمة في

فيه بلعها ويصوم لما روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : إذا سمع النداء أحدكم والإناء في يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه . أما إذا لم يكن الإناء في يده فلا يذهب يطلب الماء يسعى للثلاجة أو الترمس لأن هذا العمل لا يشمل نص الحديث والحمد لله مع كل واحد ساعة أو يسأل من كانت معه ساعة وقبل الأذان بقليل يذهب ويشرب .

المسألة الثانية إذا كان الإنسان عليه غسل واجب من جنبه أو حيض أو نفاس انقطع الدم قبل الفجر صام ثم اغتسل لأن الصيام لا تشترط له الطهارة من الحدث .

إذا أذن المؤذن وهو مع زوجته في الفراش فإذا نزع فوراً فلا شيء عليه إن شاء الله ولا تقاس هذه المسألة على مسألة الشراب فيقضي حاجته .

٤ - إذا سافر المسلم سافراً يبيح له الفطر فواقع زوجته فلا شيء عليه إن شاء الله لكن يستحب احترام أيام رمضان .

٥ - من جامع زوجته في نهار رمضان وهو مقيم عالماً ذاكراً صومه عليه القضاء والكفارة ومن باشر دون المحل فسد صومه وعليه القضاء والكفارة ومن فكر أو تخيل فأنزل فسد صومه ولا كفارة عليه بل يقضي .

٦ - إذا أكل أو شرب في نهار رمضان ناسياً فإنما أطعمه الله

وسقاه وصومه صحيح .

٧ - اذا ذرغه القيء بلا اختياره فلا شيء عليه ومن استقاء فقاء فعليه القضاء .

٨ - وحكم الرعاف مثل القيء إذا رعف بدون اختياره فلا شيء عليه .

٩ - واخراج الدم بالابرة من العرق للتحليل يفطر ولأنه أخرجه باختياره مثل الفصد والحجامة على خلاف والصحيح ومثله قلع الضرس و ابرة العلاج في الوريد تفطر أيضاً لأنه جوف وأما في العضل فقال شيخنا الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ الأولى تركها^(١) .

١١ - من نام في نهار رمضان فاحتلم فلا شيء عليه وصيامه صحيح إن شاء الله .

١٢ - للمرأة أن تستعمل الحبوب لمنع الحيض في رمضان وفي الحج لأنه لم يرد نص يمنعه لكن يجب على المرأة أن تأخذ رأي الطبيبة المختصة لئلا تحدث مضاعفات .

١٣ - بعض الناس معه مرض الربو ويحتاج إلى بخاخ الاكسجين فله استعماله وصومه صحيح إن شاء الله .

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم : ج ٤ ص ١٩٣ .

١٤ - المريض إن كان مرضه يرجى برؤه ويصح بعده أفطر وقضى عدة ما أفطر من أيام آخر لقوله تعالى ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] أما إن كان مرضه لا يرجى برؤه بل هو باقٍ باستمرارٍ مثل الشيخوخة والأمراض المزمنة فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً لأنه لا يستطيع أن يصوم عدة ما أفطر من أيام آخر .

والحيض والنفاس موجبات للفطر وقضاء الصيام دون الصلاة .

١٥ - والمرأة التي ترضع ولدها فإذا صامت خشيت ضرراً عليها أو على ولدها تفطر وتقضى عدة ما أفطرت من أيام آخر وكذلك الحامل .

١٦ - إذا افطر يظن الشمس قد غابت لاختفائها بغيم ثم طلعت أو أكل يظن الفجر لم يطلع ثم تيقن أنه أكل وشرب بعد طلوعه ففي المسألتين خلاف والأحوط أن يقضي والمسألة خلافية .

١٧ - إذا وجب القضاء على إنسان فقدّر على الصيام ولكنه تهاون وأخر حتى أدرك رمضان آخر فعليه القضاء بعد رمضان ويطعم عن كل يوم مسكيناً أما إن كان تأخره لعذر وجب القضاء فقط .

١٨ - ومن مرض وأفطر ثم مات فلا شيء عليه لانه لم يعيش

أياماً آخر يقضي بها لكن يطعم عنه وليه عن كل يوم مسكيناً لما روى
أبوداود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال إذا مرض
الرجل في رمضان ثم مات أطعم عنه وليه .

١٩ - ذوق الطعام باللسان يكره إلا الحاجة وللحاجة لا يفطر أما
ذوقه بالبلع فيفطر وعلى الانسان أن يسأل عما أشكل عليه .

٢٠ - ومن لزمه صيام نذر فما قبل أن يفِي بنذره صام عنه وليه
لما روى البخاري رحمه الله في الصحيح قال قال رسول الله ﷺ
(من مات وعليه صوم صام عنه وليه) قال أبوداود وهذا في النذر
ويدل عليه ما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إن أُمِّي ماتت
وعليها صوم نذر أفأصوم عنها ؟ قال أرايت لو كان على أمك دين
فقضيتيه أكان ذلك يؤدي عنها قالت نعم قال صومي عن أمك
والصيام غير لازم للولي فإن لم يصم كفر من الترك فاتقوا الله أيها
المؤمنون وابقنوا بأن الصيام إنما فرض لمصلحتكم فالصيام له أهداف
سامية ومصالح شرعية ترفع مستوى المسلم في أخلاقه وسلوكه
وإيمانه إلى درجة رفيعة ويقوي الصلة بين العبد وربّه ويضعف
مجرى الشيطان ويُعِدُّ المسلم لطلب السعادة فالصيام حبس النفس
عن الشهوات وغطامها عن المألوفات وتعديل ميلها إلى الملذات
فصيام شهر رمضان فرصة للمسلم يروض فيها نفسه فينبغي أن
يهتم العاقل بنظام الصيام وأن يستفيد من فوائده فما شرع الصيام

إلا لمصلحة الصائمين فلا يرفث ولا يصخب ولا يشاتم أحداً ويكون
متذكراً الصوم عن المفسدات راغباً فيما عند الله من الثواب مجتنباً
قول الفحش والزور .

روى البخاري في الصحيح ومسلم أن رسول الله ﷺ قال
الله تعالى كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به
والصيام جنة إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن
سابه أحد أو قاتله فليقل إنني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده
لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان
يفرحها إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه (١) .

(يا أيها آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولو عنه وانتم تسمعون) .

اللهم بارك لنا في القرآن وفي سنة سيد الأنام واغفر لنا
ولآبائنا وامهاتنا ولجميع المسلمين إنك انت العفور الرحيم .

(١) صحيح البخاري: ٣٤/٢ .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين جعل الصيام راحة للنفس والبدن .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لطيف بعباده
وهو الرحيم الغفور .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله أخبر بأن المعدة شر
وعاء ملأه الإنسان .
واللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .
أما بعد :

فإن الله تعالى أحل للإنسان التمتع بالطيبات من الشرب
والأكل واللباس ما لم يكن إسرافاً أو مخيلة قال تعالى ﴿ وَكُلُوا
وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣١) [الأعراف]
والمندوب عقلاً وشرعاً الاكتفاء بما تدعوا اليه الحاجة ماسد الجوع
وسكن الظماء ففي ذلك حفظ الحواس وحرارة النفس . وما زاد عن
الحاجة وهو الشبع والامتلاء فقليل مكروه وقيل حرام . قال بعض
العلماء والصحيح أنه مكروه . فإن قدر الشبع يختلف باختلاف
البلدان والأزمان والاسنان والطعمان .

وكلما قلل الإنسان من الأكل فهو أصح وانفع اصح جسماً وأجود حفظاً وأزكى فهماً وأخفُ نفساً . وفي كثرة الأكل كظ المعدة وتنتن التخممة وتتولد منه الأمراض المختلفة وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى بيانا شافياً يُغني عن كلام الحكماء والأطباء قال عليه الصلاة والسلام « ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيماتٌ يقمن صلبه فإن كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »^(١) روى أن طيباً نصرانياً حاذقاً قال لعلي بن الحسين رحمه الله ورضي عن أبيه قال الطبيب لعلي : العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان وليس في كتابكم من علم الطب شيء . فقال له علي قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابنا ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ [الأعراف : ٣١] فقال النصراني ولا يؤثر عن رسوكم شيء من الطب قال علي بن الحسين جمع رسول الله ﷺ الطب في الفاظ يسيرة قال المعدة بيت الأدوية والحمية رأس كل دواء^(٢) وأعط كل جسد ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا . وقيل إن جُلَّ معالجة حكماء الهند بالحمية . تمنع المريض من الأكل والشرب عدة أيام فيبرأ بإذن الله والإسراف ما زاد عن الحاجة المشروعة . وكثرة الأكل والشرب يثقل المعدة ويكسل

(١) تفسير القرطبي : ١٩٢ / ٧ .

(٢) ليس بحديث وأنا هو كلام طيب العرب الحارث بن كلدة أو غيره (انظر كشف الخفاء : ٢١٤ / ٢) .

الانسان عن عبادة ربه وندامه يوم القيامة ورد في الحديث عن النبي ﷺ « إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة » .

فاتقوا الله أيها المسلمون ولا داعي للزحام عند دكاكين بائعي الأطعمة والإكثار بعد الإفطار من المأكولات فإن ذلك لا يتفق مع حكمة الصيام وفوائده

وصلوا على البشير النذير فقد قال الله تعالى في محكم تنزيله : إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) . اللهم . . الخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢٠)

الصيام

الحمد لله رب العالمين . فضل أمة محمد وكرمها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خص بعض الأزمات بخصائص وميزها .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من صلى وصام .
اللهم صل وسلم وعلى عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه
ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد :

ففي هذا اليوم المبارك يوم الجمعة في أول يوم من شهر رمضان
تغمر المسلمين فرحة بفضلية اليوم وفضلية الشهر ورغبة فيما عند
الله . فرحة بوعد الله وكرامته ويتسابقون برغبة إلى الأعمال
الصالحات كيف لا يفرح المسلم بشهر رمضان وهو شهر المسلمين لا
يصومه غيرهم كيف لا يفرح المسلمون بشهر تفتح فيه أبواب الجنة
ليدخلوها .

ففي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا
جاء رمضان فتحت أبواب الجنة)^(١) شهر تغفر فيه الذنوب وتنمى

(١) البخاري في الصحيح : ٣/٣٢ فتح الباري : ٤/١١٢ .

فيه الحسنات .

أن شهر الصوم الذي أضافه الله لنفسه (الصوم لي وأنا أجزي به) إنه شهر الصبر (وبشر الصابرين) . والصيام جنة لصاحبه من لفتح جهنم فالصائمون لا يسمعون حسيسها ولا يحزنهم الفزع الأكبر هنيئاً لك أيها المسلم بشهر الصيام وحق لك التهنتة .

فهو موسم من مواسم الطاعات وطلب الزلفى والوسيلة إلى الله وفي الجنة باب اسمه الريان خاص للصائمين فاذا دخلوا الجنة اغلق . والصيام عبادة خاصة لله لم يُتَعَبَّد بها أحد إلا الله . والحسنات كفارات للمعاصي يؤخذ منها ويعطى المظلوم . الا اجرُ الصيام فإنه يدخر لصاحبه ويدخل بسببه الجنة . والصيام خفي لا يطلع عليه الشيطان فيفسده .

حق لك أخي المسلم التهنتة بشهر انزل فيه القرآن أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النيران . شهر البركات والخيرات قال بعض العلماء الصيام على أربعة أنواع . الأول صيام عن الأكل والشرب والجماع وهذا يفعله كل الصائمين الثاني صيام عما ذكر وعن كل المحرمات . وهو أخص مما تقدم الثالث صوم عن الأكل والشراب والجماع وعن المحرمات وصيامٌ عن غير ذكر الله فلا يتحرك لسانه إلا بذكر الله . النوع الرابع صيامٌ عما ذكر وعن غير الله فيتفرغ لعبادة الله بالقول والعمل فليس في قلب ذلك

الصائم ولا في لسانه ولا في عمله ذكر لأحد إلا الله . وهذا أعلى المقامات وأشرفها وهو سهل على من وفقه الله وأعانه .

ومن رحمه الله ولطفه بإمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن تسيره عليهم في التشريع جعلَ لدخول شهر رمضان علامات ظاهرة وهو الهلال فلا يثبت دخول شهر رمضان إلا إذا رأى الهلال أحد المسلمين أو أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً كما هو الحال في هذا الشهر لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين) (٢) وإذا تأمل المؤمن جميع التكاليف وجدها ملحوظاً فيها مصلحة المكلف فمثلاً الصلاة جعلت أوقاتها لا تنافي مصلحة المكلف وجعل لأوقاتها علامات ظاهرة، ومثل ذلك أعداد الركعات فصلاة الفجر ركعتان، وصلاة كل من الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات وصلاة المغرب ثلاث ركعات وصلاة السفر ركعتان، فلا بد من إكمال المفروض إقتداءً بالنبي ﷺ فمن أفطر من أيام شهر رمضان قضى عدة ما أفطر من أيام آخر .

ومن نقص من الصلاة ركعة أتى بها وسجد للسهو فمثلاً إذا صلى الثلاثية أو الرباعية وسلم بعد ركعتين وجب عليه أن يأتي بما

(١) فتح الباري : ١٠٩ / ٤ .

(٢) صحيح البخاري : ٣ / ٣٤ ، فتح الباري : ١١٩ / ٤ .

بقى ويسجد للسهو وكذلك إذا سلم بعد ثلاث ركعات من الرابعة
وجب عليه أن يأتي بالرابعة ويسجد للسهو .

هذا إذا لم يطل الفصل فإن طال أعاد الصلاة أو إذا زاد ركعة
في الصلاة ساهياً سجد للسهو . وإن كانت الزيادة أو النقص عمداً
بطلت صلاته ولزمها أن يستأنفها . ومع أن صيام شهر رمضان ركن
من أركان الإسلام واجب صيامه ولا يتم إسلام المرء إلا بصيام شهر
رمضان . فإنه سبب للتقوى ويزكي النفوس . وبه يصلح الأفراد
والجماعات وتبذل فيه النفوس والأيدي مما أعطاه الله . وبالصيام
يتذكر الواجدون حال اخوانهم المحتاجين فيذكرونهم بالصلة والبر
والإحسان ويذكرون إخوانهم الذي يقتلون ويشردون من ديارهم
بغير حق مثل مسلمي البوسنة والهرسك الذين تسلط عليهم نصارى
الصرب . وقتلوا المدنيين الغافلين تكبرا وطغيانا . وعدم مبالاة
بالإسلام والمسلمين لأن اعداء الإسلام عرفوا أن المسلمين تركوا
الجهاد فصاروا إلى الذل والهوان ، وأنهم انصرفوا عن الجِد
والاستعداد للعدو بالقوة إلى اللعب والمسلات وتضيع الزمن فيما
لا فائدة فيه .

نسأل الله أن يبرم لهذه الأمة أمر رشدھا يعز فيه أهل الطاعة
ويذل فيه أهل المعصية ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر .

فاتقوا الله أيها المسلمون وأوصيكم بالتمسك بآداب هذا الشهر

واحترامه وأداء حقه والتعرض لرحمة الله وإحسانه فإن هذا الشهر فرصة لا تعوض فقد لا يدرك المرء شهراً مثله نسأل الله أن يوفقنا لصيام هذا الشهر وقيامه إيماناً واحتساباً وأن يجعلنا من عتقائه والفائزين برحمة الله ورضوانه .

وأن يتقبل منا ومن جميع المسلمين . وأكثروا من الدعاء فإن ربكم قريب يجيب الدعوات (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم اللهم علمنا من القرآن ما جهلنا وذاكرنا منه ما أنسنا وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا . واغفر لنا ولأبائنا وامهاتنا ولجميع المسلمين الاحياء والميتين أنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة رقم (٢١)

تسبيح الله وذكره

(في ١٠/٨/١٤١٤هـ)

الحمد لله رب العالمين . خالق الخلق ومالك الملك فيسبح
المملوك مالكة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الأسماء
الحسنى . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، عظم الله
وكبره وسبحه ونزهه . ودلنا على طرق الخير وأبانها .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله
وأصحابه ومن أتبع سبيله .

أما بعد :

ففي مستهل سورة الحديد يقول تبارك وتعالى : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ [الحديد : ١ ، ٢] .

يخبر تعالى عن نفسه أنه تعالى سبح له ، أي : مجده ونزهه عن
النقائص والدنياه . مُنْزَه في ذاته ، فذاته سبحانه وتعالى كاملة
مقدسة لا تشبه الذوات ، مُنْزَهة عن النقائص والعيوب والتغيرات ،

منزه سبحانه في أسمائه وصفاته فهو سبحانه محيط بكل شيء علماً
قادر على كل شيء تدبيراً وصنعاً ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا
مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف] .

فصفاته جل شأنه مُنْزَهَةٌ عن التشبيه والتعطيل . وعن التحريف
والتأويل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ [الشورى] .

منزه سبحانه في أفعاله وتدبيره فكلها لحكمة ، فلا يَتَطَرَّقُ
إليها اللعب والباطل ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . ﴿...
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ...﴾ [آل عمران: ١٩١] . وقال
تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦)﴾ [الأنبياء] .
وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾
[الأعراف: ١٨٥] . وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ
وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)﴾ [الملك] .
وقال جلَّ شأنه : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقْتَ (١٧)﴾
[الغاشية] . منزه تعالى في أمره ونهيه وتشريعه . فأمره عدل ونهيه
عدل وتشريعه عدل فمن رغب عن ذلك فقد ترك العدل . فكل ما
شرعه مصلحة وإحسان ، وخيرٌ للإنسان ، فضلاً منه وامتنان
فحكمه وتكليفه لازم . وليس لأحد عليه سبحانه واجب حق ﴿هُوَ

الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴿[الأنعام].

قد يلاحظ القارئ أنه ورد في بعض السور سُبَّح بلفظ الماضي كما في سور الحديد ، والحشر ، والصف ، وكما في سور السجدة ، وآل عمران ، وطه ، وورد بلفظ المضارع يسبح كما في سور الجمعة والتغابن ، وآخر الحشر ، وغافر ، وفصلت ، والشورى ، وكما في سور : البقرة ، والرعد ، والإسراء ، والنور ، والأنبياء ، وص ، والزمر وذلك إشارة إلى أن تلك المخلوقات مسبحة باستمرار لا يختص تسبيحها بوقت ، وفي وقت بل هي مسبحة أبداً في الماضي والحال والمستقبل ما بَقِيَتْ تلك المخلوقات ، وليبان أن التسبيح لازم للمخلوقات فلا تنفك عنها بحال من الأحوال .

والآية عامة شاملة لجميع من في السموات والأرض والناميات والجمادات فأجزاء السموات ، وذات الأرض والجبال والرمال والبحار والشجر والدواب والجنة والنار ، والعرش والكرسي والملائكة والإنسان والحيوانات ، والجن كلها تسبح الله تسبيحاً يليق بكل نوع وكلها خاشعةٌ لجلال الله ، منقادة لأمره ومشيئة ، وليس بغريب أن يسبح الله الجمادات وإن كنا لا ندرك لها عقلاً ، فكَذلك لا ندرك تسبيحها ، ولا علم لنا إلا ما علمنا ربنا ، والدليل على أن الآية على عمومها لم تخصص ، وأن جميع

المخلوقات - بما فيها الجمادات - تسبح الله بلسان المقال .

قوله تعالى : ﴿ تَسْبَحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وقوله سبحانه : ﴿ ... وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [١٧] إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ [١٨] ﴾ [ص] .

وقوله جل جلاله : ﴿ ... وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [٧٩] [الأنبياء] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة : ٧٤] .

وقوله ﷺ : « لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيحه » .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث » .

وأيضاً : « وخبرُ الجذع الذي حَنَّ لما فارقهُ رسولُ الله ﷺ إلى المنبر »
والذراع الذي أخبر النبي ﷺ بأنه مسموم ، والله تعالى أخبر في
محكم التنزيل أن جميع مخلوقاته تسبحه ، ومن أصدق من الله
حديثاً ومن أصدق من الله قيلاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ ﴾ [الحديد] . العزيز
الذي خضع له كل شيء ، وانقاد لإرادته كل المخلوقات ، الغالب
القاهر ، الجبار المتكبر ، له العزة الكاملة ، والغلبة الدائمة ،
والوحدانية والألوهية ، لا إله غيره ولا رب سواه ، فتسبح ما في
السموات والأرض فرع عن العزة الغالبة والحكمة البالغة .
حكيم جلَّ شأنه في خلقه وأمره وشرعه له الحكمة المحكمة
والعزة المهيمنة .

وقوله : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحديد: ٢] . هو المالك
الحقيقي للعالمين والآخرة لا شريك له ، وما يعطيه في الدنيا إنما هو
عاريات ، إما أن يزول عنها صاحبها أو تزول عنه ، فلا بد من رد
الودائع إلى مالِكها .

ومن تمام ملكه وكمال عزته وحكمته ، سَبَّحَ له ما في السموات
والأرض فهو تسبيح المملوك لمالِكه الحقيقي ، الذي منه السداد وإليه
المنتهى .

وقوله : ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢] .

يخلق الحياة ويخلق الموت ، فلا يكون إلا قدره الذي قدَّره .
والحياة سر في ذاتها وسر في كيفيتها ، ولا يملك أحدٌ أن يقول
من أين جاءت ، ولا كيف جاءت ، ولما سأل إبراهيم ربه أن يريه
كيفية إحياء الموتى ، أراه نتيجة الحياة ؛ ليعلم أن الله على كل شيء
قدير .

والله تعالى قادر على كل شيء قدرة مجملة بغير حد ، ولا
قيد .

وفي الآية يتمثل في القلب الواعي سلطان الله المطلق في ملكه
الذي لا يَشْرُكُهُ غيره فهو المستحق للتسبيح والتتزيه والتقديس .
اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات
والذكر الحكيم ، واجعلنا ممن يحل ما أحلَّ القرآن ، ويحرم ما حرم
القرآن واجعلنا من أهله الذين هم خاصتك يا أرحم الراحمين .
اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت
الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، له صفات لا تشبه صفات المخلوقين .
وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أعرف الناس
بربه وأطوعهم لأوامره ، وأكثر الناس فهماً لأسماء الله وصفاته .
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته .

أما بعد :

فقد وصف الخالق تعالى نفسه بصفات لا يتصف بها المخلوق
ليبين أن صفات الرب سبحانه وإن وافقت بعض صفات المخلوقين
في الأسماء فإنها لا تشبهها في الحقیقیات ، فقال سبحانه : ﴿هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد : ٣] .

وقد فسرها النبي ﷺ تفسيراً يغني عن كل قول . ففي صحيح
مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله :
«اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء،
وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» .

ثم اعلّموا رحماني الله وإياكم أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه
بنفسه، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) ﴿ [الأحزاب : ٥٦] . إلخ
الدعاء .

الخطبة رقم (٢٢)

الحقوق في الشريعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين . ربط بين التشريعات وبين الإيمان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسى المناهج الاجتماعية على قاعدة التوحيد .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أتم الله به مكارم الأخلاق .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد :

فإن الإسلام جعل علاقات الناس بعضهم مع بعض تشريعاً سماوياً وعبادة لله ، فجعل التوحيد واسطة بين نظام الأسرة وبين العلاقات الإنسانية ، ويتضح ذلك جلياً في آيات القرآن الكريم ، فما من أية تحث على البر والإحسان إلا وصدرت بالتوحيد . قال تبارك وتعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ [البقرة: ٨٣] .

وقال جل شأنه : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا

بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿...﴾ [الأنعام : ١٥١] .

وقال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وقال جلَّ شأنه : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ [النساء : ٣٦] .

والخالق تعالى جعل التشريع يوافق الفطرة الإنسانية ، والجبلة التي جُبل عليها بنو آدم : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤] .

وإذا تأملنا الآية التي في سورة النساء ، وهي قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء : ٣٦] . وجدناها تذكر عشرة حقوق :

١ - حق الله تعالى .

٢ - وحق الوالدين .

٣ - وحق القرابة .

٤ - وحق اليتامى .

٥ - وحق المسكين .

٦- وحق الجار القريب .

٧- وحق الجار الجنب .

٨- وحق الصاحب .

٩- وحق ابن السبيل .

١٠- وحق الرقيق .

١- فحق الله تعالى هو أول الحقوق ؛ لأنه سبحانه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات والأوقات ، فالواجب عليهم أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً ، لا من الشرك الخفي ولا من الشرك الجلي ، لا لاتباع النفس وشهواتها ، ولا لاتباع الأحرار والرهبان ، والعادات والتقاليد ، وإخلاصُ العبادة لله حق واجب علينا وعلى كل مسلم مكلف ، قال جلَّ جلاله : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] . وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وإخلاص العبادة لله هو القاعدة الأساسية التي يقوم عليها منهج المسلم وهي قاعدة التوحيد التي تنبثق منها حياة المسلمين ويقوم عليها عزهم وكرامتهم . أما حين ينحرفون عن الإخلاص لله ، وعن توحيده ، فلا عزو لهم ولا كرامة ، بل هم غثاء كغثاء السيل ، هشيم تذروه الرياح وتلعب به الأعاصير .

٢- الحق الثاني : حق الوالدين : أمر الخالق تعالى بالإحسان إلى الوالدين وقرن حق الوالدين بالتوحيد ؛ لأن النشأة الأولى من عند الله ، والنشأة الثانية وهي النطفة والحمل والولادة والتربية والحضانة ، بسبب الوالدين .

والإحسان إلى الوالدين هو معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما ، وامتنال أمرهما والدعاء لهما بالرحمة ، وبذل الفدى وكف الأذى ، وتحمل المشقة التي تحصل بهما . قال تعالى : ﴿ ... إِمَّا يَلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

٣- الحق الثالث - المذكور في قوله سبحانه ﴿ وَبِذِي الْقُرْبَى ﴾ [الإسراء : ٣٦] ؛ أي : الأقارب من الرجال والنساء ، أمر سبحانه بالإحسان إلى الأقارب سواء من جهة الأب أو من جهة الأم . روى الإمام أحمد وغيره عن سلمان بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : «الصدقة على المسكين صدقة» . وعلى ذي الرحم اثنتان صلة وصدقة .

٤- الحق الرابع حق اليتامى : واليتيم من مات أبوه وهو صغير لم يبلغ الحلم ؛ لأنه فقد من يقوم بمصالحه ، وفقد حنان الأبوة وعطف العائل فواجب على المسلمين أن يحسنوا إلى اليتيم بالمال

والكلمة الطيبة وإشعاره بأن إخوانه المسلمين قاموا مقام أبيه فكأنه لم يفقده ، ولا يحس بفقده لما يجد من المسلمين وقد حثت الآية على كفالة اليتيم وحفظ حقوقه . أما بعد البلوغ فلا يتم .

وحث النبي ﷺ على كفالة اليتيم والإحسان إليه فقال عليه الصلاة والسلام : «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى» . أخرجه مسلم عن أبي هريرة (١) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ما قعد يتيماً مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم الشيطان» .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ من ضم يتيماً من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله عز وجل غفرت له ذنوبه البتة إلا أن يعجل عملاً لا يغفر . ومن أذهب الله كريمته (٢) فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه . ومن كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يبين أو يمتن غفرت له ذنوبه البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر والذي لا يغفر كما قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] . وهذا الحديث من غرائب الحديث وغرره .

٥ - الحق الخامس : كما قال جلَّ شأنه ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ أي : أمر

(١) القرطبي : ١٤ / ٢ .

(٢) كريمته : يعني عينه .

بالإحسان إلى المساكين وهم الذين جعلتهم الحاجة في سكة
ضعفتهم سكنت بهم عن الحركة بعد القوة أو هم الذين لا يُفطن
لهم فيتصدق عليهم . كما قال ﷺ : « ليس المسكين بهذا الطواف
الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان
قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يجد غنى يغنيه ،
ولا يُفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً » رواه الشيخان^(١) .
والآية تتضمن الحث على الصدق والمواساة وتفقد أحوال المساكين
والضعفاء ، روى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي ﷺ قال : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في
سبيل » .

٦ - الحق السادس : حق الجار ذي القرابة ❖ والجار ذي
القربى ❖ .

٧ - الحق السابع : حق الجار الذي ليست له قرابة ❖ والجار
الجنب ❖ وقد أمر الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم بحفظ الجار والقيام بحقه وأوصى برعايته ، ومما يدل
على ذلك أن الله تعالى ذكّره بعد الوالدين والأقرباء ، ومعنى الجار
ذي القربى والجار الجنب . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
: والجار ذي القربى أي : القريب ، والجار الجنب ، أي : الغريب .

(١) ابن كثير والبغوي : ٤ / ١٨٧ .

وقيل : الجار ذي القربى : المسلم ، والجار الجنب : غير المسلم ، وعلى هذا فالجار قد أوصى به الإسلام ، سواء كان مسلماً أو كافراً ، والإحسان إلى الجار بمعنى المواساة . وقد يكون بمعنى : حسن العشرة ، وكف الأذى والعموم أقرب إلى النص .

- روى البخاري رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عن النبي ﷺ قال : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .

- وقال ﷺ : «والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قيل : يا رسول الله ومن قال الذي لا يأمن جاره بوائقه ، وهذا عام في كل جار . وقد أكد عليه الصلاة والسلام ترك أذيته بقسمه ثلاث مرات ، وأنه لا يؤمن أي الإيمان الكامل من آذى جاره . فينبغي للمؤمن أن يحذر آذى الجار وينتهي عما نهى الله ورسوله عنه . ويرغب فيما رضىه الله ورسوله وحث العباد عليه .

وحد الجيرة : أربعون بيتاً من كل جانب ، ومن سمع النداء فهو جار .

ومن إكرام الجار : ما رواه مسلم عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، وتعاهد جيرانك فحضر عليه الصلاة والسلام على مكارم الأخلاق ؛ لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع المفسدة فإن الجار قد يجد ريح الطبخ

وربما تكون له ذرية فإذا لم يُطعمهم هاجت الضغائن . وقد حثَّ عليه الصلاة والسلام على إكرام الجار الأقرب باباً بالهدية ؛ لأنه ينظر إلى ما يدخل دار جاره وما يخرج منها ، فإذا رأى خيراً أحب أن يشارك فيه وأيضاً فإنه أسرع إجابة إلى النداء إذا نابه شيء ، والنبي ﷺ يَسِّرُ الأمرَ بتنبية لطيف ، فجعل الزيادة فيما ليس له ثمن ولا يكلف عناء ، وهو الماء فلم يقل فأكثر لحمها ، إذ لا يسهل إكثار اللحم على كل واحد بخلاف الماء .

وحديث معاذ بن جبل جمع فيه مرافق الجار قال : قلنا يا رسول الله : ما حق الجار ؟ قال : إن استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير شرك وهنيته ، وإن أصابته مصيبة ساءتكَ وعزيتَه ، ولا تُؤذِه بقتارِ قدرك إلا أن تغرف له منها ، ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه ، وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها ، وإلا فأدخلها سرّاً ولا يخرج ولدك بشيء منها يغيطون به ولده ، وهل تفقهون ما أقول لكم لن يؤدي حق الجار ، إلا القليل ممن رحم الله . فاتقوا الله . وأذكر بقية الحقوق في الخطبة الثانية إن شاء الله تعالى .

أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . يعطي ويمنع ويحفظ ويرفع والعبرة
بميزان الله ومقاييس الآخرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق فقدر وشرع
فيسر فحمده والثناء عليه واجب على البشر .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بشر وأنذر
ورغب وحذر ، وتركنا على المحجة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا
هالك .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدي بهديه واتبع ملته .

أما بعد :

فيلاحظ في الآية المتقدم ذكرها أن الله تعالى قدم اليتامى
والمساكين على من بعدهم ؛ لأنهم أشد حاجة وأولى بالرعاية .

٨ - الحق الثامن المذكور في قوله ﴿والصاحب بالجنب﴾ أي :
الرفيق في السفر . قال بعض العلماء : للسفر مروءة . وللحضر
مروءة . فأما المروءة في السفر فبذل الزاد وقلة الخلاف على
الأصحاب وكثرة المزاح في غير ما خط الله .

وأما المروء في الحضر فالإدمان إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ،
وكثرة الإخوان في الله عز وجل .

٩ - الحق التاسع كما في قوله سبحانه : ﴿وابن السبيل﴾ ،
السبيل الطريق ، وإن السبيل هو الذي يجتاز ماراً ، فنسب المسافر
إليه لمروءه عليه ، فإذا قصرت به النفقة ، أحسن إليه بما يردُّه إلى
بلاده .

١٠ - الحق العاشر كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿وما ملكت
أيمانكم﴾ أمر الله تعالى بالإحسان إلى الممالك ، وبين النبي ﷺ
الإحسان إليهم بقوله لأبي ذر : «هم إخوانكم جعلهم الله تحت
أيديكم فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما
يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

فندب الكتاب والسنة إلى مكارم الأخلاق ، وحث السادة
عليها وأرشدتهم إلى الإحسان وإلى طريق التواضع حتى لا يرى
السادة لأنفسهم مزية على ممالكهم ؛ إذ الكل عبيد الله والمال مال
الله ، لكن سخر الناس بعضهم لبعض وملك بعضهم بعضاً إتماماً
لنعمة الله وتنفيذاً لحكمته .

وختم سبحانه الآية بقوله : ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً
فخوراً﴾ المختال : ذو الخيلاء ، أي : الكبر . والفخور : الذي
يعدد مناقبه تكبراً وخيلاء . وهاتان الصفتان : الاختيال والمفاخرة

تجعلان صاحبهما يأنف من الفقير ويضيع أمر الله فيه .

والتنظيم في الآية يتفق مع فطرة الإنسان ومع التنظيم الاجتماعي في الإسلام فجعلت التكافل يبدأ بالأسرة الصغيرة ، وهي البيت والقراية ، ثم يمتد الإحسان إلى المحتاجين من الأسرة المسلمة الكبيرة ، فتأملوا الآية أيها المؤمنون . وتدبروا معانيها ، فإنها محكمة لم ينسخ منها شيء ، والتوفيق بيد الله وأوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية .

وصلوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير وأوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢٣)

تفطر السموات واستغفار الملائكة لمن في الأرض

الحمد لله رب العالمين . له ما في السموات وما في الأرض ،
وهو العلي العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، من عظمته
وهيبته وجلاله تكاد الجمادات أن تتفطر . ومن رحمته ببني آدم
سخر الملائكة يستغفرون لهم .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، دعا إلى الله على بصيرة ،
وعدل بين الخلق ونصح لعباد الله وأدى أمانته .

اللهم صل وسلم على المصطفى المختار وعلى آل وأصحابه
البررة الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار .

أما بعد :

فإن أماننا الآن الآية الخامسة من سورة الشورى بهذا الوعد
تأملناها وتدبرناها وحاولنا فهم شيء من معناها ، هي قوله سبحانه
وتعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥) ﴿
[الشورى] .

فكأنني بإنسان يقول : ما هو سبب قرب السموات من التفطر؟
وما هو سبب تسبيح الملائكة ؟ وهل يتسغفر الملائكة لجميع من في
الأرض وفيهم المؤمن والكافر ؟ .

أخص لكم ما قاله المفسرون رحمة الله عليهم .

فأما سبب مقاربة السموات للتفطر في هذه الآية فللعلماء فيه
وجهان كلاهما يدل عليه القرآن .

الأول : تكاد السموات يتفطرن خوفاً من الله وهيبته وإجلالاً
تقديساً بدليل آخر الآية قبلها ﴿وهو العلي العظيم﴾ ؛ فالسموات
في غاية الخوف من الله وفي غاية الهيبة والإجلال ، بخلاف بني
آدم ، فإنهم لم يقدرُوا ربهم حق قدره . ولم يعظموه كما يليق
بجلاله ولم يقدسوه كما ينبغي له ، بل هم غافلون ساهون لاهون
في دنياهم عن واقع حالهم .

الوجه الثاني لسبب مقاربة السموات من التفطر . قيل : لعظم
ذنوب بني آدم فجعلوا لله ولداً ، وجعلوا له نداً وشريكاً .

ويدلُّ على هذا قوله سبحانه في سورة مريم : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ
الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا
يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي
الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فَرَدَا ﴿٩٥﴾ ﴿ [مریم] .

قال أهل هذا التأويل : غاية ما في هذا الوجه أن آية الشورى فيها إجمال في سبب تفطر السموات ، وقد جاء ذلك موضحاً في آية مريم .

وهنا يرد استفهام عن معنى الفوقية في قوله تعالى : ﴿ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ﴾ . فعلى القول الأول ظاهر ؛ لأن أعظم الآيات الدالة على جلال الله وعظمته فوق السموات ، وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المتحركة بالتسبيح والتقديس حول العرش ، وآثار ملكوت المالك العظمى . فالتفطر من فوقه ظاهر .

وأما على القول الثاني بأن سبب مُقاربة السموات للتفطر كلمة الكفر التي قالها بنو آدم وافترأؤهم على الله وهي جاءت من تحت السموات .

فقال العلماء : لأن افتراء بني آدم أثر على فوق السموات فكِدُنْ أن يتفطرن من فوقهن .

وأما سبب تسبيح الملائكة ، فإنهم مَجْبُولُونَ على الطاعة والبعد عن المعصية . كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ ... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ﴿٦﴾ [التحريم] .

وإذا رأوا معاصي بني آدم ، نزّهوا الله تعالى عما لا يجوز في

وصفه وعما لا يليق بجلاله ويتعجبون من جرأة المشركين وقولهم
 بلا علم فالملائكة بخلاف المشركين كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنْ
 اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ
 (٣٨) ﴾ [فصلت] . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
 وَالنَّبُوءَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) ﴾
 [الأنعام] .

وأيضاً ، فإذا كانت السموات في غاية الخوف من الله
 والهيبة ، فإن الملائكة عقلاء معصومون يخافون الله ويهابونه لما
 يرون من عظمتهم وقديسيته وقهره وإحاطته وبلوغ أمره ونفاذ إرادته ،
 فهم ينزهون الله من النقائص ومن وصف الظالمين وعصيان
 العاصين ، وخضوعاً لعظمته .

وهذه الصفة التي بلغت من الملائكة شدة الخوف ، جعلتهم
 يخافون على أهل الأرض فيستغفرون لمن في الأرض .
 استغفار الملائكة لمن في الأرض فللعلماء فيه كلام .
 قال بعض العلماء : المراد بمن في الأرض المؤمنون .
 وبيانه : في سورة المؤمن ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

وقال بعض العلماء : آية الشورى على معناها العموم وآية
 المؤمن على معناها ، فالملائكة منهم حملة العرش يستغفرون للذين
 آمنوا وهناك ملائكة آخرون يستغفرون لعموم من في الأرض

المؤمن وغير المؤمن . وإذا يكون استغفارهم لغير المؤمنين ألاَّ يُعاجلهم الجبار بالعقاب ويطلبون لهم الرزق والسعة وبمناسبة استغفار الملائكة لمن في الأرض . قال بعض العلماء : أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة وأغش عباد الله لعباد الله الشيطان ، فمن كان من البشر ناصحاً لعباد الله مخلصاً العمل فهو مثل الملائكة ومن كان منهم غاشاً لعباد الله يتربص بهم الدوائر فهو من أتباع الشيطان . فاتقوا الله أيها المؤمنون ، كونوا من حزب الرحمن تفوزوا وتفلهوا .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة واستر عيوبنا وارحم ضعفنا أمامك . واغننا بالحلal عن الحرام ، وبفضلك عن سواك . وتب علينا وعلى جميع المسلمين إنك أنت التواب .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . أكمل الدين ورضي الإسلام
للمؤمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (وهو القاهر فوق
عباده وهو الحكيم الخبير) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله (وما ينطق عن
الهُوى إن هو إلا وحي يوحى) .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى ومن تبعهم بإحسان
واهتدى .

أما بعد :

فإن السلف الصالح ذموا الاعتماد على الرأي في الشرعيات ،
وحرّموا اتباع الهوى والعقل . فالرأي ثلاثة أقسام :

رأي باطل بلا ريب . ورأي صحيح بلا ريب ، ورأي موضع
اشتباه .

والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف فاستعملوا الرأي
الصحيح . وذموا الباطل ، وفصلوا القول به .

أما الرأي موضع الاشتباه ، فجوزوا العمل به عند الضرورة .

والرأي الباطل أنواع : رأي خالف النص الشرعي .

والثاني القول في الدين بالخرص والظن مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص .

الثالث : رأي فتي على قياسات باطلة . مثل آراء الجهمية والمعتزلة والقدرية .

الرابع : رأي أحدثت به بدع وغيّرت به سنن ، وعمّ به البلاء .

فهذه الأنواع الأربعة . قد اتفق السلف والأئمة على ذمها وردّها ، وفاعلها آثم . قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ﴾ [القصص] .

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «تفرق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم يحرمون به ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله» .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم» .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «أيها الناس : إن الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيباً إن الله كان يريه وإنا هو منّا الظن

والتكلف؟» .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه في شأن العمرة : «إنما كان رأيا أشرتُ به فمن شاء أخذه ومن شاء تركه » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه » .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «من قال في القرآن برأيه فليبتوأ مقعده من النار » .

وقال مالك عن نافع : «العلم ثلاثة : (كتاب الله الناطق ، وسنة ماضية ولا أدري » .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) [الحشر] .

وصلوا على البشير النذير ، فقد أمرنا بذلك في كتابه العزيز فقال سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) [الأحزاب] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢٤)

الإيمان والاستقامة

الحمد لله رب العالمين . وعد المستقيمين على طاعته بالأمن
التام يوم الفزع الأكبر . يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بين يدي
الساعة بشيراً ونذيراً ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً
(٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً (٤٦)﴾ [الأحزاب] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد :

فإن أمامنا الآن آية فيها بشارة للمؤمنين بشارة مفرحة مؤنسة ،
وهي من سورة فصلت ، السورة الثانية من السور السبع التي بدأت
بالحاء والميم (حم) .

وهي أرحب آية كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : جمعت
كمال الإسلام هي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نَزْلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

[فصلت : ٣٠ - ٣٢] .

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ فِي السُّورَةِ مَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمَكْذِبَةَ وَذَكَرَ جَزَاءَ الْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . ذَكَرَ ثَوَابَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَزَاءَهُمْ فَيَسْتَحْسِنُ أَنْ نَعْرِفَ مَعْنَى الْإِسْتِقَامَةِ . وَمِنْ هُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ ، وَمَتَى تَنْزِلُهُمْ؟

الاستقامة : ضد الميل والروغان قال الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه : استقاموا : لم يشركوا بالله شيئاً . وقال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه : استقاموا على الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعلب . وقال الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه : استقاموا : أخلصوا العمل لله . وقال الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه : استقاموا : أدؤا فرائض الله . والآية تحتمل تلك الأقوال ، وإنما هو اختلاف تنوع فتولي الخلفاء الأربعة علماء الإسلام تفسير الاستقامة دليل على أهميتها . وبرهان على أن لها منزلة ومكانة في الدين ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله

وقال الحافظ ابن كثير أخلصوا العمل لله وعلموا بطاعة الله تعالى على ما شرع لهم . والاستقامة وسط بين الإفراط والتفريط . فلا يتوغل العبد في إثبات الأسماء والصفات حتى يصل إلى التشبيه والتمثيل . ولا يتوغل في باب التنزيه حتى يصل إلى التعطيل إثبات بلا تشبيه . وتنزيه بلا تعطيل وكذلك في باب الجبر والقدر . والرجاء والخوف .

والإيمان بالربوبية يستلزم الإيمان بالوحدانية لله والألوهية فلم يستقم من آمن بالربوبية وأنكر الوحدانية والألوهية وقد وبخ الخالق تعالى الذين آمنوا بالربوبية وأنكروا الألوهية والتوحيد، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥)﴾ [لقمان]. وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧)﴾ [الزخرف]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبِرُ الْأُمُورَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾ [يونس]. وربط سبحانه بين الربوبية والألوهية في كثير من الآيات ، منها قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾ [الزخرف].

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ
 إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا
 تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا
 بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ
 ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) ﴿ [النمل : ٦٠ - ٦٤] .

فما استقام من اعتقد أن لبعض المخلوقين تصرفاً في هذا الكون
 مثل الأقطاب والأوتاد والأبدال . وما استقام من جعل مع الله آلهة
 أخرى . وما استقام من ترك ما أوجب الله عليه وفعل ما حرم الله .
 وما استقام من خالف سنة النبي ﷺ متعمداً . ولا من خالف ما كان
 عليه أصحابه ﷺ .

أما الملائكة الذين يتنزلون على المؤمنين ويؤمنونهم فهم الملائكة
 الذين كانوا مع المؤمنين في الدنيا يكتبون أعمالهم وأقوالهم ؛ بدليل
 قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ؛ لأنهم
 كانوا يعرفون طيب أعمالهم واستقامة أحوالهم وصدق أقوالهم .

وأما وقت التأمين فهو وقت الخوف والقلق ويحصل في ثلاثة
 مقامات :

الأول : عند الموت إذا فارق المؤمن الدنيا وبلغت الروح
 الحلقوم فيكون المؤمن خائفاً وجلاً بماذا يلقي ربه ولا يدري هل

عمله مقبول أو مردود؟ فيأتيه الملكان فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة ، وأبشر برضى ربك فتهدأ نفسه ويرتاح باله ويطمئن خاطره . ويذهب خوفه .

الثاني : في القبر . إذا رُدت عليه روحه وهو في تلك الحفرة الضيقة المظلمة فيخرج عليه منكر ونكير ، فيخاف ، ويقلق ويغتم لا يدري هل يثبته الله بالقول الثابت ، فيأتيه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا قد عرفا أعماله فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت ترجوها وتتمناها وعملت لله صالحاً رغبة فيها .

والمقام الثالث : إذا قام الناس من قبورهم يوم القيامة حفاة عراة غرلاً لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، فيذكر غضب الرب في ذلك الموقف وتطايير الصحف و يتذكر الصراط ، ويسمع جهنم لها زفير وشهيق ، ذلك يوم الفزع الأكبر والخوف الأعظم والفم الكاتم . فيأتيه الملكان فيقولان له لا تخف ولا تحزن ويبشرانه بالجنة فما من عظيمة يخشاها الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن من قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام] . (٨٢)

فاتقوا الله عباد الله .

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً و يقيناً صادقاً ، ونسألك الاستقامة

على الإيمان والتوحيد والعمل الصالح ، وتقبل منّا . وأمن وحشتنا
واربط على قلوبنا وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .
واجعلنا ممن استقام على طاعتك وتنزلت عليه الملائكة بالآمن
والبشرى وأدخلنا الجنة برحمتك . يا واسع الفضل والجود واغفر
لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين .

استغفروا ربكم وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع ملته .
أما بعد :

فقول الملائكة للمستقيمين : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ تأنيس للمؤمنين وتعريف لهم بأنفسهم ، فإذا قدم
الإنسان إلى مكان لا يعرفه فتلقيه صديق قديم يزيد في نفس القادم
انشراحاً وأنساً وتزول دهشته وحشمة الغربة وتزول الوحشة .
فاتقوا الله أيها المؤمنون . استقيموا على التوحيد وتمسكوا
بسنة النبي ﷺ فلا يُزاد عليها ولا ينقص ، ولا تقدموا الآراء
والاستحسانات على النصوص الشرعية فمن قدم الرأي على النص
هلك .

وصلوا على البشير النذير ، فقد أمرنا بذلك في كتابه المنير
فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) [الأحزاب] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢٥)

القرآن ينظم حياة الناس

الحمد لله رب العالمين ، أنزل الذكر وحفظه وأنزل الفرقان .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا رب غيره ،
ولا معبود بحق سواه .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أنزل عليه الكتاب بالحق
﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة] ، ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل] ،
﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ [لقمان] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فإن هذا القرآن هو كتاب الدعوة . هو أساسها
وباعثها هو نظامها ومنهجها . ومنه يستمد الدعاة والقضاة مناهج
الحركة وزاد الطريق .

القرآن أنزل لينظم حياة الناس ، في منهجها وسلوكها
وعلاقاتها . وليعالج المشاكل الفردية والجماعية . فيه لكل مشكلة
حلٌ ونظام . وقد وجه القرآن النفوس المؤمنة والأحداث التي تمر
بهم وأقام العدل ورفع الظلم . وكونَ أمة مؤمنة في أعلى المستويات
في أخلاقها وسلوكها وعقيدتها ومعاملاتها ، وصلة بعضهم ببعض

وصلة بعضهم بغيرهم . كَوْن أمة وسطاً شهداء على الناس .

فينبغي أن نستحضر في نفوسنا حياة الرعيل الأول من أمة الإسلام وكيف رباها القرآن ونقلها من الجاهلية إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن خشونة الطبع وقسوة القلوب إلى الرحمة والإحسان .

ينبغي أن نستحضر تلك النخبة الطيبة التي تخلقت بخلق القرآن ، وتأدبت بأدابه وهي تواجه أحداثاً متنوعة وعادات مختلفة . وتصارع شهوات ورغبات . وتقاليدها ألفوها وعاشوا فيها ردحاً من الزمن ، ونتأمل كيف أخذ القرآن بيدها وسيرها خطوة - خطوة حتى وصلت إلى القمة .

يجب أن نعلم يقيناً أننا مخاطبون بالقرآن مثل ما خوطب به القرن الأول وأن الأحداث والشهوات والعادات والتقاليد والمشاكل المعاصرة لا تختلف في أصلها عن الأحداث والحالات التي كانت تواجهها الأمة المفضلة . وإن كانت بعض الملابس وبعض البيئات قد تتغير في بعض صورها عن ذي قبل . فالجاهلية الأولى مثل الجاهلية المعاصرة ، أساسها وقواعدها وأهدافها وبواعثها ، ونتائجها وإن تغيرت بعض الهياكل والصور . والقرآن الكريم كما أنه عمل في تلك الأمة وأصلح شأنها وهيأها لأداء مهمتها قادر على أن يصلح شأن الأمة المعاصرة . وما على الرسول إلا البلاغ والهداية والتوفيق بيد الله ، فالواجب على دعاة الإسلام إيصال

القرآن إلى الأسماع وهو كفيل بالدخول إلى القلوب وإصلاحها .

وقد يقول قائل إن القوة الآن في أيدي غير المسلمين ، فأقول له إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء . . . وأزمنة الأمور كلها بيد الله . والعز والذل بيد الله . والقوة التي يصنعها أولئك ملك لله . وفعاليتها بيد الله . وتعطيها بيد الله والملك لله . والخلق خلق الله والإرادة إرادة الله وما يحصل في هذا الوجود من شيء إلا بعلم الله ومشئته . وكل أمر مقدر في اللوح عند الله . فلا يحصل في الكون إلا ما قدر الله . فلن يضيع أمة ناصحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم إن القرآن يتفق مع مشاهد هذا الكون . فكل ما نشاهده دال على وجود الله وكمال قدرته وشمول قهره . والقرآن كلام الله دال على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته ، وشمول قهره .

فكما أن هذا الكون المشاهد لم يؤثر فيه تطاول الزمن . ولم ينقص من قدرته على أداء الواجب الذي من أجله خلق .

فكذلك القرآن لا يؤثر فيه تطاول الزمن ولم ينقص من قدرته على أداء مهمته التي من أجلها تكلم الله به وأنزله .

فالقرآن يخاطب الإنسان خطاباً لا يتغير بتطاول الزمان ولا يتغير باختلاف بعض الصور والأشكال . والإنسان بفطرته وتكوينه وعقله وفهمه لم يتغير .

فالقرآن أنزل لجميع الأجيال والعصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، حيث ينادي سبحانه لمن الملك اليوم فلا يجيب أحد لأن البشر تحت الثرى فيجيب نفسه لله الواحد القهار .

فإذا كان لا يليق أن يقول قائل : إن الشمس كوكب قديم ينبغي أن يغير بكوكب عصري تقديمي يتلاءم مع متطلبات الحياة .

فكذلك القرآن لا يقال أنه نظام قديم ينبغي أن يبدل بنظام عصري تقديمي . فالذي خلق الشمس هو خلق الإنسان وهو الذي تكلم بالقرآن وأنزله نظاماً ومنهجاً يحقق العدل ويرفع الظلم وتضمن المساواة والعدالة الاجتماعية فكل من الشمس والإنسان والقرآن . أودع فيه خصائص لا تتغير ولا يؤثر فيها مرور الزمن ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣) [الأنعام] فأى دعوة تلبس ثوب الإسلام ولم يكن القرآن الكريم نظامها ولا أساسها ولم يكن التوحيد هدفها ومبدأها ، فهي دعوة لم تكن على سبيل النبي ﷺ ولم تتمش على نظام الإسلام .

ذلكم أن القرآن هو نظام الدعوة في أي زمان ومكان ، وهو نظام أمة محمد ﷺ في كل ميدان .

ويجب أن يُعلم أن القرآن إنما يتلى للتدبر والعمل والانقياد لأوامره ونواهيه . أما مجرد التلاوة التعبدية مع جعل القرآن بعيداً عن واقع الحياة فليست من أهداف القرآن ومقاصده

فاتقوا الله أيها المسلمون . كونوا دعاةً لله بأعمالكم
وأخلاقكم ومعاملاتكم والصدق في القول والنصح لكل مسلم .

اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين . اللهم أبرم لهذه
الأمة أمر رشدي عز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية ويؤمر فيه
بالمعروف وينهى فيه عن المنكر .

اللهم تُب على التائبين واغفر ذنوب المستغفرين . وارحم
ضعف المسلمين ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين إنك
أنت الغفور الرحيم . .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فلن تجد له ولياً مرشداً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (يعلم خاتمة الأعين
وما تخفي الصدور) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، بلغ رسالة ربه ونصح
لأمته وجاهد في الله حق جهاده .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فإذا سهى المصلي سواء في فرض أو نفل سجد
للسهو ، سواء في التراويح أو في الفريضة . قال البخاري رحمه
الله باب : السهو في الفرض والتطوع^(١) : وسجد ابن عباس رضي
الله عنهما سجدين بعد وتره . قال في فتح الباري وتعلق هذا الأثر
بالترجمة من جهة أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يرى أن الوتر
غير واجب ويسجد مع ذلك في والجمهور على أن الفرض والنفل
يتحد فيهما الحكم . والاحتجاج بأن فعل النبي ﷺ كان في
الفرض . فلأن الصحابة لا يعلمون إلا ما رأوه . ولم أر نصاً أن

(١) صحيح البخاري : ٨٧ / ٢ فتح الباري : ١٠٤ / ٣ .

النبي ﷺ سهى في نفل فلم يسجد .

وفعل الصحابي الجليل ^(١) فصل في المسألة .

أما المأموم فإذا سجد إمامه سجد معه وإلا فلا يختلف عليه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦]

وقال ﷺ : « من صلى عليّ مرة صلي عليه بها عشرًا » إلخ

الدعاء .

(١) أي فعل الصحابي الجليل حبر هذه الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حجة في هذه المسألة حيث تقدم أنه يرى أن الوتر غير واجب ويسجد للسهو فيه .

الخطبة رقم (٢٦)

الاستسقاء

الله أكبر ٩ مرات

لا إله إلا الله الجواد الكريم . لا إله إلا الله العظيم الحليم .

لا إله إلا الله الحي القيوم .

لا إله إلا الله الغني الحميد .

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر
ولله الحمد .

الحمد لله رب العالمين . تفرد بصفات الجلال والكمال .
وتوحد بالأسماء الحسنى ، فله الحمد في الآخرة والأولى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعطي ويمنع
ويخفض ويرفع ويرزق من يشاء بغير حساب .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله رحمة
للعالمين . وهادياً ونوراً للمبصرين .

اللهم صل وسلم على النبي الكريم وعلى آله وأصحابه الطيبين
الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فإننا نسمع ولله الحمد نزول بعض الأمطار على

بعض البلاد ، ولكن البعض الآخر في حاجة إلى بركة الله ورحمته ، وإلى الأمطار والكلأ وإغاثته .

وكان ﷺ إذا شكى إليه بعض الناس القحط وتأخر نزوله عن وقته استسقى . والخالق تعالى نظم هذا الوجود ورتب المسببات على أسبابها . فنزول الأمطار في وقت الوسم ينبت بإذن الله وإرادته أنواعاً جيدة من الأعشاب وأنواعاً من الكماة يتتفع بها الناس وتشبع الماشية عشباً اخضراً . ويزيد الدر ويطيب الجو ويفرح عباد الله . وترتع الماشية وبقي في وقت الوسم عشرة أيام لأنه إثنان وخمسون يوماً يبدأ من نجم العوى في أول شهر جماد الأولى الماضي فاجتهدوا في الدعاء والاستغفار وكونوا على يقين بأن خزائن الجواد الجريم ملأى ولكن منع المطر عن بعض البلاد إما ابتلاء واختبار . وإما انتقام وعقوبة وفي ذلك تنبيه للعباد وتربية ليتوبوا إلى الله . فواجب على المسلم أن يحاسب نفسه وأن يتأمل ما ينظر ويسمع هل فيه خير لدينه ودنياه . أم فيه مفسدة لدينه وتضييع لدنياه ويختار . أحل الطيبات وحرم الخبائث وشرع الشرائع فإنما لمصلحة المكلفين ، فأى خطر على البلاد والعباد من الجهر بتسمية الربا بغير اسمه مثل تسمية الخمر بغير اسمها . والإفتاء بحلها .

والنبي ﷺ جعل قاعدة واضحة بينة غير قابلة للتدليس ولا للتلبيس ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الذهب بالذهب وزناً بوزن مثلاً بمثل ، والفضة بالفضة وزناً بوزن مثلاً

بمثل ، فمن زاد أو استزاد فهو ربا» رواه مسلم . وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» رواه مسلم (١) .

وعملات الورق الآن تقوم مقام أصلها فمثلاً الريال السعودي بدل - الريال الفضة . فلا بد إذاً أن تكون المعاملة به جارية على وفق النص الشرعي .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٢) وإذا تأملنا أحوال الناس في العالم نجد الخطر محقق والعقوبة مستحقة .

فأي مصيبة أخطر على الدين والخلق من الصدود عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والانصراف الكلي بالقلب والقالب إلى اللعب واللغو والمسليات ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) ﴿ [الزخرف : ٣٦ ، ٣٧] .

انتشر الغش والكذب والمكر والخداع ، واجتنب كثير من

(١) بلوغ المرام مع فقه الإسلام : ١١٢ / ٥ .

(٢) الترغيب والترهيب : ٨ / ٣ .

الناس الصدق والتقوى ، فقطعت الأرحام . وقلَّ التعاطف .
وفشت الجفوة والقطيعة ذهبت الشيم ومكارم الأخلاق . وضيعت
الصلوات . ومنعت الزكوة وصار بعض المعروف منكراً وبعض
المنكر معروفاً .

فاتقوا الله أيها المسلمون وتوبوا إليه . وأتبعوا الحسنة السيئة
تمحها . وخالقوا الناس بخلق حسن . وأكثروا من حمد الله
وشكره على هذه النعم نعمة الأمن ، ونعمة الصحة ، ونعمة
التآخي والتعاون على البر والتقوى ، ومعرفة المعروف وإنكار المنكر
اشكروا الله على هذه النعم المتوفرة والرخاء وتوفر المتطلبات فكل
يتمنى أن يأتي إلى بلادنا لعل الله أن يرحم عباده وبلاده وبهائمه
﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى] .

فتوبوا إلى الله أيها المؤمنون واستغفروه وردوا المظالم إلى
أهلها وتصافحوا وتسامحوا وأحسنوا إلى ذوي القربى والفقراء
والأيتام والضعفاء .

توجهوا إلى أرحم الراحمين ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ
فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة] .

كونوا مثل عباد الله الصالحين كما قال الله عنهم ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهَ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ
جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴿ [آل عمران] .

تخوَّفُوا من الذُّنُوبِ والمعاصي أكثر من خوفكم من العدو فإن
المعاصي تغضب الرب وتسبب النقمة (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) فبسبب الذُّنُوبِ
يمنع الله القطر من السماء ويرفع البركة ، ويحرم المرء لذة الحياة وإن
ضحكت له الدنيا . المعاصي سبب لمقت الله أو سبب نزول البلايا
والرزايا والمحن والفتن .

﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ
الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [العنكبوت]

فاتقوا ربكم أيها المسلمون أنتم الذين تؤمنون بالشواب
والعقاب وبالיום الآخر والحساب . أنتم المؤمنون بما أنزل الله على
رسوله محمد ﷺ وأنتم الذين اختاركم الله لحزبه .

الجأوا إلى فارح الكربات وتوجهوا إلى مجيب الدعوات
وتضرعوا إلى قيوم الأرض والسموات ، تعرضوا لثوبة الله
ورحمته فكلنا خطاؤون وخير الخطائين التوابون . وارغبوا فيما عند
الله ، فإنه جواد كريم ، واستغفروا ربكم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر].

أكثرُوا من الاستغفار ، فمن أكثر منه جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ومن كل عسر يسراً ، ومن كل بلاء عافية ، ورزقه من حيث لا يحتسب .

واعلموا أن الاستغفار هو مفتاح الرزق من السماء ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴿١١﴾﴾ [نوح] نستغفر الله ونتوب إليه . اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا وتجاوز عن خطيئتنا وعمدنا وكل ذلك عندنا ، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا . ولا تؤاخذنا بإهمالنا وتقصيرنا ولا بما فعل السفهاء منا .

اللهم إن بالعباد والبلاد من الحاجة إلى الغيث والبركة ما لا نشكوه إلا إليك ولا يقدر عليه إلا أنت .

اللهم إن رجاءنا واقف ببابك ودعاءنا صاعد إليك وأنت الغفور الرحيم تُجيب دعوة المضطر إذا دعاك ، ونحن عبيدك الفقراء إليك اقتدينا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم . نرجوا فضلك وإحسانك وعفوك وامتنانك أنت الجواد الواعد . وأنت الخالق الرازق .

نسألك اللهم بأسمائك الحسنی وصفاتك العلی وباسمك الأعظم أن تُغِثنا وتغِث قلوبنا .

اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً غدقاً مجللاً سحاً طبقاً عاماً
نافعاً غير ضار عاجلاً غير آجل .

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين . اللهم اسق عبادك
وبلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت إنك على كل
شيء قدير .

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من الآيسين .
اللهم إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ فَلَا تَمْنَعْ عَنَا بِذُنُوبِنَا فَضْلَكَ .
اللهم اسقنا وأغننا .

(اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا
مدراراً) ، اللهم أجر الأودية والشعاب واملأ السدود وملازم الماء .
اللهم سقيا رحمة . . اللهم سقيا رحمة .

عباد الله اقتدوا بنبينا محمد ﷺ في قلب الرداء وألحوا في
الطلب ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ
الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢٨) [الشورى] .

الخطبة رقم (٢٧)

إنما الحياة الدنيا لعب ولهو

الحمد لله رب العالمين . ضرب للدنيا مثلاً فيه عبرة للمعتبرين
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، يحيي ويميت وهو
على كل شيء قدير .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، عرف حقيقة
الدنيا وحقيقة الآخرة ، فاجتهد لدار البقاء تعليماً لأمته وإرشاداً .
اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى
آله ، وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فلما كانت النفوس تميل إلى العاجل وتؤثر الحياة
الدنيا بين الخالق تعالى صفة الدنيا في أكثر من آية من القرآن الكريم
ليسير المؤمن في هذه الحياة على علم وبصيرة . قال تعالى :
﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠] . فكل ما يستفيده
المجتهدون لطلب الدنيا خمس خصال ، لعب ، ولهو ، وزينة ،
وتفاخر ، وتكاثر في الأموال ، فاللعب ضد الجد يتعب اللاعب

نفسه ثم يعود مُجهداً وليس معه حصيلة تنفقه في مستقبل أمره .

واللهو الاشتغال بالذي هو أدنى عن الذهب هو خير يصرف
اللاهي وقته المحسوب من حياته ويصرف بعض ماله . ويترك ما
يجب عليه فعله . ثم يرجع إلى أهله بلا فائدة تنفقه يوم العرض
على الله . فيحس بالحسرة والندم .

والزينة تحسين الذات أو المسكن أو غيرهما ليعجب الناظرين ،
فإذا كان مآل الإنسان الفناء وعاقبة الدنيا الخراب فلا يجوز
الاشتغال بالزينة عن العمل للآخرة بما يقرب من الله ويرفع
الدرجات .

والتفاخر هو حديث المرأ عن محامد نفسه ومحاسنه وأفعاله .
وعنه ينشأ الحقد والحسد . فالعاقل لا يتفاخر بالدنيا وزخارفها وهي
زائلة زائلٌ ما فيها ولا يركن إليها وهي تخونه .

وأما التكاثر في الأموال والأولاد . فمن عادة الجاهلية لأنهم لا
يؤمنون باليوم الآخر ولا بالجزاء والحساب . وأما المؤمنون
فتكاثرهم بالإيمان والطاعة والأعمال الصالحة ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي
نَعِيمٍ ﴾ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ [المطففين: ٢٢، ٢٣] .

فالدنيا كهذه الأشياء يشتغل بها صاحبها عما هو أهم ، وهي
تزول وتفنى ، فإذا كانت الدنيا لا تخرج عن هذه الخمس فإن العاقل
لا ينصرف إليها انصرافاً كلياً ولا يلقيها باله وكل اهتمامه حتى

يكون حُبُّه للدنيا ويبغضها للدنيا ، وليس أمام فكره إلا تحصيل الدنيا وينسى الآخرة وعذابها ، فالذي يشتهي الإنسان في هذه الدنيا لا عاقبة له وإنما بمنزلة اللعب واللهو ، ذكر القرطبي أن سليمان بن عبد الملك نظر في المرأة . فقال أنا الملك الشاب . فقالت له جاريتته بيتين من الشعر معناه ما أنه نعم المتاع لو كان يبقى . ولكن لا بقاء للإنسان ، وأنه لم يبين فيه عيب كما في الناس إلا أنه يفنى . وذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال علي رضي الله عنه الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار تجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، ومن هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها . وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة .

والمثل المحسوس للدنيا كما ذكره تعالى في سورة الحديد كما تقدم وفي سورة يونس بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ [يونس : ٢٤] ، وفي سورة الكهف بقوله جل شأنه : ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ﴾ [الكهف : ٤٥] .

فشريط حياة البشر ينتهي بهذه الصورة المشاهدة للنبات ، وغاية الفناء . ثم البعث للحساب ، فإذا أراد الإنسان أن يعرف نشأته وما له فليتأمل النبات . تراه ينبت من البذور ضعيفاً ثم يقوى ويشد حتى يتكامل ثم يعود إلى النقص والذبول والضعف ثم إلى

الفناء حتى يجف وييبس وتتقطع أجزاؤه .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤)﴾ [الروم]

هكذا حقيقة الدنيا . أما الآخرة فشأنها عظيم باقية أبداً لا تفتنى ولا تضعف وليس لها منتهى . إما نعيم مقيم وإما عذاب دائم . وقوله تعالى : ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٠)﴾ [الحديد : ٢٠] أي لمن كفر بالله وكذب رسله وألهته دنياه عن آخرته . واتخذ الدنيا غاية وهدفاً .

وقوله تعالى : ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ (٢٠)﴾ [الحديد : ٢٠] أي لمن آمن بالله وصدق رسله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين . وعرف الدنيا واتخذها عوناً له على طاعة الله . وجعلها متاعاً إلى منتهاه .

وقوله سبحانه : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)﴾ [الحديد : ٢٠] متاع فإن يغتر بها الكفار الذين يركنون إلى الدنيا وتعجبهم حتى يعتقدون أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها . وهي حقيرة ضئيلة بالنسبة للآخرة .

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» .

فلا ينبغي للمؤمن أن يتخذ الدنيا غايته ومنتهاى إرادته فيحب

من أجلها ويُغض من أجلها ويعمل من أجلها ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر] .

إن الإسلام حين يقلل من شأن الدنيا ويحقرها لا يقصد تحريم
ما أحل الله من الطيبات ، ولا أن يترك المسلم ما علمه الله من
الصناعات ولا أن يترك الدنيا لأعداء الله يتحكمون بها في عباد الله
ولا أن يكون المسلم في مؤخرة ركب الحياة مغلوباً على أمره .

وإنما يريد الإسلام تصحيح التصورات وتقويم الموازين . وأن
يتخذ الدنيا وسيلة لا غاية ، وعوناً على الواجبات الإسلامية .

فمن أخذها بحقها وصرفها في طاعة الله في دعم المجاهدين
وفي الدعوة إلى الله . والبر والإحسان إلى الأقارب والمحتاجين ،
فالدنيا له نعمة وقد اتخذها وسيلة .

أما من جمعها بما حرم الله . وصرفها في معصية الله واستعان
بها على خلق الله . وأحب في الدنيا وأبغض للدنيا فقد عبدها من
دون الله ، تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي
رضي وإن لم يعط سخط ، تعكس وانتكس وإذا شيك فلا انتفش .
طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه . مغبرة
قدماه . إن كان في الحراسة كان الحراسة ، وإن كان في الساقة .

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار
مصيرنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا . اللهم ارحم في

الدنيا غربتنا وارحم في القبور وحشتنا . وارحم وقوفنا بين يديك
واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين . فاستغفروا ربكم إنه
هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، ربَّانا بنعمه . وحفظنا بكرمه . وهدانا
لمعالم دينه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . خلقنا
لعبادته وبعث لنا رسولا من أنفسنا أوجب علينا طاعته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله آتاه الله الكتاب
والحكمة وعلمه ما لم يعلم وقربه واصطفاه .

اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن أطاعه وآمن به واتبع سبيله .

أما بعد . . فأوصيكم وإياي بتقوى الله . فنعم الزاد ونعم
المتاع ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٠)
[يوسف : ٩٠] . تأملوا واقع الدنيا فكم من عامر متقن يخرب بعد
عمارته ، وكم من إنسان أعطيها فهو مغبط وعمّا قريب ترحل عنه أو
يرحل عنها .

فإذا علم العاقل أن الدنيا لم تكن دار إقامة فلا بد أن تكون
حاله فيها على أحد أمرين . إما أن يحس بأنه في دار غربة فيكون
همه التزود والرجوع إلى وطنه . وموطن المؤمن الجنة وإما أن يكون
كالمسافر يسير ليله ونهاره ليصل إلى بلد إقامته ، فتمتعوا من الدنيا
على حذر فما أضحكت ساعة إلا وأبكت أياماً . وما أفرحت يوماً

إلا وأحزنت أياماً .

ثم استمعوا قول الجواد الحكيم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) ﴿ [الأحزاب :
٥٦] إلخ .

الخطبة رقم (٢٨)

القيام للقادم

الحمد لله رب العالمين . هداانا للإسلام وجعلنا من خير الأنام
أمةً وسطاً شهداء على الناس .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . أنار بصائر
المتقين . فاهتدوا بهدي القرآن وسنة إمام المتقين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير من دعا إلى
الله على بصيرة فأظهر الحجة وأبان المحجة . وأقام الدليل وأنار
السبيل .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فقد اعتاد الناس القيام للداخل إكراماً له وإظهاراً
لقدره ومكانته . وهذا جائز إن شاء الله تعالى لعدم ورود النص فيه
بالمنع . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وإذا كان من عادة
الناس إكرام الجائي بالقيام . ولو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه .
أو قصد خفضه فالأصلح أن يقام له . لأن ذلك أصلح لذات البين
وإزالة التباغض والشحناء .

وإذا تأملنا النصوص الشرعية الواردة في شأن القيام ،

وجدناها تدور على ثلاثة أحكام . مباح ، ومأمور به ، ومنهي عنه .

أما المباح فكما تقدم إذا أتى آت إلى أناسٍ جلوسٍ فقاموا له إكراماً وإجلالاً ، فهو جائز لعدم ورود النص فيه بالمنع . وخاصة إذا اعتاد الناس ذلك القيام . وأن الآتي يجد في نفسه على من لم يقيم فلما قال شيخ الإسلام القيام أصلح محافظةً على الأخوة وإبقاء على المودة . ودفعاً لوسواس إبليس ودسائس الشياطين . ولأن القائم للآتي ساواه في القيام فكل منهما قائم بخلاف القائم على القاعد كما سيأتي إن شاء الله . والقاعدة المعروفة دفع أعظم المفسدين بالتزام أدناهما وتحصيل أعظم الصالحين بتفويت الأقل . ولكن الأفضل أن يعتاد الناس ما كان عليه السلف الصالح في عهد رسول الله ﷺ . فإنهم خير القرون فلا يعدل أحد عن هدي خير الورى وهدي خير القرون إلى ما هو دونه . فلم تكن عادة الصحابة القيام للرسول ﷺ كلما رأوه . ولم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ فلم يقوموا كلما رأوه لأنهم يعلمون كراهيته ﷺ للقيام .

وأما القيام المأمور به فهو القيام للقادم في غيبة تلقيا له كما روي أن النبي ﷺ قام لعكرمة (١) . وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ قوموا إلى سيدكم .

ومن القيام المأمور به القيام للجنازة . فإذا كان المسلم قاعداً قام

(١) فتاوى ابن تيمية : ١ / ٣٧٥ .

إذا مرت به الجنازة حتى تتعداه ، وسواء كان جنازة مسلم أو غير مسلم أما من تبع الجنازة فلا يقعد حتى توضح . لما رواه البخاري رحمه الله بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال مر بنا جنازة فقال لها النبي ﷺ وقمنا به فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودي قال (إذا رأيتم الجنازة فقوموا)^(١) . وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إذا رأيتم الجنازة فقوموا فمن تبعها فلا يقعد حتى توضح) .

وأما القيام المنهي عنه فهو المذكور في قوله ﷺ^(٢) : « من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . فهو ما يفعله الأعاجم تعظيماً لزعمائهم يكون الزعيم جالساً والناس قيام وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ لما صلى بهم قاعداً في مرضه وصلوا قياماً أمرهم بالعود . وقال لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضها بعضاً . فقد نهاهم ﷺ عن القيام في الصلاة وهو قاعد مع أن القيام ركن من أركان الصلاة . لئلا يتشبه بالأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود كره مشابھتهم في الصورة . وإن اختلفت النية والقصد .

وأما تقبيل الأرض من أجل فضول الدنيا إذا حكم للإنسان بالأرض المدعي فيها وذلك شوقاً إليها وتحبباً لها فلم يكن تدنياً .

(١) البخاري : ١٠٧ / ٢ .

(٢) الفتاوى لابن تيمية : ٣٧٥ / ١ .

وليس من عادة العرب ، وليس دليل الشكر لله . بل الأقرب أنه سجود ناقص والسجود كله لله وحده لا شريك له ، لما روي أن معاذ بن جبل رضي الله لما قدم من الشام سجد للنبي ﷺ فقال ما هذا يا معاذ . قال يا رسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم ويذكرون ذلك عن أنبيائهم . فقال ﷺ كذبوا عليهم . يا معاذ لا ينبغي السجود إلا لله .

فالسجود سواء كان تاماً أو ناقصاً خاصٌ في شريعتنا لله وحده وأما سجود يعقوب وأهله وأبنائه ليوسف عليه السلام ، فذلك جاء في دينهم تحقيقاً للرؤيا .

وأما تقبيل الحجر الأسود في الكعبة المشرفة فلأن النبي ﷺ قبله وشرع لنا تقييله .

والله تبارك وتعالى أمرنا باتباع الرسول ﷺ وطاعته وموالاته ومحبته محبة تملو على كل محبة ، وضمن لنا جلّ شأنه بذلك محبته وكرامته . كما قال سبحانه ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٣١) [آل عمران] .

ولا ينبغي للمسلم أن يخرج عما قضت به السنة وجاءت به الشريعة وكان عليه سلف الأمة . وكان السلف الصالح إذا علم أحدهم شيئاً قال به وما لم يعلمه أمسك عنه ولا يقفُ ما ليس له به علم ولا يقول على الله بلا علم . ويشترط لصحة العمل وقبوله

شرطان أن يكون صواباً موافقاً للسنة . وأن يكون خالصاً لوجه الله .

فاتقوا الله أيها المؤمنون وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسب
وزنوها قبل أن توزن . وتذكروا الرحيل من هذه الدنيا والعرض
على ربكم والحساب . تذكروا ذلك الموقف الرهيب ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (٢٢٧) [الشعراء] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وفي سنة النبي الكريم وارزقنا
العمل بهما والوقوف عند حدودهما ، والإيمان بالمتشابهة منهما .
واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور
الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . له الحمد والشكر وله الثناء الحسن .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله
بالحق ليظهره على الدين كله .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وما ينطق عن
الهُوى إن هو إلا وحي يوحى .
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله
وأصحابه ومن آمن به واتبع ملته .
أما بعد . . فإن العبادات مبناهما على الشرع والاتباع لا على
الهوى والابتداع . والإسلام مبني على أصليين . .
أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له .
والثاني : أن نعبد الله بما شرعه على لسان رسوله ﷺ .
فلا يُعبد سبحانه بالأهواء ولا باتباع الذين لا يعلمون . ولا
بتقليد المغضوب عليهم والضالين .
والواجب على المسلم أن يعبد الله بما شرعه رسوله ﷺ من
واجب ومستحب . فلا يجوز لأحد أن يصلي ولا أن يجوز ولا أن
يصوم إلا لله . ولا يجوز لأحد أن يحلف إلا بالله فلا يحوز الحلف

بحياة الإنسان ولا بحياة النبي ﷺ . ولا بالأمانة . فإن النبي الكريم ﷺ نهى عن الحلف بغير الله ، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» .

فالحلف بالله توحيد وعبادة ، والحلف بغير الله معصية لله ورسوله ﷺ فاتقوا الله أيها المسلمون . من كان حالفاً فليحلف بالله ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: .

ومن حلف بالله على شيء فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير .

وصلوا على النبي المصطفى فقد أمرنا الله بذلك في كتابه الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٢٩)

وأما بنعمة ربك فحدث

الحمد لله رب العالمين . حث على النظافة والزينة وشكر النعم
إن الله جميل يحب الجمال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يزيد من شكر
ويعاقب من كفر .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه
أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين وسراجاً منيراً .
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فإن التحدث بالنعم من شكرها ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى] وما أكثر نعم الله علينا . نعمة الهداية
والإيمان ونعمة الصحة ونعمة الأمن والهدوء والاستقرار ونعمة
المال . رزق ميسر وطرق معبدة نعم متكاثرة متوالية دينية ودنيوية .
والبر بعباد الله شكر عملي صامت .

ورد في الدعاء المأثور عن النبي ﷺ : «واجعلنا شاكرين لنعمك
مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا» وإظهار آثار النعمة على العبد من
شكرها فيتمتع العبد بنعم الله عليه في اللباس والمأكل والمشرب

والمنظر . ما لم يصل إلى حد الإسراف والتبذير أو الفخر والخيلاء .
والزينة شكر للنعمة وإظهار لآثارها وتمتع بنعمة الله وفضله .

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا
وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣١) [الأعراف] .

ونقل القرطبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن
رسول الله ﷺ قال : «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر
نعمه على عبده» (١) .

وروى البخاري رحمه الله قال : وقال النبي ﷺ (كلوا
واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخيلة ثم قال :
وقال ابن عباس : كُلْ مَا شِئْتَ وَالبَسْ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَانِ
سَرْفٌ أَوْ نَحِيلَةٌ (٢) . والطهر يتضمن نعمة النظافة ، وقد أثنى الله
تعالى على الذين يتطهرون فقال تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى
مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (١٠٨) [التوبة] .

ومنه ما في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي
ﷺ كان إذا دخل على مريض قال : لا بأس طهور إن شاء الله أن
أي مطهر من الذنوب ومنق من الآثام .

(١) تفسير القرطبي : ١٠٣ / ٢٠ .

(٢) البخاري على فتح الباري : ١٠ / ٢٥٢ كتاب اللباس باب قوله تعالى : (قل من حرم
زينة الله التي أخرج لعباده) .

وقد أرشد نبينا محمد ﷺ أمته إلى أسباب النظافة ، فحث ﷺ على السواك وعلى خصال الفطرة لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الفطرة خمس أو خمس من الفطرة : الختان ، والاستحدا ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وقص الشارب »^(١) متفق عليه .

الفطرة هنا الملة والطريقة^(٢) التي جبل الناس عليها . فمن كانت فطرته سليمة مستقيمة أنف من بقاء تلك الخمس وحرص على إزالتها لأنها تجمع ما يضر بالإنسان من المكروبا والأوساخ ، فإزالة تلك الخمس من النظافة . وبقاؤها من الوساخة المنفرة .

فالنظافة تؤلف بين الناس والأوساخ تنفر . وكما أن النظافة مطلوبة في البدن فكذلك مطلوبة في البيت وفي الشارع . فلو أن أخاك دعاك إلى بيت طريقه قدر وسخ فإن أجبتة مراعاة للأخوة وتطيباً لحاطره تأثرت إذا مررت مع الطريق .

وقد سمعت أن اليهود ينظفون أجسامهم وبيوتهم ولكن طرقاتهم تؤذي المارة . والإسلام جاء بإزالة كل ما يؤذي المسلم عن

(١) رياض الصالحين : ٤٠٣ .

(٢) دليل الفالحين : ٦ / ٣٥٧ .

الطريق ، سواء يؤذيه بمنظره أو رائحته أو ضرره أو يُعثر مروره .
روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إمطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله» .

وعن أبي بَرزة رضي الله عنه قال : قلت يا نبي الله إني لا أدري نفسي تمضي أو أبقى بعدك فزدني شيئاً ينفعني الله به فقال :
افعل كذا ، افعل كذا وأمر الأذى عن الطريق أي أزله .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ليس من نفس بن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم تطلع فيه الشمس ، قيل يا رسول الله من أين لنا صدقة نتصدق بها قال : إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقميط الأذى عن الطريق وتُسمع الأصم وتهدي الأعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك على نفسك وفي رواية وتَبَسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة وإمطتك الحجر والشوكة والعظم عن طريق الناس صدقة وهديك الرجل في أرض الضالة صدقة» (١) .

فإذا كانت هذه الأعمال صدقة وأجر . فوضع الأذى إثم وخطيئة ، فالطريق يشترك فيه جميع المارة لا يختص به فرد عن آخر

(١) الترغيب والترهيب : ٦١٧/٣ .

فإلقاء شيء يؤذي الناس بمنظره أو بخطرته أو برائحته إثمٌ وخطيئة وإيذاء للمسلمين مثل الذي يشرب ما في القارورة أو العلبة ثم يلقيها وهو في السيارة إلى الشارع فقد تسبب أذىً وضرراً لبعض الناس ، فقد تضرب إنساناً ماراً أو تتحطم الزجاجاة فيمر عليها صاحب سيارة فتجرح الإطارات . أو يطأها إنسان فتجرح رجله . أو يلقي منديلاً ويلقي الآخر مثله وهكذا حتى يكون منظر الطريق شيئاً وقد يكون فيه أذىً يأنف منه المارة فيؤذي المسلمين بالأذى .

والأدب وحسن الخلق أن يحفظ المسلم فضلات شرابه أو مناديله حتى يمر بصندوق الزبالة فيقف عنده ويضعها فيه .

فاتقوا الله أيها المسلمون . المسلم يتأدب بآداب الإسلام في كل شئونه ولا يضع ما يؤذي الناس ، ولا يستبد بالشيء المشترك ولا يتعدى تعاليم دينه . ولا يتخطى نظام بلاده .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا
بِهَتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٥٨) ﴿ [الأحزاب]

اللهم بارك لنا في القرآن ، وانفعنا بما فيه من المواعظ والبيان وارزقنا تلاوته كما تحب يا منان . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فإن الصمت سلامة ونجاة . والكلام فيه مزلّة وعطب وعمل الفرّج إما نجاة وإما هلكة . ولهذا حث رسول الله ﷺ على حفظ اللسان وحفظ الفرّج ، روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من يضمن لي ما بين لحيّتيه وما بين رجليه أضمن له الجنة» . وفي حديث أبي هريرة عند الترمذي : «من وقاه الله شر ما بين لحيّتيه وشر ما بين رجليه دخل الجنة» .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار . قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا

أدلك على أبواب الخير قلت بلى يا رسول الله . قال الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة كما يطفى الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين . ثم تلى قوله تعالى : ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة] ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال : «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد» ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال : «كف عليك هذا وأشار إلى لسانه» قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال : «ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» رواه أحمد والترمذي والنسائي (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون احفظوا ألسنتكم وفروجكم إلا من خير مباح في دين الله ، وتوبوا إلى الله واستغفروه فإن الإنسان خطأ تغلب عليه رغبته .

ثم اعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) [الأحزاب] .

(١) الترغيب والترهيب : ٢٥٨ / ٣ .

الخطبة رقم (٣٠)

يُحصل بالرفق ما لا يحصل بالعنف

الحمد لله رب العالمين . يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله دعا إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وجادل خصومه بالتي هي أحسن اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فإنه يحصل بالرفق ما لا يحصل بالعنف ويحصل باللين ما لا يحصل بالقسوة . والقرآن الكريم وضع قواعد للمناظرة والمجادلة بين الإسلام وخصومه . فتكون بأسلوب حسن وقول لين وإلزام الخصم بما زعم لنفسه . والصبر والتحمل والتقوى وكثرة ذكر الله . قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥) [النحل] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل] . وقال جل شأنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨) [النحل] .

وقال جل شأنه لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴿ طه .]

وقال عز من قائل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٥٨) ﴿ البقرة .]

قال ابن كثير في تفسير آية البقرة في محاجة إبراهيم عليه السلام : الذي حاج إبراهيم هو ملك بابل نمروذ بن كنعان ملك أربعمئة سنة وقال عن مجاهد الذين ملكوا الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة ، مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فنمروذ وبختنصر . وذكر القرطبي ^(١) أن نمروذاً كان يحتكر الطعام فإذا احتاجوا لشرائه دخلوا عليه وسجدوا له فدخل إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وسلم ، فلم يسجد له فقال له مالك قال أنا لا أسجد إلا لربي فقال له نمروذ ومن ربك قال : ربي الذي يحيي ويميت . قال نمروذ أنا أحيي وأميت وزعم أنه يحضر رجلين فيقتل أحدهما ويترك الآخر فهذا إحياء وإماتته . وليس كما زعم فالإماتة سلب الحياة والإحياء إعطاء الحياة وذلك سر لا يقدر عليه إلا الله . وأما القتل والترك فإنما هما أسباب ولكن

(١) تفسير القرطبي : ٢٨٥ / ٣ .

إبراهيم ألزم غمروذ بما زعم فكأنه قال : إذا كنت تدعي بأنك ربا
وأنتك تحيي وتميت فالرب له مطلق التصرف في الكون فإن الله يأتي
بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فدحضت حجة غمروذ
وبطل كذبه وتضليله . فإنه لا يقدر على إخراج الشمس من مغربها
إلا الله تبارك وتعالى . فغمروذ لم يستسلم للحق ولم يجد ما يقول
فتحير ولم يهتد إلى طريق السداد .

فغضب غمروذ على إبراهيم عليه السلام فلم يعطه طعاماً .

ولكن الله عوضه خيراً مما عند الكافر المتكبر . فلما قرب
إبراهيم من أهله ولم يكن معه طعام عمّد إلى كتيب رمل أحمر وملاً
منه عدليه وقال أشغل أهلي فلما وضع رحله نام . فعمدت امرأته
إلى العدلين فوجدتهما ملاّنين من الطعام الجيد .

فعملت خبزاً . فلما استيقظ إبراهيم قدمت له الخبز فقال من
أين لكم هذا قالت من الطعام الذي جئت به فعلم أنه رزق من الله .
ثم أن الله أرسل إلى غمروذ من يدعوّه إلى الإيمان فعاند وتكبر وأنكر
وكفر فأرسل الله عليه باباً من البعوض غطى عين الشمس ،
وسلطها الله على غمروذ وجنوده فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم
عظاماً عارية . ودخلت بعوضة في أنفه وجلعت تمخر في دماغه
وهو يتألم ويصيح . وما يعلم جنود ربك إلا هو . فكان أحب
الناس إليه من يضرب رأسه بالمطرقة حتى أهلكه الله (١) .

(١) ابن كثير : ٣١٢ / ١ .

وهذه الآية تدل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة
وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة من هذا شيء كثير .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]
﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود: ٣٢] و مجادلة
موسى مع فرعون . وهو تعليم من الله عز وجل لأنه لا يظهر الفرق
بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل .

والاحتجاج بالعلم مباح إذا أريد بالمناظرة وجه الله . بدليل
قوله تعالى : ﴿ وَجَادَلْتَهُمْ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿ هَا أَنْتُمْ
هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾
[آل عمران: ٦٦] .

وتجادل أصحاب رسول الله ﷺ في حرب أهل الردة . وجادل
رسول الله ﷺ أهل الكتاب وبآهلهم .

وحينما يذكر القرآن الكريم مجادلة الأنبياء مع قومهم فلتثببت
فؤاد النبي ﷺ ليتأسى وليصبر على ما يجده من خصومه ، ولبيان
أن الحق يقلب الباطل ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا
هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨] .

ولتعليم المسلمين وترويض نفوسهم لتلقي ما يجدونه من
خصومهم في سبيل الدعوة إلى الله من الأذى والمشقة النفسية
والبدنية والمالية .

وأخبرني من أثق به أنه سافر إلى بعض البلاد الإسلامية فوجد
منظمات التبشير قد أقعدت المسلمين عن العمل وحولتهم إلى
الركود والكسل فقالوا لهم نحن نعطىكم ما تحتاجون ولا داعي
للتعب والمشقة لطلب الرزق .

قال واردنا أن نبصر إخواننا المسلمين ونحثهم على العمل
والكسب لا سيما وعندهم الأنهار والأمطار . فزرعنا لهم وحصدنا
وأعطيناهم الحبوب وقلنا لهم هذا شأن المسلم يعمل بيده ويكتسب
بِعَرَقِ جبينه ولا يلجأ إلى أحد إلا لله لينزل له البركة وَلِيَهَبَ له
الصبر والإعاشة .

قال وأخذنا نوجه إخواننا المسلمين إلى طرق الكسب والعمل
قال فغضبت المنظمات التبشيرية وأنبونا ورفعوا فينا شكايات وكذبوا
وافتروا وشوهوا الحقائق وصاروا ينفرون الناس منا ويخوفونهم من
طاعتنا .

وقال ذلك الرجل المسلم ولكننا ماضون في طريقنا إن شاء الله
وستقابل ما يعملهُ أعداء المسلمين بالصبر واحتساب الأجر .

والحقيقة التي لا تنكر أن المسلمين حصل لهم ركود عدد سنين
بسبب دعايات أعدائهم وارجافاتهم وتخويف المسلمين بعضهم من
بعض وإثارة المسلمين بعضهم على بعض . فكان للدعوة ركود بل
اختفاء عن الرأي العام .

أما الآن ولله الحمد والمنة وجدت الدعوة مجالاً فسيحاً وقبولاً طيباً وأخذ أبناء المسلمين والجامعات الإسلامية ترسل الدعاة لبيان الحق ولتعريف الناس بتعاليم الإسلام ولربطهم بخالقهم وتبين لهم مآلهم بعد هذه الحياة .

ولأبنائنا الطلاب الدارسين نشاط في الدعوة وإظهار الشعائر الإسلامية فاعتزوا بإسلامهم وفخروا بدينهم ، فانتشر الوعي الإسلامي وتحركت النفوس الخاملة وفتحت العيون المغمضة ، فالمجال مفتوح في أي مكان للدعوة إلى الله فتجب مضاعفة الجهود وتدارك الواقع . وَمَنْ أَفْضَلُ مَنْ يَقِفُ مَوْقِفَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

لكن يجب أن يُعْلَمَ أَنَّ أعداء الإسلام سيقاومون الدعوة بكل قواهم فيجب على المسلمين في أي قطر كانوا أن يثبتوا على الحق ولا يقبلوا من أعدائهم صرفاً ولا عدلاً . فإنهم لن يهدوهم وقد ضلوا . ولن ينفعوهم وقد عادوهم .

كما يجب على إخواننا المسلمين الذين يسافرون إلى البلاد الأخرى أن يكونوا دعاة للإسلام بأعمالهم وأموالهم وسلوكهم وحسن معاملاتهم وصدقهم وأمانتهم ووفائهم .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾ [فصلت] .

اللهم بارك لنا في القرآن وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان
وارزقنا حسن تلاوته والعمل بمحكمه ، والإيمان بمتشابهه واغفر لنا
ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين (نزل الكتاب وهو يتول الصالحين) .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين
والآخرين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر
المحجلين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره .

أما بعد . . فإنه يستحب للمسلم إذا أقبل إلى الصلاة أن يمشي
إليها بسكينة ووقار ، وأدب وخشوع . حتى لو سمع الإقامة فليكره
الجري لقوله ﷺ : « إذا سمعتم الإقامة فامشوا وعليكم السكينة
والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » ولحديث أبي قتادة قال
بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ سمع جلبة رجال ، فلما
صلى قال ما شأنكم قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال فلا تفعلوا :
فإذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم
فأتموا . والحديثان متفق عليهما . فما يفعله بعض المسلمين إذا أقبل
على المسجد وسمع الإقامة أخذ يجري جرياً كأنه في سباق ، هذا
مخالف لأمره ﷺ ، لكن إذا طمع في إدراك الركعة أطال الخطأ

ليقف في الصف ما لم تكن عجلة تقبح .

وإذا أقيمت الصلاة فلا يدخل في نافلة سواء علم أنه يدرك الركعة مع الإمام أو خشي الفوات . أما إن أقيمت الصلاة وهو في النافلة ، فإن خشي الفوات خرج منها ودخل في الفريضة . وإلا أتمها خفيفة .

وبعض الناس يدخل في النافلة بعد الإقامة ويقول إنه متيقن من إدراك الركعة مع الإمام فما يفوته مع الإمام من أعمال الصلاة أفضل مما فعله منفرداً وأيضاً عمله مخالف لقوله ﷺ : «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة» رواه مسلم .

وخرج نبينا محمد ﷺ إلى المسجد بعد ما أقيمت الصلاة فرأى أناساً يصلون فقال أصلاتان معاً . مُنكراً عملهم .
فاتقوا الله أيها المسلمون . .

ثم اعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب : ٥٦] وقال ﷺ : «من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً» إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣١)

حكم المطلقة إذا مات زوجها وهي في العدة

الحمد لله رب العالمين ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

[يونس: ٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربط التشريع بالعقيدة ، فالإنسان حارس على نفسه والله تعالى رقيب وحسيب .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلغ رسالة ربه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فأمامنا مسألة علمية شرعية ورد السؤال عن حكمها وهي من الأحكام الزوجية . رأيت تعميم الفائدة بذكرها وذكر حكمها ، وهي : (إذا طلق الرجل امرأته ثم مات وهي في العدة فما هي عدتها . أعددة وفاة فتبدأ من الوفاة . أم عدة طلاق فتكمل مدة تربصها .

وحيث إن الحكم يختلف باختلاف الطلاق فلا بد من معرفة العدد .

فإذا تأملنا المعتدات في الكتاب والسنة وكتب أهل العلم وجدناها تنقسم أربعة أقسام :

القسم الأول : تعتد بالحمل فتنتهي عدتها بوضع حملها سواء من وفاة أو فراق لقوله تعالى : ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝ ﴾ [الطلاق : ٤] . ولما روى البخاري رحمه الله أن امرأة من أسلم يقال لها سبيعة توفي عنها زوجها وهي حبلى فوضعت بعد وفاته بليال فأذن لها رسول الله ﷺ أن تنكح .

القسم الثاني : معدات بالأشهر وهن الآيسة والصغيرة والمتوفى عنها ولا حمل فيها .

فعدة الصغيرة التي لم تأتها العادة الشهرية والكبيرة التي انقطعت عنها ثلاثة أشهر لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۝ ﴾ [الطلاق : ٤] .

وأما عدة المتوفى عنها زوجها ولا حمل فيها فأربعة أشهر وعشرة أيام لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۝ ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

القسم الثالث : ذات الأقراء المفارقة في الحياة بعد الدخول فعدتها ثلاثة قروء ، لقوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ

ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿البقرة: ٢٢٨﴾ .

القسم الرابع : تعتد للوفاة ولا تعتد للفراق وهي التي لم
يخدل بها زوجها فتعتد للوفاة لعموم الآية المتقدمة ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ
مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:
٢٣٤] لأنها زوجة ولا تعتد للفراق في الحياة مثل الطلاق والخلع
والفسخ لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ
طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَوَهُنَّ
وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)﴾ [الأحزاب] . وكيف الدخول إذا؟ إنه
لا يلزم أن يكون عرس وحفل بل متى اختلى الرجل بامرأته في
مكان لم يكن عندهما أحد . فهو دخول .

روى زرارة بن أبي أوفى قال : قضى الخلفاء الراشدون أن من
أغلق باباً أو أرخى ستراً فقد وجب المهر ووجبت العد وهذه قضية
اشتهرت فلم تنكر فكانت كالإجماع .

ولأنه عَقْدٌ عَلَى المنفعة فالتمكن منه يجري مجرى الاستيفاء
في الأحكام .

ولا تجب العدة بالقبلة واللمس بلا خلوة .

إذا عرفنا هذا فنقول : الطلاق إما أن يكون بائناً لا سبيل
للرجل على المطلقة . ولا ترثه ولا يرثها ، فهي منفصلة عنه تماماً .

وإما أن يكون الطلاق رجعياً . مثل طلاق واحدة أو طلقتين ، فلم يستغرق عدد الطلقات ، فهي زوجته يرثها وترثه ولها عليه النفقة والكسوة والمسكن . والمستحب أن تعتد في بيته وتتشرف له بالتجمل لعله يراجعها وعلى كل زوج إصلاح الأخطاء وإظهار الندم على ما سبق .

وهنا يأتي جواب السؤال والحكم في القضية المتقدم ذكرها فإذا مات الزوج وامرأته في عدة طلاق بائن فتكمل عدة الطلاق وليس عليها عدة وفاة ، وليس لها حق في الإرث . ما لم يكن سبب آخر . وأما إن كانت المرأة في عدة طلاق رجعي ومات زوجها فترفض عدة الطلاق وتستأنف عدة الوفاة من تأريخ وفاته ، لأن الرجعية زوجة ولها حق الإرث . فوجبت عليها العدة .

فاتقوا الله أيها المسلمون (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وفي سنة النبي الكريم وفقهنا في الدين . وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .
واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين يقضي ولا يقضى عليه يحكم ما يشاء
ويفعل ما يريد .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أثنى عليه وغفر
له ذنبه وشرح له صدره . ورفع ذكره ، فاسمه مكتوب على العرش
لا إله إلا الله محمد رسول الله فكان عبداً شكوراً .

اللهم صل وسلم على عبد ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اتبع سبيله .

أما بعد . . فإن القرآن الكريم عالج الآثار التي كانت في
المجتمع المسلم من العادات والتقاليد فكان من عادات العرب إذا
أعجبه ابن تبناه وألحقه بنسبه فيعرف بين الناس باسم الرجل الذي
تبناه ويدخل في أسرته ، وصارت له حقوق البنوة وواجباتها .
ومن هؤلاء زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه ، وهو من قبيلة
عربية سبي صغيراً في غارة فاشتراه حكيم ابن حزام لعمته خديجة
رضي الله عنها فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له . ثم طلبه أبوه
وعمه فخيرهم رسول الله ﷺ فاختار النبي الكريم ﷺ فأعتقه وتبناه
وكان الناس يقولون زيد بن محمد ، فلما أخذ الإسلام ينظم
علاقات الأسر على أساسها الحقيقي أبطل عادة التبني ورد علاقة

النسب إلى أصلها وعلاقة الدم والأبوة والبنوة إلى أسبابها الحقيقية وذكر أدلة مقنعة على نفي التبني .

فكما أن الرجل ليس له قلبان في جوفه ، فكذلك ليس للرجل أبوان أب بالنسب وأب بالتبني ، وإنما نسبة البنوة بالتبني . كقوله المظاهر من امرأته هي عليه كأمه . فقال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ﴾ [الأحزاب] .

وقال سبحانه في شأن الظهار : ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّن نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٢) ﴾ [المجادلة] .

والله الخالق تعالى أبطل اثار التبني ورواسب العادات بأن زوج نبيه ﷺ مطلقة زيد بن حارثة .

روى الإمام مسلم بسنده وروى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما انقضت عدة زينب بنت جحش رضي الله عنها أي بعد أن طلقها زيد بن حارثة قال ﷺ لزيد اذهب فاذكرها علي قال زيد فلما رأيتها عظمت في صدري حتى لا أستطيع أن أنظر إليها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز

وجل فقامت إلى مسجدها . ونزل القرآن ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لَكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٣٧) ﴿ [الأحزاب] .

فوليها خالق الخلق مالك الملك أوحى إلى نبيه أن يدخل عليها بلا عقد بشر ولا مهر ولا شهود من الناس فدخل عليها رسول الله ﷺ كما أمره ربه . وكانت زينب تفخر على أمهات المؤمنين تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات .

وتأكيداً لإزالة بقايا التبني من نفوس المسلمين قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٤٠) ﴿ [الأحزاب] فلا حرج في الأمر إذا نظر إليه بعين الحقيقة . وعلاقة الرسول ﷺ بأمته ومنهم زيد بن حارثة الكلبي علاقة نبوة ورسالة خاتمة ، أعطاه المقام المحمود والحوض المورد وجعل ذكره خالداً في الوجود فهو صلى الله عليه وسلم ليس في حاجة إلى أن يكون أباً لأحد من الرجال والرسول ﷺ لأمته كالأب في الشفقة ، وفي تعظيم قدرهم وتحمل المشقة عنهم بل هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأن الله تعالى قد علم شفقة رسول الله ﷺ على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه فيهم واختياره ﷺ وقضاؤه مقدم على اختيارهم ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (٣٦) ﴿ [الأحزاب]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم) (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأيا مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا . وإن ترك دنيا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه^(١) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) ﴿[التوبة] .

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣١) ﴿[آل عمران] .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) ﴿[الأحزاب] إلخ الدعاء . . .

(١) ابن كثير في التفسير : ٤٦٨ / ٣ وعزاه للبخاري .

الخطبة رقم (٣٢)

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

الحمد لله رب العالمين . خلق الجن والإنس لهدف نبيل .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له منه المبتدئ وإليه المنتهى ، من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله دل أمته على طرق الخير والسعادة . وحذرها من أسباب البوار والرديلة .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن هتدى بهديه وسلك منهاجه .

أما بعد . . فحين يتأمل المسلم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة يجدها تخاطب القلب وتحرك المشاعر وتثير كوامن النفس في المعنى الذي تدل عليه .

وأما الآن آية من آخر سورة الذاريات تحتوي على حقيقة هائلة لا تستقيم حياة البشر بدون تحقيقها سواء كانت حياة فرد . أو حياة جماعة . أو حياة الإنسانية كلها تدل على معاني متعددة تحدد وظيفة ابن آدم في هذا الوجود .

هي قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا

أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ
الْمَتِينِ ﴿٥٨﴾ [الذاريات] .

قال الحافظ ابن كثير في التفسير : ومعنى الآية أنه تبارك
وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم
الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب ^(١) .

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال
والأعمال الظاهرة والباطنة ، وذكر بعض العلماء ^(٢) عن ابن القيم
رحمه الله قال ومدارها على خمس عشرة قاعدة من كملها كمل
مراتب العبودية وبيان ذلك أن العبادة منقسمة على القلب واللسان
والجوارح . وأحكام العبودية خمسة واجب أي يثاب فاعله
ويعاقب تاركه . مثل الصلاة والزكاة . ومستحب يثاب فاعله ولا
يعاقب تاركه . مثل نوافل العبادات من الصلاة والصوم والصدقة .
وحرام أي يعاقب فاعله ويثاب تاركه مثل أكل الميتة والربا وأكل
أموال الناس بالباطل . ومكروه أي يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله .
مثل وضع اليدين على الخاصرة في الصلاة ، واشتمال الملحفة التي
لا فتحة لليدين فيها ، وتسمى الصماء . والخامس مباح . لا يعاقب
تاركه ولا فاعله ولا يثاب إلا لمعنى آخر . مثل البيع والشراء بعد
صلاة الجمعة . فمن باع أو اشترى فلا بأس ومن ذهب إلى بيته فلا

(١) تفسير ابن كثير : ٢٣٨ / ٤ .

(٢) فتح المجيد : ١٤

بأس .

وتقديم الجن على الإنس في الآية للاهتمام بهذا الخبر لأن
المشركين كانوا يعبدون الجن ليعلموا أن الجن عبادٌ لله تعالى فهو
نظير قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ
(٢٦) ﴾ [الأنبياء] .

فالوظيفة التي يشترك فيها الجن والإنس هي العبودية لله
وأساسها التذلل والخضوع لله وأما تفاصيل العبادة فنحن نعرف
حدود النشاط التعبدية للإنسان من نصوص القرآن والسنة . ولكننا
لا نعرف تفاصيل العبادة عند إخواننا الجن مع إيماننا بأنهم مكلفون
مخاطبون بالتكليف على لسان نبينا محمد ﷺ .

والإسلام لا يلزم المكلف تفرغاً للعبادة وإنما يؤدي الفرائض
الموقوتة في أوقاتها والنوافل بحسب استطاعته ويكون على صلة
بالله فهناك نشاطات تعبدية يمكن أن يؤديها التاجر في متجره
والعامل في عمله والفلاح في مزرعته في أي وقت من ليل أو نهار
وهي تقوى الله في حركات القلب واللسان والجوارح ، فمثلاً إذا
تعامل التاجر مع غيره اتقى الله في معاملته فيصدق في قوله . وفي
بوعده ويؤدي أمانته . ويوفي الكيل والوزن والمقياس ولا يخس
الناس أشياءهم .

والعامل إذا عمل أتقن صنعته وعمل فيها الأصلح لصاحبه

وأداها على أجود ما يتطلع إليه صاحبها وقرن عمله بالله وتقواه
كان متق لله وكان عمله عبادة .

والموظف يراقب الله في عمله ويقصد الإحسان إلى المراجعين
وأصحاب المعاملات ، فيجب أن يعامل الناس بما يحب أن يعملوه
وأن يصدق في وعده وأن يحرص على إنجاز أعماله بصدق ووفاء
ويحتسب الأجر على الله ويجعل لسانه رطباً بذكر الله ما استطاع
بلا غفلة ولا إهمال فتكون أعماله مقرونة بتقوى الله والفلاح في
مزرعته يعبد الله وهو يعمل بحسن النية وإرادة الاحسان إلى خلق
الله وتوفير حاجاتهم ويذكر الله بلسانه . فتكون حركاته في الغرس
والزراع وأخذ المحاصيل طاعة لله وعبودية .

والمقصود استقرار معنى العبودية في النفس استقراراً تظهر
آثاره على الجوارح فيصبح العمل كالشعائر التعبدية . فيعيش
الإنسان في هذه الحياة مرتاح النفس طيب الضمير طاهر القلب نقي
المقاصد ، صريح الأهداف لأنه يشعر بأنه أدى الوظيفة التي من
أجلها خلق أداها طاعة لله . وعبودية لرب الأرباب . لا يقصد
إيذاء أحد ولا مصلحة دنيوية ولا التزلف إلى أحد من الناس ، وإنما
يعمل لتحقيق الطاعة والعبودية لله . وجزاؤه ما يجد في نفسه من
الطمأنينة والرضى بوضعه الذي هو فيه ، والأنس بقرب الله .
والإحساس بأنه تحت رعايته وحمايته وفي كنفه وأنه سيجد في
الآخرة تكريماً ونعيماً وفضلاً عظيماً هذا من الجزاء وما عند الله خير

وأبقى ونحن نؤمن بأن مقتضيات الأعمال مستجدة من بواعثها لا من نتائجها فالعاقل يعمل على مقتضى التكليف ويترك النتائج لله . فقد يشتاق إلى شيء ليس في مصلحته وقد يكره شيئاً وفيه الخير الكثير ،

قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة] فالله تعالى أعلم بنتائج الأمور وبمصلح خلقه . فعلى المسلم عمل الأسباب ويترك النتائج لله . فلا ينبغي أن يستحسر المسلم إذا عمل شيئاً ولم يحصل له مطلوبه ولم تتحقق رغبته فقد نهى الرسول ﷺ عن الندم على ما فات . روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

فإذا استقر أن الله إنما خلق الجن والإنس لعبادته فمنهم مؤمن ومنهم كافر . ومنهم مسلم ومنهم قاسط وجب أن يقدم العبادة على غيرها فمتى نودي للصلاة ترك ما سواها وهكذا بإمكان المسلم أن يجعل أحواله وأوقاته عامرة بعبادة الله ، فالشكر والحمد والتوكل والإنابة والصدق والتقوى والنصح والدعاء والذكر والاستغفار عبادات لا تقتضي تفرغاً ولا تكلف عناء .

فاتقوا الله أيها المسلمون ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا
لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [لقمان] .

اللهم بارك لنا في القرآن وفي سنة سيد الأنام وانفعنا بما فيهما
من الأحكام والبيان . واهدنا لطاعتك واملأ قلوبنا من خشيتك
واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور
الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . طهر المساجد للمصلين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحب التوابين
ويحب المتطهرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أمر بسد الأبواب
التي كانت مفتوحة على المسجد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه
صيانة لبيت الله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فإن المساجد هي بيوت الله تعالى أمر الله تعالى
بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا
تليق فيها فمن جاء إلى المسجد فقد جاء إلى بيت الله . ومن زار الله
في بيته أكرمه ويجب على زائر بيوت الله أن يكون على أكمل
حال . قال تعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ﴾ فلا تبتذل ولا تُهان
ولا تتخذ محلاً للتسلية وأحاديث الناس والقيال إنما بنيت
لعبادة الله ، للصلاة والذكر وقراءة القرآن .

وحرّم الخالق تعالى على الجنب أن يمكث في المسجد وأباح

المرور للحاجة . بأن كان الجنب نائماً في المسجد فاحتلم فيخرج ليغتسل أو مثل حال الناس في أول الأمر كانت أبواب بيوتهم على مسجد رسول الله ﷺ فإذا أجنب أحدهم خرج ليغتسل . فأباح الله لهم المرور ومنعهم من البقاء . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله عن أبي حبيب في قوله تعالى : ﴿ ولا جنباً إلا عابري سبيل ﴾ إن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم شوارع في المسجد فكانت تصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا يجدون ممراً إلا في المسجد . ويشهد لهذا ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال : (سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر) .

وقال ابن كثير رحمه الله أيضاً : ومن هذه الآية احتج كثير من الأئمة على أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد ويجوز المرور . والحائض والنفساء في معنى الجنب يحرم عليهما المكث في المسجد .

ومما يدل على أن الحائض يحرم عليها المكث في المسجد ما رواه مسلم رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يدني إليّ رأسه أي وهو معتكف في المسجد وعائشة في حجرتها فترجله وتغسله وهي حائض . وقال لها

ناوليني الخمرة ، وهي في حجرتها والمصطفى ﷺ في المسجد معتكفاً وقال ناوليني الثوب ولم تدخل عائشة المسجد لمناولة الرسول ﷺ ما طلب . فهذه الأحاديث الصحيحة تدل على أن الحائض لا تدخل المسجد أبداً حتى تطهر وتغتسل .

ومما يدل على أن الحائض يحرم عليها دخول المسجد ما رواه ابن ماجه عن جسة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : (إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب) .

ويذكر أن بعض النساء تأتي إلى مسجد رسول الله ﷺ وهي حائض وإذا وعظها أحد أخذت تجادل وترغم بأن الحائض لها أن تدخل المسجد وأن تمكث فيه وإنما تمنع من الطواف مستدلة بقول الفقهاء رحمهم الله : والحائض تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت وهي ترى الحاج يدخلون المسجد ويمكثون فيه ففهمت أن للحائض أن تدخل المسجد وأنها لا تمنع إلا من الطواف .

وهذا فهم خاطئ وتعدّ على النصوص الشرعية التي تحرم على الحائض المكث في المسجد ، وإنما قول الفقهاء والحائض تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت أي تفعل أعمال الحج مثل الإحرام والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ورمي الجمرات والتقصير ، أما المكث في المسجد فلا يختص به الحاج فلا يدخل تحت قول

الفقهاء . فاتقوا الله أيها المسلمون . عظموا مساجد الله وطهروا
بيوت الله ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ .
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) ﴿ [الأحزاب] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٣)

المحرمات في النكاح

الحمد لله رب العالمين . أمر ونهى وأحلّ وحرم لحكم يعملها
ولمصالح تعود على العباد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥٤) [الأعراف] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . آتاه الله الحكمة
وجوامع الكلم وفصل الخطاب .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فقد تكررت الأسئلة عن بعض المحرمات من
الرضاعة وعن بعض المحرمات إلى أمد مما يدل على أن بعض الناس
في حاجة إلى بيان وسواء عرفت الحكمة أو لم تعرف يجب على
المسلم الرضا والتسليم لحكم الله تعالى ولحكم رسوله ﷺ قال الله
تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .

والأصل في تحريم المحرمات من النساء الكتاب والسنة

والإجماع^(١) . أما الكتاب فقولہ تعالیٰ فی سورة النساء : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٣] ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٢] .

وأما السنة فما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «إِنَّ الرِّضَاعَةَ تَحْرِمُ مَا تَحْرِمُ الْوِلَادَةُ»^(٢) ومارواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لَا تَنْكِحُ الْمَرْأَةَ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا»^(٣) وفي رواية (لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها) .

وأما الإجماع ، فأجمعت الأمة على تحريم ما نص الله تعالى على تحريمه وعلى تحريم ما ثبت عن النبي ﷺ تحريمه .
فأسباب التحريم ثلاثة نسب ورضاعة ومصاهرة .

(١) المغني : ٦ / ٥٦٧ لابن قدامة .

(٢) البخاري : ٧ / ١١ فتح الباري : ٩ / ١٣٩ ومسلم : ٢ / ١٠٦٨

(٣) البخاري : ٧ / ١٥

والتحريم إما تحريم أعيان أو تحريم جمع ، وتحريم مؤبد وتحريم مؤقت فالمحرمات بالنسب سبعة أصناف .

١ - الأمهات ومنهن الجدات من جهة الأب ومن جهة الأم .
وإن علون .

٢ - البنات ، ومنهن بنات الأبناء وبنات البنات وإن نزلن .

٣ - الأخوات سواء كن شقيقات أو لأب أو لأم وبناتهن ،
وبنات أولادهن وإن نزلوا .

٤ - والعمت أخوات الأب شقيقات أو لأب أو لأم وأعمام
الأب وأعمام الأم أشقاء أو لأب فقط ^(١) دون بنات من ذكر .

٥ - والخالات أخوات الأم شقيقات أو لأب أو لأم .

٦ - وبنات الأخ من أي جهة كان وبنات أبنائه وبنات بناته .

٧ - وبنات الأخت كما تقدم .

والمحرمات بالرضاع كل امرأة حرمت بالنسب حرم مثلها
بالرضاع لقوله ﷺ : «تحرم الرضاعة ما تحرم الولادة» . والمحرمات
بالمصاهرة أربع ثلاث بمجرد العقد :

١ - أمهات الزوجة وإن علون من النسب ومثلهن من الرضاع .

٢ - زوجة الأب وزوجة الجد من الأب أو من الأم وإن علا .

(١) الكشف: ٥/ ٧٥ .

٣- زوجة الابن أو ابن الابن وإن نزل من نسب أو رضاع .

٤- وبشرط الدخول : فتحرم ابنة الزوجة على زوج أمها إذا دخل بالأم أما إن فارقتها قبل الدخول فلا تحرم ابنتها فإذا دخل بالأم حرمت بناتها وبناتهن وبنات أبنائها على زوج الأم .

ويحرم الجمع بين الأختين من نسب أو رضاع للأدلة المتقدمة .

ويحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ولو رضيتا لنص الآية والحديث خلافاً للرافضة والخوارج الذين خالفوا السنة الصحيحة . وجعل بعض العلماء قاعدة في تحريم الجمع . فلو كانت إحدى المرأتين رجل حرمت عليه الأخرى لم يجز الجمع بينهما . فعقد المرأة الثانية باطل .

ويحرم أن يجمع رجل أكثر من أربع نسوة فيكون عقد الخامسة باطل وإن أصاب التي عقدها باطل فلها مهرها .

ويحرم على الرجل أن يتزوج امرأة مزوجة بغيره إلا ما استثنى لقوله تعالى : ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ . المحصنات هنا المزوجات ولم يذكر النص علل التحريم لا عامة ولا خاصة فكل ما يذكره بعض العلماء من العلل إنما هو رأي وتقدير واستنباط .

فقد يقال أن المحرمات يراد أن تكون العلاقة بهن علاقة إحسان ورعاية وعطف واحترام وتوقير فلا تتعرض لما قد يجد في الحياة

الزوجية من خلافات تؤدي إلى النفرة والطلاق فتُخدش المشاعر .

والمحرمات من الرضاعة إنما هو في تحريم النكاح والمحرمية والسفر بها والنظر إلى وجهها والخلوة بها ونحو ذلك دون بقية الأحكام الأخرى فلا توارث بقرابة الرضاعة ولا تلزم النفقة ولا ترد شهادة أحدهما للآخر ، ولا يسقط القصاص بأمومة وأبوة الرضاع .

ومما تقدم نعرف أن زوجة الابن من الرضاع محرمة على أبيه من الرضاعة وهو محرمٌ لها لقوله ﷺ : «تُحرم الرضاعة ما تحرم الولادة» .

وأما قوله تعالى : ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ فلا إخراج من كانت العرب تتبناه^(١) . ولما تزوج رسول الله ﷺ امرأة طلقها ابنه بالتبني زيد بن حارثة رضي الله عنه قال المشركون تزوج امرأة ابنه ، وأما الابن من الرضاع ففيه نص شرعي صحيح صريح . واختلف العلماء في مقدار الرضاع المحرم على ثلاثة أقوال^(٢) :

١ - ذهب ذاهبون إلى أنه يحرم بجزء الرضاعة لعموم آية ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ .

(١) القرطبي : ١١٦/٣ .

(٢) ابن كثير : ٤٦٩/١ .

٢- وقال آخرون لا يحرم أقل من ثلاث رضعات لما رواه مسلم^(١) عن أم الفضل أن النبي ﷺ قال : « لا تحرم الرضعة والرضعتان و المصة أو المصتان » .

٣- وقال آخرون لا يُحرم أقل من خمس رضعات وعليه الجمهور والعمل جاري به ، لما روى مسلم^(٢) عن عائشة رضي الله عنها كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخن بخمس معلومات ، توفي الرسول ﷺ والأمر على ذلك .

والرضاع المعتبر ما كان في الحولين لقوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾ . ولقوله ﷺ : « إنما الرضاعة من الجماعة » ، وقوله : « لا يُحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام »^(٣) .

قال في كشف القناع^(٤) ويشترط أن تكون خمس الرضعات متفرقات فمتى امتص الطفل ثم تركه شبعاً أو للنفس أو ملاً أو انتقل من ثدي إلى آخر . أو قطع عليه الرضاع ، فهي رضعة لأن المرجع فيها إلى العرف .

(١) مسلم : ٣٨ / ١٠ .

(٢) مسلم : ٢٩ / ١٠ .

(٣) الترمذي .

(٤) كشف القناع : ٥١٦ / ٥ .

والسَّعُوطُ^(١) والوَجُورُ^(٢) مثل الرضاع إذا وصل اللبن إلى
مكان الغذاء .

ولو ارتضع طفلان من امرأة صاروا أخوين من الرضاعة سواء
منفردين أو مجتمعين . أما ألبان الحيوانات فلا تأثير لها .

(١) السَّعُوطُ : بفتح السين وضم العين ما يصب في الأنف (انظر المصباح المنير).
(٢) الوَجُورُ : بفتح الواو وضم الجيم ما يصب في الحلق . (انظر المصباح المنير).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله

وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . فأوصيكم وإياي بتقوى الله ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ [الطلاق : ٥] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

ثم اعلّموا رحماني الله وإياكم أن أعداء الإسلام أعداء لمن دان بالإسلام ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ بمخالفتهم في عاداتهم وفي عباداتهم وفي معاملاتهم ، فليكن المسلم على حذر من أعدائه . فإنهم لن يألوا جهداً في إيقاعه فيما يخالف دين الإسلام .

ألا تنظرون إلى بعض الملابس عليها صور ، وكتابات استفزازية وتهكمية يجب على أبناء المسلمين أن يكونوا فطناء أذكياء لا يضحك عليهم المجوس وأهل الكتاب . قال ﷺ : « المؤمن كيس فطن » ، وقال ﷺ : « لا يلدغ مؤمن في جحر مرتين » .

فاتقوا الله يا شباب الإسلام ، اتقوا الله يا أبناء الإسلام .

وصلوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) [الأحزاب] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٤)

حفظ الحقوق وضمان المصالح في الإسلام

الحمد لله رب العالمين . طهر عباده المؤمنين ورباهم وعلمهم
أفضل تعليم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . نظم الحياة
الزوجية بما يحفظ الكرامة ويحقق المصلحة .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أتم مكارم
الأخلاق وهذب النفوس وأثار الطريق .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه أهل الهدى والتقى وأهل الفضل والمكارم . ومن تبعهم
بإحسان واهتدى .

أما بعد . . فإن الإسلام عالج الحالات التي تعرض للإنسان
في حياته وفي أسرته ويراعي مشاعر القلوب . وثائرة النفوس .
فوضع الحلول المناسبة التي تحفظ الحقوق وتضمن المصالح .

والإسلام يواجه الفطرة البشرية مواجهة صريحة بواقع الحال
ويعامل الإنسان معاملة المطلق على خواطر نفسه وعلى تقلبات
فؤاده .

ومرد الجد أو العبد في كل شيء هو التقوى يعمل الإنسان أو يقول رجاء ثواب الله . وخوفاً من عقابه . أو يترك خوفاً ورجاء .

وإذا تأملنا تصرفات بعض الأزواج في الحياة الزوجية وكثرة الطلاق على ألسنتهم في أقل شيء وأبسط خلاف حتى مع غير الزوجة فيُطْلَقُ بصريح الطلاق ثم يزعم بأنه لم يرد الطلاق ولم يقصد الفراق .

ولكن الأحكام تُبنى على الظاهر ، والنية أمر خفي نكلها إلى الذي يعلم النيات سبحانه وتعالى .

وإذا عرفنا ما كان عليه الأمر في الجاهلية وفي صدر الإسلام أدركنا نعمة التشريع الإسلامي ، وعنايته بالإنسان .

روى ابن جرير في تفسيره عن هشام بن عروة عن أبيه ^(١) قال : كان الرجل يطلق امرأته ما شاء (أي بلا عدد) ، ثم إن راجعتها وهي في العدة فهي امرأته ، فغضب رجل من الأنصار على امرأته فقال لها لا أقربك ولا تحلين مني - أي لا تنقضي عدتك - قالت : وكيف قال أطلقك حتى إذا دنا أجلك راجعتك ثم طلقك فإذا دنا أجلك راجعتك ، قال فشكت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى ذكر الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، يعني قوله تعالى : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] .

(١) ابن جرير: ٢/ ٢٧٦ .

فإذا أخذنا هذه الآية مع الآية التي بعدها ، قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة] ، علمنا يقيناً أن الله تعالى جعل طلاق الرجل امرأته محصوراً في ثلاث تطليقات فقط . وجعل للزوج فرصة الاختيار بعد الأولى والثانية ، فجعل له حق الرجعة بعدهما ما دامت في العدة كمحك واختبار وتربية وإنذار ، أما إذا أهمل حتى خرجت من العدة فيُعاقب نوعاً ما على إهماله . فلا تحل له إلا برضاها وبعقد جديد ومهر جديد .

فإذا طلق الثالثة عُلِمَ فساد الحال وأن التجربة غير نافعة وأن الأمر استحكم ، فبقاء عقدة النكاح إذاً غير صالح فيعاقب المطلق ثلاثاً عقاباً أشد فتحرم عليه امرأته بعد الطلقة الثالثة تحريماً مؤقتاً فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره نكاح رغبة وبقاء يذوق الزوج الآخر عسيلتها وتذوق عسيلته . فإن كان النكاح الثاني مشروطاً بالفراق لقصد التحليل فهو نكاح متعة محرّم باطل والرجل الذي يرضى بالنكاح لقصد التحليل هو التيس المستعار ، لعنه رسول الله ﷺ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت إني كنت عند رفاعة فطلقني فَبَتَّ طلاقني فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وما معه إلا مثل هُدْبَةِ الثوب . فقال ﷺ : «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة» قالت : نعم قال : «لا

حتى تذوقي عُسيلته ويذوق عسيلتك» ^(١) متفق عليه .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له) ^(٢) رواه الدارمي .

وقد يقول قائل : ما بال المرأة تهدد حياتها وأمنها واستقرارها بسبب كلمة تخرج من زوج عابث مستهتر . نقول إن الله تعالى أرحم بالإنسان من الخلق والذي خلق الإنسان أعرف بما توسوس به نفسه وبما فيه سعادته وصلاحه ، فهو يعالج الحالات الطارئة بما يتفق مع مصالح الإنسان ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠] .

وأيضاً أماننا حالة واقعية فما هو العلاج ، إن أجبرنا الزوج على معاشرة امرأته وامساكها وقعننا في نفس المشكلة فكيف يكره رجل على إمساك من يكره إمساكه وقد يكون السبب في المرأة فيزداد أمرها وتفاقم الحال أكثر وماذا يحصل لو أجبر الزوج على إمساك امرأة لا يرغبها لا يحترم علاقته بها ولا يوقرها ولا يحفظ حقها . وقد يتكلم عليها بكلام يخدش كرامتها ويعصر قلبها وقد يعضلها حتى تطلب الطلاق بنفسها . وقد يفرح بأمر يريحه منها

(١) المشكاة: ٢/ ٢١٣ .

(٢) المشكاة: ٢/ ٢١٣ .

كما هو المعروف في بعض الجهات . وفي حكم الله حفظ مصلحة الزوجين وكرامتهما ، وتأديب للزوج ومعاينة له على عمله كما تقدم . ولهذا شرطت الرجعة بقصد إقامة حدود الله والقيام بما يجب من الحقوق الزوجية بطيب نفس وارتياح بال .

أما إن كانت الرجعة للتشفي والإيذاء لأخذ ما أعطاه أو بعضه فالله هو الرقيب وهو الحسيب ، فالأمر لله والحكم لله ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ .

لقد كانت المرأة في الجاهلية تلاقي من العنت ما يمليه غلظ الجاهلية كانت تلقاه طفلة تدفن حية بعض الأحسان . أو تعيش في ذل ومشقة وكانت تلقى العنت وهي زوجة كأنها قطعة من متاع الرجل . وكانت تلقاه مطلقة لا تزوج ، حتى يسمح مطلقها .

ثم جاء الإسلام فحفظ حقوق المرأة واحترم إنسانيتها ورفع النظر إليها وأعلى من شأنها لها مثل الذي عليها . خلقت هي والرجل من نفس واحدة وجعل الإسلام الصلّات الزوجية عبادة لله إذا صلحت النية وأريد وجه الله ، فالخالق يشرع ما يحل مشاكل المسلمين بدون طلب من أحد وإنما هي رحمة الله بعباده ، شرع لهم من الدين ما يحفظ حقوقهم ويصلح بالهم وينظم حياتهم ومن هنا نعرف أن تشريع الطلاق والرجعة في مصلحة الزوجين معاً . وآيات الله التي بينها في العشرة والطلاق واضحة مستقيمة جادة تهدف إلى تنظيم الحياة الزوجية وإقامتها على الصدق والوفاء .

وما جعل الإسلام للرجل حق الرجعة في الطلقتين الأولين إلا للإصلاح والمعاملة بالمعروف وإقامة الحقوق الشرعية على وجهها ، فيجب على الرجل إذا راجع امرأته أن يقصد الإصلاح وإكرامها وأداء حقوقها ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ .

أما الإمساك للضرار فقد نهى عنه الخالق تعالى في صريح القرآن ﴿ فَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضُرَارًا لَتَعْتَدُوا ﴾ ، فالذي يمسك ضرراً متعد حدود الله وتشريعاته . هو بذلك ظلم نفسه وعرضها لسخط الله وعقوبته . لأن المطلقة أخته في الإسلام وأخته في الإنسانية فإذا راجعها بنية الإضرار فقد ظلمها وظلم نفسه بإيرادها موارد العصيان والجموح بها عن طريق الطاعة .

والذي لا يرضى بشرع الله وأحكامه قد اتخذ آيات الله هزوا . ولكي يزيل المسلم هذا الجموح النفسي يلزمه أن يتذكر نعم الله عليه : أوجده من العدم ، وأعطاه من الآلاء والمكارم ، ورباه ورعاه ، وأنعم عليه بالصحة والعقل والفهم . وهداه لهذه العقيدة الصافية ، وجعل صلته به سبحانه وتعالى . وأكرمه بالطمأنينة والهدوء في النفس وفي البيت وفي المجتمع قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزْواً وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

، فاتقوا الله أيها المؤمنون .

اللهم بارك لنا في القرآن وانفعنا بما فيه من الأحكام والمواعظ
والبيان . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت
الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم حالات القلوب وخطرات النفوس وهو الرحيم الغفور .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه ونصح لأمته وعالج مشاكلها بوحي الله وتوجيهاته . اللهم صل وسلم على الصفوة المطهر عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . فإنه يجب أن يسود المعروف والحسن في الحياة بين الأسرة سواء اتصلت حبال النكاح أو انفصلت ولا ينبغي أن يكون الطلاق مثيراً للشغب والإيذاء . وقد تتأثر النفوس حالة الانفصال ، إلا أن الإيمان بالله وبما جاء من عند الله والإيمان بالقدر وبالיום الآخر يزيل تلك التآزمات ويصفي الجو العائلي ، فلا ينبغي لولي المرأة أن يغضب إذا طلق الزوج موليته طلاقاً رجعيّاً وتركها حتى خرجت من العدة ثم خطبها فلا ينبغي أن يمتنع من تزويجه إذا كانت راغبة . روى البخاري رحمه الله عن معقل بن يسار أن أخته طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها فأبى معقل فنزلت

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجْلُهُنَّ فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . فقال معقل سمعاً لربي وطاعةً ، فدعاه فقال أزواجك وأكرمك .

ومن هذه الآية وأمثالها في القرآن مثل آية المجادلة نعرف جانباً من رحمة الله بعباده وأنه يستجيب لحاجات القلوب التي علم الله صدقها .

فاتقوا الله أيها المؤمنون .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٥)

عناية الإسلام بالإنسان

الحمد لله رب العالمين . ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾
[الرحمن : ٣ ، ٤] خلقه بيده وأسجد له ملائكته وفضله على كثير من
العالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حفظ حقوق
الإنسان فكل ما قيل فقد سبق إليه الإسلام .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . رحمة الله
بخلقه وصفوته من عباده ، ومنتته على العالمين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه وأتباعهم بإحسان .

أما بعد . . فإن الخالق تعالى أعطى الإنسان عناية تامة لا
يماثلها عناية . أوجده من العدم ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر
لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ . خلقه بيده فأحسن تقويمه ، ونفخ فيه من
روحه وعلمه الأسماء كلها وفضله على الملائكة المقربين ، وأمرهم
بالسجود له ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا
سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا

إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ أَتَكْبِرُتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ [ص: ٧١ - ٧٥] .

وحمله التكليف وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين ووعده المغفرة إذا استزله الشيطان فاستغفر الله ﴿٧٢﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣] .

اعتنى الخالق تعالى بالإنسان وحفظ حقوقه وهو في بطن أمه فأوجب له الرعاية والعناية والنفقة . قال تعالى في حق الزوجات ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦] .

وحفظ الخالق بالإسلام حق الإنسان وهو رضيع . فأحاطه بالحماية وحسن الولاية والحضانة . وأوجب له الرضاعة والنفقة والمؤمنة قال تعالى : ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] .

وقال جل شأنه ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦] .

ومن عناية الإسلام بالإنسان أنه إذا كان قاصراً ومات وليه أقيم عليه من يرعى شئونه ويحفظ أمواله ويسعى لمصلحته . وأوجب له الحضانة والصيانة والنظافة فإذا كان دون سبع سنين فالأم أحق بحضنته ، وإذا تم للصبي سبع سنين خير بين أبيه وأمه فهو يميز الأرفق به . روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عتبة وقد نفعتني . فقال له النبي ﷺ : هذا أبوك وهذه أمك فخذ بيد أيهما شئت فأخذ بيد أمه فانطلقت به ^(١) .

وحفظ الإسلام حق الإنسان وهو شاب تحمّل الأب مسؤولية تربيته وتمرينه على المكارم والفضائل والبر والصلة والإحسان . قال ﷺ : «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع» وحفظ الإسلام حق الإنسان في الملكية فأعطاه حرية التملك والتصرف سواء كان ذكراً أو أنثى في حدود الشرع وما أحل الله ، قال تعالى : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢] ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾

(١) المغني: ٦١٥/٧ .

وحفظ الإسلام حق الإنسان في بدنه وماله وعرضه . فحفظ الأموال بقطع يد السارق ، وحفظ الأبدان بالقصاص ، وحفظ الأعراض بحد القذف وتحريم الغيبة والنميمة .

وحفظ الإسلام حق الإنسان إذا كان فقيراً أو عاجزاً عن الكسب فأوجب الله الزكاة على الأغنياء تعطى الفقراء . قال تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن والله سميع عليهم ﴾ . وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن ، قال : «إنك تأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (١) .

وحفظ الإسلام حق الإنسان إذا كان شيخاً كبيراً فأوجب له النفقة على أولاده وأقاربه وحث على توقيره واحترامه . وتقديمه على من هو أصغر منه . عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي

(١) مشكاة المصابيح : ١ / ٥٥٧ .

السلطان المقسط»^(١) وحفظ الإسلام حق الإنسان حال مرضه فحث على عيادة المريض والدعاء له وتخفيف مصابه ووصي أهله بالصبر واحتساب الأجر والعناية بالمريض وخدمته وتحمل ما يحصل منه .

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس وإبراز المقسم ونصر المظلوم ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام^(٢) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكروا العاني»^(٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان غلام يهودي يخدم رسول الله ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعبده فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار^(٤) . رواه البخاري .

وحفظ الإسلام حق الإنسان بعد موته ، فشرع تغسيله وتجهيزه وإذا كان مسلماً شرعت الصلاة عليه إلا شهيد المعركة . ثم يدفن ، وإذا كان مديناً استحب لأقاربه والمسلمين تحمل دينه وإلا فمن بيت

(١) رياض الصالحين : ١٥٣ .

(٢) رياض الصالحين : ٣٢٨ .

(٣) رياض الصالحين : ٣٢٨ .

(٤) رياض الصالحين : ٣٢٨ .

المال ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل هل ترك لدينه فضلاً ، فإن حدث أنه ترك لدينه فضلاً صلى عليه وإلا قال للمسلمين صلوا على صاحبكم . فلما فتح الله عليه الفتوح قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من توفى من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه ، ومن ترك مالا فلوارثه . وإذا تأملنا التشريع الإسلامي ، وتأملنا أوامره ونواهيه وتأملنا نصوص الحلال والحرام والبر والصلة والصبر والتحمل علمنا يقيناً أن الإسلام كله في صالح الإنسان وأنه حفظ حقوق الإنسان وحافظ على كرامته وإنسانيته وبذل الجهد لإصلاحه وتقريبه من خالقه .

لكن المعارضين للإسلام من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا وأتباعهم وتلاميذهم أحسوا بأنهم أهملوا حقوق الإنسان وأن الإسلام هو الذي حفظها فأرادوا أن يغطوا أخطأهم وأن يلبسوا على العامة قبيح تصرفاتهم ، فصاروا ينادون باسم حقوق الإنسان ، وهم الذين حطّموا الإنسان وهم الذين انتهكوا حرمة الإنسان وغمطوا حقوقه ألا تسمعون عن تصرفات الصرب النصارى بالمسلمين في البوسنة والهرسك ، ألا تسمعون بتصرفات الصهاينة اليهود في فلسطين وجنوب لبنان ، ألا تسمعون بتصرفات المجوس في الهند وفي كشمير ، أليس ترك الحبل على الغارب للمجرمين والمخربين والمفسدين يفعلون ما شاءوا ، قتلاً وسلباً ونهباً

وإرهاباً وتخويفاً وتهديداً .

فلا تأمن العامة على أنفسهم ولا على أموالهم ولا على
أهلهم .

أليس هذا إهداراً لحقوق الملايين من الناس وتعدٍ على
كرامتهم . إن الإسلام هو الذي حفظ حقوق الإنسان ، أمر بالعدل
ورفع الظلم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود وأوقف
كل ظالم عند حده . فالدولة التي تحكم بما أنزل الله وتقيم حدود
الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتأخذ على يد السفية وتحفظ
الأمن هي التي تحافظ على حقوق الإنسان وتحفظ كرامة الإنسان ،
فاتقوا الله أيها المؤمنون . اتقوا الله أيها الناس .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى
أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا
تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥] ، اللهم بارك لنا في القرآن . .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . أنزل الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه
من الكتاب ومهيماً عليه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فإن النبي ﷺ ذكر من صفة الجنة والنار وصفة
عذاب القبر ، وحثنا على سؤال الجنة ، والاستعاذة من النار ومن
عذاب القبر . وأخبر ﷺ بأنه ليس في الدنيا ولا في الآخرة إلا
الأسماء ، وأن ما في الآخرة أو في البرزخ لا يطلع عليه أهل
الدنيا ، فمن ذلك قوله ﷺ : «قال الله عز وجل أعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«غدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من
نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما
بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» .

وقال رسول الله ﷺ : «لو أن قطرة من الزقوم قطرة في دار الدنيا لأفسدت على الأرض معائشهم» .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مكلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي اللون لون الدم والريح ريح المسك» .

فما كان في الآخرة قضى الله تعالى ألا يراه ولا يسمعه ولا يشمه أهل الدنيا من أجل عمارة هذه الدنيا والعيش فيها . فاتقوا الله أيها المسلمون إذا سمعتم شيئاً فزنوه بموازين الشريعة ، فإن وافقها فهو مقبول وإن خالفها فهو مردود مهما كان القائل .

وصلوا على البشير النذير .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٦)

نعمة الإسلام وخطط الأعداء لمقاومتها

الحمد لله رب العالمين . (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه المطهرين من الأدناس ، خير القرون وخير الناس ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحساب .

أما بعد . . فإن أعظم نعمة يرفل فيها المنعم عليهم نعمه غفل عنها بعض الناس وهي نعمة الإسلام فله الحمد والمنة وله الشكر والثناء الحسن إذ هدانا للإسلام وما كنا لتهدى لولا أن هدانا الله . اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة . اللهم أحيينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين . اللهم اجعلنا من أتباع نبينا محمد ﷺ ومن المستحقين لشفاعته ومن حزبك المفلحين .

إن نعمة الإيمان عليك أيها المؤمن لا يعدلها نعمة ولا يضاهيها منة ، فالإيمان يجعل للإنسان المخلوق من الطين ، ثم من الماء المهيّن يجعل له دوراً كبيراً في هذا الوجود ، ينطلق بأفكاره وتصوراتهِ إلى التفكير في هذا الوجود ، وإلى إدراك حقائق الأمور على واقعها . وبتأمل نتائج الأمور ومضارها وفوائدها فلا تغلبه الشهوات . ولا تؤثر فيه الإرجافات والدعايات ، ولا تخرجه عن إيمانه المغريات .

فإذا غلبت الناس شهواتهم إذا بالمؤمن يتقي الله بإيمانه بأن الله يسمعه ويراه . وأن حوله ملائكة الله يكتبون الحسنات والسيئات وإذا انتهت الناس في أعمالهم إذا بالمؤمن يستأنس بقرب الله فيكون قلبه ممتلئاً من خشية الله ولسانه رطباً من ذكر الله ، ويؤدي عمله لله ومن أجل الله .

وإذا اشتغل الناس بلهو الحديث والمسلّيات إذا بالمؤمن في طاعة الله ومن هذا التصور يستمد المؤمن موازين للحياة وأعمالها ، ويمضي في حياته طيب النفس مأنوس الضمير . إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، فالذي خلق الإنسان أرحم به وأرحم منه فلم يخلق عبثاً ولن يترك سدى . ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ [آل عمران : ١٩١] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِينَ ﴾ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ

الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [الأنبياء] .

والمؤمنون في الدنيا على ثلاثة أصناف . أعلاها الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

الصنف الثاني: الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

الصنف الثالث: الذي إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل . سواء كان الطمع في مال أو عرض أو منصب . وكما أن الإيمان مجبول في الإنسان والمؤثرات تغير الفطرة فالأبوان لهما دور مهم في تنشئة الولد وتعليمه وتربيته والمحافظة على فطرته ، وتنبيهه على بعض الأشياء وفتح ذهنه لإدراك بعض الأمور . فإن كانا مستقيمين استقام ولدهما .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »^(١) وذكر ابن كثير عن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليهما عن الأسود بن سريع وفيه فقال (كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها) .

فالدين والفطرة مرتبطان وكلاهما ثابت لا يتغير وإنما تغير الأموال والأفعال والصفات . فلا يرد الناس إذا انحرفوا إلا هذا الدين .

(١) رواه مسلم : ٢٠٤٧ / ٤ كتاب القدر .

ويلاحظ أن بعض الآباء يحرص على ضبط الولد إذا كان سنه أقل من خمس عشرة سنة . فإذا بلغ رفع عنه الرعاية . وهذا من أقبح الخطأ لأن الشاب والشابة أحوج ما يكون للرعاية والملاحظة وحسن التربية بعد البلوغ . كما يلاحظ أن الأولاد يكونون في طوع التربية إذا كانوا دون البلوغ . فإذا راهقوا وبلغوا اشتدوا على المربي وهذا شيء معروف فإن الشاب عند البلوغ تتحرك فيه قوة الشباب وتثور فيه الرغبات والشهوات فيخيل إليه أنه يستطيع أن يخرق الأرض وأن يبلغ الجبال طولاً وأنه لا يجاريه أحد وخاصة إذا أعطاه الله صحة وأعطاه أبوه كل ما يطلب فلا ينظر في الحال ولا يفكر في المستقبل . وهذه مفسدة للولد يجب على الآباء أن يحذروها ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (٢٩) [الإسراء] . وهناك ما هو أشد من هذا ، فقد بلغني ممن أثق به أن بعض الآباء يكافئون أولادهم على النجاح ذكوراً وإناثاً بإتاحة السفر لهم إلى بلاد تختلف عاداتها ونظامها عن ديننا وتقاليدها الإسلامية . فلا صلاة فيها ولا أخلاق ولا بر ولا صلة . ولا حلال ولا حرام ، بل كل ما تشتهيهم أنفسهم حلال ، والمغريات متوفرة وأسباب الخلاعة والتحلل مبدولة .

والتخطيط اليهودي والنصراني على أشده ، والشباك لصيد أبناء المسلمين منصوبة ، فيرجع بعض الأولاد قد تأثر بما شاهده وبما عاش فيه أياماً . فلا يعرف لله وقاراً ولا يعرف للأبوين برّاً ولا لأقاربهم صلة ، ولا لكبير احتراماً ، قد انسلخ من الدين فلا يحل حلالاً ولا يحرم حراماً . قد أعجب بتلك البيئة المتحللة وخرج على

دينه وعشيرته وأخلاقه . خسر الأب أمواله وولده وباء بإثم أعماله وأقبح من ذلك فعلاً وأشدّ خطراً وتعرضاً لسخط الله ونقمته الذي يسافر بزوجه وأبنائه وبناته إلى بلاد عرف فيها سقوط الأخلاق والتحلل ، فيذهب الأب برفقة الشيطان ، ويذهب الأولاد والبنات مع كل واحد قرين من أبناء إبليس إلى ما يغضب الرحمن . فراغ وشباب وأموال . ومنظمات تتمنى قنص أولاد المسلمين فما هي النتيجة : أمور تبلغنا أنزله هذا المقام من ذكرها .

إن الأب والأم مسئولين عن أولادهما ذكوراً وإناثاً مسئولية كاملة ما داموا تحت ولايتهما وفي بيتهما .

في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهل ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته » (١) .

ولكن نعرف أن هناك مخططات معادية للإسلام والمسلمين وتُبذل أموالٌ لإسقاط أخلاق أبناء المسلمين ، وأن هذه المنظمات تتخذ من بعض وكالات الطيران والمكاتب السياحية وسيلة لتنفيذ برامجها ، تأملوا ما نشرته إحدى الصحف اليومية في عددها الصادر يوم السبت ، الخامس من شهر صفر هذا العام ، تحت

(١) رياض الصالحين : ١٣٥ قال النووي متفق عليه .

عنوان (خطط للإجازة مع وكالة (كذا) للطيران الدولي وهي في جدة جعلت برامج مخفضة الأسعار لإغراء الشباب إلى السفر إلى تلك الأماكن . مدتها سبعة أو ثمانية أيام . ولناخذ مثلاً من برنامجهم نعرف به الأهداف . جاء في الجدول : لندن ثمانية أيام بمبلغ أربعين ومائتين وأربعة آلاف ريال داخل فيها أجرة الطيران ذهاباً وإياباً . وأجرة السكن والمعيش والتنقلات ، بينما المعروف أن قيمة التذكرة من جدة إلى لندن وحدها ذهاباً وإياباً بمبلغ ثمانية وأربعين وتسعمائة وأربعة آلاف) فقيمة برنامجهم محفوفاً مكفوفاً أرخص من قيمة التذكرة العادية بمبلغ ثمانية وسبعمائة ريال فمن أين أتى ذلك المكتب أو تلك الوكالة بالفرق وأجرة السكن ومقابل الطعام والشراب والخدمة والتنقلات . المعروف أن الوكالات إنما تفتح للربح لا للخسارة ولكنها ربحت دنيا من جهة (ما) وخسرت الآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

وبما نفسر هذا البرنامج الميسر ، وهذا التشجيع السافر .

إنني لم أر في برنامجهم المخفض تنظيم رحلات للعمرة ولا لزيارة مسجد رسول الله ﷺ ، لم أر في برنامجهم الميسر دراسات إسلامية ، وتعليم التاريخ الإسلامي في بلاد الإسلام ، ولا لدراسة اللغة العربية في بلاد العرب .

فاتقوا الله أيها المسلمون . اتقوا الله يا شباب الإسلام . اتقن الله يا شباب الإيمان .

اتقوا الله يا وكلاء السياحة والطيران .

من يضمن عودة المسافر إلى بلاد الإيمان .
من يضمن طول الحياة حتى يتوب العاصي إلى الله .
من يضمن أن الله لا يطبع على قلب من غصاه متعمداً .
كم من شاب وشابة ماتا في سفرهما .
كم من شاب وشابة طبع الله على قلوبهما .
كم من شاب وشابة خرجا عن طاعة أبويهما . فاتقوا الله يا
أبناء ويا بنات الإسلام .
حافظوا على إيمانكم حافظوا على أخلاقكم حافظوا على
مصدر قوتكم وعزتكم .
حافظوا على المميزات التي جعلها الخالق لكم ، احذروا
أعداءكم .
عفوا تعف نساءكم ، وبروا آباءكم تبركم أبناءكم .
﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما
يؤمرون ﴾ .
اللهم بارك لنا في القرآن العظيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . يحب التوابين ويحب المتطهرين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . فإن الإسلام حث على أسباب التآلف والترابط ونهى عن أسباب التنافر والتباعد ، فحث على النظافة وإزالة ما تعلق به الروائح . ونهى من أكل ثوماً أو بصلاً أن يقرب مصلين المسلمين . وفي نحوه الدخان الذي يعلق بالفم وبالثياب بل هو أخبث من الثوم والبصل وفيه ضرر . وأمر ﷺ بالغسل يوم الجمعة ، وحث على سنن الفطرة .

روى مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «عشر من الفطرة، قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء أي الاستنجاء» ولعل العاشرة المضمضة . ومن هنا أوصي إخواني العمال وأصحاب الحرف بالنظافة وإزالة الشعور التي تمسك الروائح في الإبطين وحول

الفرجين فقد أخبرني أكثر من واحد بأنه يتأذى من مجاورة مهملي نظافتهم ، فاتقوا الله أيها المؤمنون ، عليكم بأسباب الألفة والتآخي . واحذروا أسباب الفرقة والتنافر .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٧)

صلح الحديبية

الحمد لله رب العالمين . ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مدح الصحابة رضي الله عنهم ووعدهم ورضي عنهم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أكمل به الدين وأتم به النعمة وهدى أمته صراطاً مستقيماً .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فلما أمر رسول الله ﷺ بكتابة الصلح بينه وبين سهيل بن عمرو مندوب أهل مكة ، قال ﷺ : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لا تكتب لو أشهد أن رسول الله لما قاتلتك ولكن اكتب اسمك وسم أبيك . فرد الله على سهيل والمشركون . وربط على قلب حبيبه وخليله محمد بن عبد الله ﷺ ، ووصف رسوله بما اشتمل على كل وصف جميل فقال سبحانه في آخر سورة الفتح ﴿محمد رسول الله﴾ أي هو رسول الله سواء آمن به سهيل والمشركون أم كفروا . وهو رسول الله سواء آمن به الشرق

والغرب أم كفروا .

وهو رسول الله سواء حُكِمَ بشريعة المسلمين أم بدَّلُوا وَغَيَّرُوا وهو رسول الله على أي حال من الناس . ودين محمد ﷺ ظاهر على كل الأديان حتى بعد انحسار نفوذه عن بعض البلاد ، فهو الدين القوي بذاته القوي بطبيعته . لما فيه من الاستقامة مع الفطرة . ولما فيه من تلبية لحاجات العقل والروح وحاجات العمران والتقدم والتصنيع وحاجات البيئات المختلفة . وما من صاحب دين غير الإسلام ينظر إلى الإسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى إلا ويقر بشمول هذا الدين وكماله واستقامته وقوته .

- ثم أثنى الخالق تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ ورسم أبرز صفاتهم التي هي الأساس لبقية الصفات وهي أساس النصر والتمكين وهي أساس الغلبة والظهور ، وهي مقتضى الإيمان والتقوى ، فقال القوي العزيز : ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] فقلوه : ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ أي مع رسول الله ﷺ على دينه وملته وجهاده ودعوته بخلاف المنافقين فلم يكونوا مع الرسول ﷺ بل هم أعداؤه يتربصون به الدوائر عليهم دائرة السوء .

وقوله : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ كقوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله^(١) : وهذه صفة المؤمنين يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار ، رحيماً برأب الأخيـار . غضوباً عبوساً في وجه الكافر ، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن . كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ وقال ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، وقال ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ أشداء على الكفار - وفيهم أبائهم وإخوانهم وذو قرابتهم - . فغلبت أخوة الدين على أخوة النسب كله لله ومن أجل الله . يشتدون على الكفار من أجل الله ، ويتراحمون بينهم لله ، فأصحاب رسول الله ﷺ يقيمون عواطفهم ومشاعرهم من أجل العقيدة ، والشدة على الكفار هي الشدة في قتالهم كما قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ وقوله : ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ كما أن أحكام الشدة تختلف بحسب ما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين ، وكما تقتضيه نصوص الشريعة ، فتكون واجبة وتكون مندوبة وتكون مباحة ، جارية على مختلف الأحوال^(٢) ، ومن صفات الصحابة

(١) ابن كثير : ٢٠٤ / ٤ .

(٢) التحرير : ٢٠٤ / ٢٦ .

رضي الله عنهم قوة اتصالهم بالله ، خوفاً وطمعاً فهم يكثرون من الصلاة ومن الطاعات والأعمال الصالحة مخلصين لله محتسبين ما عند الله .

﴿ تراهم ركعاً سجداً ﴾ وكأنَّ هذه الصفة لازمة لهم في كل الأوقات وإنما هي العبادة والتهجد في جوف الليل وتلاوة القرآن ، والخطاب في قوله تعالى تراهم لم يكن لمعيّن وإنما هو للسامع مطلقاً ، فمن تمكن من رؤيتهم رأهم ركعاً سجداً .

وقوله : ﴿ يتغنون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ إنهم موحّدون لله مخلصون العمل لله لا يرجون أحداً سواه . ولا يريدون من مخلوق جزاء ولا شكوراً .

إنما هم محتسبون بعملهم ما عند الله ، جزيل الثواب وهو الجنة وهي أعلى المطالب ، ويرجون رضاء الله وهو غاية المآرب وأكبرها . كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢) [التوبة] وقوله : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ السیما العلامة واختلف المفسرون في المراد بهذه السما ثلاثة أقوال لا منافات وإنما هي من اختلاف التنوع . القول الأول السیما : حسن السمّت ووضاء الوجه مع صفرة تنشأ من السهر في التهجد وتعب القيام والخوف من مقام الله ووعيده . الثاني : أن السیما تكون يوم القيامة بياض

في الوجه كالقمر ليلة البدر . القول الثالث : أن السیما أثر مُشاهد يحصل في الجبهة في طول وضعها على الأرض ، وتكراره^(١) يحصل من غير قصد لحصوله بخلاف الآثار التي تحصل بالتكلف والمعالجة لإيجاد الأثر فإنه لا يكون معه نور ولا بهاء ولا خشوع ، وفرق بين النوعين ، روي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ما أسرَّ أحد سريرة إلا أبداه الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه فالمرء من إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله ظاهره للناس ، وأصحاب رسول الله ﷺ كلهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم ووقارهم وخشوعهم ، وروي عن الإمام مالك رحمه الله قال بلغني أن النصاري كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين .

وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة مُعظَّمَةٌ في الكتب المنزلة السابقة والأخبار المتداولة ، ولهذا قال تعالى : (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم) (في مصداق البشارة بالنبي صلي الله عليه وسلم وبأصحابه) في الإنجيل كزرع أخرج شطأه أي فراخه ﴿فآزره﴾ أي شده وقواه ﴿فاستغلظ﴾ أي طال وشب وقوي .

فكذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فكان عليه الصلاة والسلام حين بدأ بالدعوة إلى دينه فرداً فأجابه الواحد بعد الواحد حتى قوي

(١) ابن كثير ٤/ ٢٠٤ .

أمره ، وتكاثر الصحابة ونشروا الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا .

وكل أصحاب رسول الله ﷺ الذين معه مؤمنون ثقات عدول وعدهم الله كلهم مغفرة وأجراً عظيماً ، فليست ﴿من﴾ في قوله سبحانه وتعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ ليست للتبعيض ، فهم كلهم مؤمنون وإنما هي للجنس مثل قوله تعالى : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ . أي فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان . فقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ ومدحهم ورضي عنهم ووعدهم بالجنة فمن تنقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على رب العالمين . وأبطل شرائع المسلمين . بلغ الإمام مالك رحمه الله أن رجلاً يتنقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ حتى بلغ ﴿يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ .

وقال رحمه الله من كان في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية (١) .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه» .

(١) القرطبي : ٢٩٧ / ٨ .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وفي سنة سيد الأولين
والآخرين . وانفعنا بما فيهما من الأحكام والتبيين ، واغفر لنا
ولآبائنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . اصطفى الله رسوله واختار أصحابه
لشد أزره والنهوض بدعوته وتبليغها من بعده .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيدنا وسيد الخلق أجمعين .
اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى
أثره وعمل بشريعته .

أما بعد . . فقد ذكر القرطبي رحمه الله في التفسير عن عويمر
ابن ساعدة قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل اختارني
واختار لي أصحابي ، فجعل منهم وزراء وأختانا وأصهاراً فمن سبهم
فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا
عدلاً . ومتى ألحق واحدٌ منهم تكذيباً فقد سُب لأنه لا عار ولا عيب
بعد الكفر من الكذب» .

فالأصحاب كلهم عدول أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته بعد
أنبيائه من خلقه . وهذا مذهب أهل السنة والسلف الصالح ، فلا
يبحت عن عدالتهم لأنها محققة ثابتة بالكتاب والسنة .

(١) القرطبي : ٢٩٧ / ٨ .

وصلوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) ﴿ [الأحزاب : ٥٦] إِنْخِ الدِّعَاء . . .

الخطبة رقم (٣٨)

صلح الحديبية والفتح المبين

الحمد لله رب العالمين . أتقن كل شيء صنْعاً ووسع كل شيء علماً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أعطاه ربه فتحين كبيرن ذكرنا في القرآن المبين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد : فإن في القرآن الكريم سورة يتبادر إلى ذهن بعض الناس معنى غير ما صحت به الروايات وهي قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ فيظنه بعض الناس فتح مكة والصحيح أنه صلح الحديبية سنة ست من الهجرة وهو حدث عظيم فيه مصالح للإسلام والمسلمين وفتح مبين كما قال سبحانه وتعالى (فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً - أي دون تحقيق الرؤيا وقال سبحانه (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) أي صلح الحديبية . أما فتح مكة

فهو المذكور في سورة النصر ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ في شهر رمضان سنة ثمانية أما قصة صلح الحديبية فبعد أن رأى رسول الله ﷺ في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بها ففرحوا كثيراً .

وفي آخر سنة ست من الهجرة خرج رسول الله ﷺ في شهر ذي القعدة معتمراً وساق معه الهدى . وصحبه أربعمئة وألف من المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين فلما وصل الحديبية جهة أسفل مكة قرب حدود الحرم بركت ناقته ﷺ فقال الناس خلأت الناقة أي حرنت ، فقال ﷺ ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة .

لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها .

ولم يكن في آبار ذلك المكان ماء فأخرج ﷺ سهماً من كنانته وأمر رجلاً من أصحابه أن يغرسه في قعر إحدى الآبار ، ففعل فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن . وأخذت قريش ترسل الرسل إلى النبي ﷺ تسأل عن أمر مجيئه فيخبرهم بأنه جاء معتمراً زائراً للبيت معظماً حرمة ومعه الهدى وأنه لم يرد حرباً .

وكلُّ رسولٍ من قريش يخبر قريشاً بما شاهده وبما قاله رسول الله ﷺ فلا يصدقونه . وبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ليخبر

قريشاً بما جاء له . واحتبسوا عثمان عندهم فشاع أنهم قتلوه فقال رسول الله ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان ثم تأكد ﷺ أن عثمان لم يقتل .

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو من بني عامر بن لؤي ليصالح رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم . فتراجعا وجرى الصلح ولم يبق إلا الكتابة ، فقال عمر لرسول الله ﷺ أأست برسول الله ؟ قال : بلى . قال : ألسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال فعلام نعطي الدنية في ديننا . فقال نبي الرحمة ﷺ أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني ، فتراجع عمر وخاف أن ينزل فيه قرآن . ثم دعا رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له اكتب فكتب الصلح بإملاء رسول الله ﷺ فوافق سهيل بن عمر ، وفيه اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده إليه . ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه . وأنتك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وعلى أنه إذا كان العام القابل خرجوا من مكة فدخلها محمد بأصحابه ومعه سلاح الراكب السيوف في القُرب وكان أصحاب رسول الله ﷺ لما خرجوا للعمرة ظنوا أن هذا تحقق الرؤيا فلما صدوا عن البيت ورأوا ما تحمل رسول الله ﷺ في موافقة سهيل بن عمر دخل على

الناس أمر عظيم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ أأست أخبرتنا بالرؤيا قال بلى وهل قلت لكم هذه السنة قال لا قال : لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله وفي أثناء كتابة الصلح جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرُسُفُ في الحديد قد انفلت من المشركين فقال أبوه سهيل بن عمرو يا محمد قد لَجَّت القضية بيني وبينك (أي تمت) قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فلطم سهيل ابنه أبا جندل مع وجهه وأخذ ينهره بتلايبه ويجره ليرده إلى قريش ، فصرخ أبو جندل يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين ليفتنوني عن ديني فزاد ذلك ما في نفوس الصحابة . فقال الرؤوف الرحيم بأمته ﷺ يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك . وأعطونا عهد الله . وإنا لا نغدر بهم .

فلما فرغوا من كتابة الصلح نحر رسول الله ﷺ هديه وحلق رأسه وحل إحرامه . فاقتدى به المسلمون .

ورجع ﷺ ومعه المسلمون إلى المدينة فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين . وذهب ما كان في نفوسهم وازدادوا إيماناً مع إيمانهم ، وفي أثناء الطريق أنزل الله على رسوله ﷺ قوله : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) ﴾ [الفتح : ١ - ٣] فلما قرأها على

أصحابه قالوا هنيئاً لك يا رسول الله بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الفتح: ٥] .

فصلح الحديبية فتح بين لما فيه من المصالح ، غفر الله لنا ولنبينا ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وبويع بيعة الرضوان . وفيه شد عزائم الصحابة لثباتهم ، ومشى الناس بعضهم مع بعض وعلموا وسمعوا من كلام الله وكلام رسوله ﷺ فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه . وأطعموا نخل خيبر ، وظهر الروم على فارس وفرح المؤمنون بنصر أهل الكتاب على المجوس .

فقوله تعالى : ﴿وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ﴾ أي في الدنيا والآخرة .

﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي بما شرع لك من الشرع العظيم والدين القويم . ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث : «وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله عز وجل إلا رفعه» وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما عاقبت أحداً عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وفي الآية بشارة للنبي ﷺ بأن الله سينصره على الذين صدوه عن البيت .

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة بعد الصلح أتاه أبو بصير عتبة بن أسد^(١) وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس ابن شريق إلى رسول الله ﷺ يطلبان رده وبعثاً رجلاً من بني عامر ومعه مولى لهم . فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإنَّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً فانطلق إلى قومك) قال يا رسول الله أتردني إلى المشركين يفتنونني عن ديني قال (يا أبا بصير انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً) . فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه . فقال أبو بصير للعامري أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ قال : نعم . قال : انظر إليه قال انظر إن شئت ، قال فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله وخرج المولى فزعاً وأتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ، فقال قتل صاحبكم صاحبي ، فجاء أبو بصير متوشحاً بالسيف فقال يا رسول الله وفّت ذمتك وأدى الله عنك أسلمتني القوم وامتنعت بديني أن أفتن فيه . فقال رسول الله ﷺ (ويل أمة مَحَشَ حرب لو كان معه رجال) ، ثم خرج أبو بصير حتى نزل بالعيص بطريق قريش إلى الشام فخرج المستضعفون في مكة إلى أبي بصير بالعيص فاجتمع منهم قريب من سبعين رجلاً ، فضيقوا

(١) سير ابن هشام : ٣ / ٣٣٧ .

على قريش لا يظفرون بأحد إلا قتلوه . ولا تمر بهم عير إلا
اقتطعوها ، فكتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأله بأرحامها إلا
أواهم فقدموا المدينة وهذا فرج من الله ومخرج .

وهاجر نسوة من مكة إلى رسول الله ﷺ فطلبت قريش
ردهن ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [المتحنة: ١٠]
فأبى رسول الله ﷺ ردهن ورد الرجال اللهم بارك لنا في القرآن
العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم واغفر لنا ولآبائنا
وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . الخ

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . نصر عبده وأعز جنده .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله

وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . ففي شهر ذي القعدة سنة سبع من الهجرة في

الشهر الذي صدّ فيه المشركون رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت

خرج ﷺ إلى مكة معتمراً عمرة القضاء ، فلما أقبل خرج رؤوس

الكفر وبقي الباكون ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فحل

عمرته وبقي ثلاثاً حسب الصلح وخرج منها وهذا تحقيق لرؤيا النبي

ﷺ ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ

اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ

مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح : ٢٧] .

والرؤيا قد لا تقع إلا بعد زمن فيوسف عليه السلام رأى وهو

صغير ولم يقع تأويلها إلا بعد أن بلغ أشده وتولى خزائن الأرض

في مصر وقد جاء الله بأبويه وإخوته من البدو .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) ﴿ [الأحزاب : ٥٦] إِنْخِ الدِّعَاءُ . . .

الخطبة رقم (٣٩)

الإسلام وتنظيم الأسرة

الحمد لله رب العالمين . خلق الإنسان على فطرةٍ توافق المنهج القويم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴾
(٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ ﴿ [الأعلى : ٣، ٢] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﴿ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] من اتبعه أفلح واهتدى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) ﴿ [طه : ١٢٤] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد صلاة وسلاماً متلازمين دائمين ما دام الليل والنهار .

أما بعد . . فإن الإسلام نظم الأسرة المسلمة وبنائها على أساس ثابت من خصائص الفطرة السليمة ، بتشريع عادل يوفر الرعاية والحماية من التأثيرات الطارئة على الحياة الاجتماعية أقام العلاقات بين الأفراد والجماعات على أساس الإيمان والتقوى ، وربط جميع الصلاة بحبل الله المتين الذي لا ينقطع وأمسكها بعروته الوثقى التي لا تنفصم فالمجتمع المسلم الحقيقي هو الذي تكون

علاقاته لله ومن أجل الله ، والإسلام يهذب النفس ويظهرها
ويزكي الأخلاق وينظمها بربط أعمال المسلم وسلوكه بالله
وبإخلاص القصد والعلم لله . فأمر بتوحيد الله وبالمحافظة على
الكتاب والسنة ، وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى .
وبالتآخي والتعاطف والتعاون والتراحم وحفظ الحقوق وأداء
الأمانات ، وحث على الصبر ومجاهدة النفس والشيطان وعلى
التناصح وتعظيم حرمة المسلم وعلى التواضع والصدق وستر
عورات المسلمين وإقالة عثراتهم ورغب في العفو والصفح
والتسامح والإصلاح بين الناس وغير ذلك من فضائل الإسلام .

ونهى عن الخبائث والرذائل وأسباب الفرقة فنهى عن الظلم
والخيانة والقطيعة وعن أكل أموال الناس بالباطل . وعن الجهر
بالسوء إلا من ظلم ، وعن النجوى بالإثم ، وعن الفحشاء
والمنكر ، وعن الكبر والفخر وسيء القول ، وعن الغيبة والنميمة
وعن الحقد والحسد والإفساد في الأرض ، وعن أكل مال اليتيم
ظلماً وعن الربا ، وعن اليمين الكاذبة وشهادة الزور وقد علم الله
ضعف الإنسان .

وقد علم الله أن سيكون من البشر تقصير وإهمال وغفلة ،
واستسلام في بعض الأحيان لبعض الدوافع والأمانى والمغريات ،
ففتح باب التوبة على مصراعيه لا يُغلق حتى تطلع الشمس من
مغربها ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾ .

وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » .

ومتى وقع المسلم في المعصية فإنه لا يخرج من الملة ، ويكره لعنه أو الدعاء عليه بالخزي ، قال البخاري رحمه الله باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة . وذكر بسنده حديثاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً على عهد النبي ﷺ اسمه عبد الله ، وكان يلقب حماراً . وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأُتي به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ لا تلعنوه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله . وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أُتي النبي ﷺ بسكران فأمر بضربه فضرب . فلما انصرف قال رجل ماله أخزاه الله . فقال رسول الله ﷺ : « لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك » قال في فتح الباري : يكره اللعن إذا قصد به محض السب ، أما إن قصد اللاعن المعنى الأصلي وهو الطرد ، والإبعاد عن رحمة الله فهو محرم .

وأما حديث لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده ففيه لعن غير معين . والنهي عن لعن المعين .

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب حين يشرب وهو
مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينهب نهبة يرفع الناس
إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن » ، فإن الجمع بين النصوص يقتضي
نفي كمال الإيمان لا أن الكبيرة غير الشرك تخرج من الإيمان جملة

ومقتضى النصوص الشرعية أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص
بالمعصية .

ولا يُكفِّر أحد بذنب ومن تاب ، تاب الله عليه ومن مات على
معصية فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له . إلا
الشرك فقد قال جل ثناؤه في سورة النساء ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ
بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾
[النساء : ١١٦] .

إن الإسلام أنقذ البشر من أعباء الجاهلية الأولى ، وهو وحده
هو المنهج الذي يستطيع أن ينقذ البشر من الجاهلية المعاصرة فماذا
يقول أعداء الإسلام في منهج الله العادل ، ماذا يقول أعداء
الشريعة في منهج أكرم الإنسان ورفع مستواه ، ماذا يقول أهل
الأنانية والاستبداد والرغبة في السيطرة على البشر ، ماذا يقولون
عن منهج حفظ الحقوق وأعطائها أهلها ماذا يقولون في منهج يربط
المخلوق بخالقه ، ويعرف المرء بمنشئه ومعاده .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تمسكوا بإسلامكم وارجعوا إلى الله والرجوع إلى الله يعني العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي أنزل به الكتاب ، وتحكيم كتاب الله في حياة الناس .

فإن الإنسان وهو من خلق الله . لا تفتح مغاليق فطرته إلا بمفاتيح من عند الخالق جل شأنه ، ولا تعالج أمراضه إلا بالدواء الذي أنزله في محكم كتابه ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ .

وهناك طائفة من الكفرة المخادعين يغيظهم ظهور الإسلام لأن رغباتهم وأطماعهم لا تتفق مع تعاليمه ، فهم يبذلون كل طاقاتهم في كبت الإسلام ، وإذلال أهله واستعبادهم ، والوقوف ضد ظهور الإسلام والحيلولة دون قيام دولة إسلامية في أي قطر من العالم . ويكيدون باسم الإسلام للمسلمين المتمسكين بدينهم ، فالله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل فاطلبوا من ربكم التوفيق والسداد والاعانة وافخروا بإسلامكم واعتزوا بدينكم .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وألف بين قلوبهم واجمع كلمتهم ووحّد صفوفهم وقوشكوكتهم واربط على قلوبهم وشدّ معنوياتهم وافتح بصائرهم وردّهم إليك رداً حسناً والهمهم رشدهم واكفهم شر أعدائهم ، وخذ بأيديهم إلى ما فيه عزّهم واستعادة

مجدهم الله انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين .
اللهم اخذل الكفرة والظالمين ، وابطل كيدهم وأنزل الرعب
في قلوبهم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . يرفع القسط ويخفضه ولا يضيع أجر
المحسنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . منه المبتدأ وإليه
المنتهى .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الناصح الأمين .
اتلهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته .

أما بعد . . فإن مَنْ عمل طاعة ثم حال الموت بينه وبين إتمامها
يرجى له أن يكتبه الله في الآخرة من أهل ذلك العمل ، فإذا أحرم
المسلم بحج أو عمرة ثم حال الموت بينه وبين إتمام نسكه فإنه يبقى
على إحرامه حتى يلقي الله يوم القيامة يلبي ، فُيُجَنَّبُ محظورات
الإحرام .

روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :
بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ بعرفة إذ وقع من راحلته
فوقصته أو قال فأوقصته ، فقال رسول الله ﷺ اغسلوه بماء وسدرٍ
وكفنوه في ثوبين ، ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم
القيامة ملبياً . وفي رواية لمسلم «ولا تخمروا رأسه ولا وجهه» ،

وفي رواية لمسلم : «وأن يكشفوا رأسه ووجهه» (والوقص كسر العنق) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وصلوا على النبي الكريم .
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٠) (١٠/٢/١٤١٤هـ)

غزوة أحد

الحمد لله رب العالمين . هداانا للإيمان وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً ، فله المنة على هدايته ، وله الحمد على إحسانه وآلائه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأجد الكون بإرادته وسيره بمشيئته ، فكل شيء خاضع لقدرته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله منة الله على المؤمنين ، وفضله على الأميين ، ورحمته للعالمين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . . فإن الله تعالى أرسل الرسل ليطاعوا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٦٤] وكتب الله النصر والعاقبل لرسله وأتباعهم كما قال جل شأنه : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] . ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

ولكن الله تعالى جعل أسباباً للنصر ، فإذا اختل سبب من هذه الأسباب اختل الوعد .

ويتضح ذلك بينا في غزوة أحد . روى البخاري رحمه الله في الصحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله (أي ابن جبير) ، وقال لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا . وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينوا ، فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن ، قد بدت خلاخلهن فأخذوا (أي الرماة) يقولون الغنيمة الغنيمة ، فقال أميرهم عبد الله ابن جبير : عهد إلي النبي ألا تبرحوا فأبوا فلما أبوا صرف وجوههم ، فقتل سبعون قتيلاً^(١) . وقال بعض المفسرين لقد استحر القتل في المشركين حتى ولّوا الأدبار وتركوا ما وراءهم . وسقط لواء المشركين ، ولم ينقلب هزيمة للمسلمين إلا حين ضعفت نفوس الرماة أمام حطام الدنيا وتنازعوا فيما بينهم وخالفوا أمر رسول الله ﷺ .

استمعوا قول الله تعالى وهو يصور معركة أحد في آية واحدة ليست طويلة ، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . فبين سبحانه أسباب الهزيمة والحكمة فيها ، ففر

(١) صحيح البخاري : ٥/١٢٠-١٢١ .

رجال الرماة يوم أحد فقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة .
ووقع النزاع بينهم وبين أميرهم عبد الله بن جبير ومن ثبت معه ،
وانتهى الأمر بالعصيان بعدما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذي
يحبونه ، فكانوا فريقين ، بعضهم يريد الغنيمة وأيقنوا بالنصر ولم
يقع في نفوسهم أن عدوهم يكرّ عليهم . وفريق يريد ثواب الآخرة
فثبت ممتثلًا لأمر رسول الله ﷺ وتوزعت القلوب وتشتت الأمر
وشابت المطامع جلاء الإخلاص .

والمعركة بيده الله ينصر من يشاء ، فلا ينصر إلا من خلصت
نفوسهم لله . فما دام المسلمون يرفعون راية الإيمان والتوحيد
وينتسبون إليها فإن الله لا يمنحهم النصر إلا إذا طهرهم ومحصهم ،
كي لا يكون هناك غش ولا تمويه ، وقد يتصر أعداء الله الذين
يحملون راية الباطل في بعض المعارك لحكمة يعملها الله .

والقرآن الكريم يكشف للإنسان خفيات نفسه وخلجات
ضميره في أمور لا يعرفها الإنسان من نفسه ، كما قال عبد الله بن
مسعود الصحابي رضي الله عنه قال ما كنت أرى أن أحداً من
أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد ﴿ منكم
من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ .

والقرآن الكريم يضع القلوب مكشوفة بما فيها . ويُعرّف
المسلمين من أين جاءتهم الهزيمة ليتقوه مستقبلاً .

وفي الآية الكريمة يكشف الخالق تعالى عن شيء من حكمته وتدبيره وراء هذه الهزيمة ، وهذه الجراح والقتل والآلام التي تعرض لها المسلمون ، فقال : ﴿ ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ﴾ . لقد كانت إرادة الله وراء أفعال البشر ، فكان النصر والغلبة والتمكين للمسلمين أول النهار ، فلما عَصَوْا أمر رسول الله ﷺ وتنازعوا صرف الله قوتهم وبأسهم وانتباههم عن المشركين . وصرف الرماة عن حماية ظهور المسلمين وصرف المقاتلين عن الميدان فلاذوا بالفرار . فالأسباب من الرماة والإرادة والتدبير من الله ، وذلك لحكمة يعلمها الله ليبتليهم بالخوف والهزيمة والقتل والقرح . فَوَرَاءَ كل حادث سبب ووراء كل سبب تدبير من اللطيف الخبير .

وعناية الله ورحمته قريب من المحسنين - ولقد عفا الله عنهم عفا عما وقع من نزاع وعصيان وإيثار الدنيا على الآخرة ، وعفا عن الفرار فضلاً منه ولطفاً وتجاوز عن ضعف البشر الذي لم تصاحبه نية سيئة ولا إصرار على الخطيئة ولا خلل في الإيمان والعقيدة .

وحينما يصور القرآن الصفة التي كانوا عليها الصفة الظاهرة ، والصفة الكامنة في النفوس بقوله تعالى : ﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾ . فلكي تصغر في نفوسهم الغنائم التي فاتتهم ولتعلو نفوسهم فلا تهتمهم الجراح والآلام التي أصابتهم . ولكي يصغر في نفوسهم هول الهزيمة وذعرها .

فلما نفذ قدر الله وانهزم جيش المسلمين ثبت رسول الله ﷺ في وجه العدو ومعه اثني عشر رجلاً . وأخذ عليه الصلاة والسلام ينادي أصحابه ليعلموا مكانه وليرد صيحة إبليس عليه لعائن الله بأن محمداً قد قتل ، وجاءت ملائكة تدافع عن رسول الله ﷺ . روى البخاري في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد)^(١) .

وكان دعاء النبي ﷺ لأصحابه بعد أن صعدوا ﴿أي عباد الله ارجعوا﴾^(٢) . والصعود هو الخروج من الوادي مكان المعركة إلى سفح جبل أحد .

وكان ممن استشهد يوم أحد والد جابر بن عبد الله . وترك ديناً كبيراً وست بنات وعبد الله ، فلما حضر جذاذ النخل أخبر جابر رسول الله ﷺ ورجاه أن يحضر عند الوفاء . فقال له رسول الله ﷺ اذهب فبيدر كل تمرٍ على ناحية أي كل نوع على حدة . ففعل جابر فجاء رسول الله ﷺ فطاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات ثم جلس عليه وقال ادع أصحابك فما زال يكيل لهم حتى أدى جابر ما على أبيه من دين . قال وإنني أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنها لم تنقص ثمرة واحدة^(٣) . رواه البخاري .

(١) البخاري: ١٢٤/٥ .

(٢) القرطبي: ٢٤٠/٤ .

(٣) البخاري: ١٢٣/٥ .

فاتقوا الله أيها المسلمون . فإذا كانت هذه حال الصفوة المطهرة وأصحابه يوم أحد بسبب مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ وبسبب النزاع بينهم .

فما بالكم بمن بعدهم . فعلى المسلمين في أي مكان أن يوقنوا بنصر الله ، وفي نفس الوقت يجب عليهم النظر في أعمالهم وسلوكهم وطاعتهم رسول الله ﷺ وطاعتهم لقادتهم ، فإن تأخر النصر لحكمة يعلمها الله بسبب أعمالهم وسلوكهم فليصححوا من أنفسهم وليوقنوا بأن الله قادر على نصرهم ، والمطلوب من المسلمين في كل مكان التمسك بتعاليم الإسلام ظاهراً وباطناً ، والصبر والتقوى والثبات والطاعة ونبذ الخلاف والنزاع . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٦) [الأنفال : ٤٥ ، ٤٦] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، استغفروا ربكم وتوبوا إليه ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فأوصيكم وإياي بتقوى الله . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ [لقمان : ٣٣ ، ٣٤] .

وأكثرُوا من الصلاة والتسليم على النبي الكريم .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) ﴿ [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤١)

الكعبة بيت للتوحيد

الحمد لله رب العالمين . له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . خلق بقدرته وصرف الأمور بحكمته ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير الأنام وخير من حج البيت الحرام .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . . ففي هذه الأيام المباركة تهوي أفئدة من الناس إلى بيت الله الحرام استجابة لداع الله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] وتلبيةً لنداء إبراهيم عليه السلام . ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧] تهوي تلك الأفئدة المؤمنة إلى البيت الذي بني للتوحيد ومن أجل التوحيد الموصوف بصفات الفضل والكمال كما جاء في محكم القرآن وصحيح السنة .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج : ٢٦] ، فالكعبة المشرفة وضعت للناس لتحقيق التوحيد ، ولهذا كان قاصد البيت الحرام يستهل نسكه بالتوحيد فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، وتظهر آثار الإخلاص على الملامح فيتجرد من المخيط لله ومن أجل الله .

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية : هذا أمر بإظهار التوحيد وفي الآية توبيخ لمن أشرك عند البيت ^(١) .

فيجب على قاصد هذا البيت أن يخلص نيته وعمله لله وأن يقصد بمجيئه إلى البيت الحرام النسك المشروع يريد به وجه الله والدار الآخرة ، فأصل الدين نفى الإشراك بالله . فالبيت إذاً معلم للتوحيد والإخلاص لله .

قال جل شأنه : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ دَخَلِهِ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] ، فالكعبة المشرفة أول متعبّد وضع للهدى وإعلان التوحيد ، فالبيت علم يُعرّف بالحسن على معنى الوحدانية ونفى الإشراك ، فهو جامع للدلائل الحنيفية ، وهو محل العناية من الله جلّت عظّمته فهو أفضل أماكن العبادة في جميع الأزمان والأماكن .

وقوله تعالى : ﴿مُبَارَكًا﴾ صفة للبيت فهو مبارك من كل وجه

(١) القرطبي : ٢٤٠ / ٤ .

من وجوه الدنيا والآخرة ، فداخله للعبادة مثاب ، والعاكف فيه والطائف والمصلي مثابون ، والحسنة بمائة ألف حسنة ، وورقه ميسر يُجْبَى إليه ثمرات كل شيء بفضل الله وإحسانه ، وأحجار أساسه وضعتها يد إبراهيم عليه السلام ، وقربها إسماعيل ، والحجر الأسود وضعه في مكانه الأمين رسول الله ﷺ ، إنها بركات متتابعة .

وقوله : ﴿ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فهذا البيت وضع للتوحيد والهداية ، فشهرته والتسامع به يحمل على التساؤل عن سبب وضعه ، فيُعلم أنه لتوحيد الله وتطهير النفوس ، وتطهير العبادات فيهتدي بذلك المهتدون ، ويرعوي المشككون ، ولقد كان لنقل شعائر الحج والطواف حول الكعبة وبين الصفا والمروة إلى العالم رؤية وسماعاً أثر كبير في النفوس فلو صاحب المشهد دعوة إلى توحيد الله وربط الفطرة المنحرفة بخالقها وبشعائر ربها لا اعتدلت .

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ علامات ظاهرات على قدرة الله تعالى ووحدانية بالألوهية وتفرد بالأمرو والنهي وتعريف الأمور فقد سخر الله الحجر الجمامد ليرتفع بإبراهيم في رفع البناء وينزل لأخذ الحجر من إسماعيل . وإلانة الصخر الأصم حتى غاصت فيه قدما إبراهيم إلى الكعبين لتثبته عند الحركة والصعود والنزول .

وتوجه المسلمين إلى الكعبة في أي مكان من المعمورة أحياء

وأمواتاً .

والطواف بالبيت وبين الصفا والمروة . والتلبية والتحميد
والتهليل عند البيت ، كلها دلائل ظاهرة واضحة على وحدانية الله
وتفردة بالعبادة أيا كان نوعها .

وماء زمزم الذي لا يغيض ولا يفيض طعام طعم وشفاء سقم ،
ليس على صفة يستبد به الأغنياء ، ولا على صفة يملها المسلمون هذه
آية على كمال حكمة الله وسعة علمه بطبائع خلقه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ﴾ والبيت في بلد أمين قد
اُطرده فيه الأمن في العصور التي كانت الأمور فوضى ، فضلاً عن
هذا العصر المبارك الذي ضرب فيه الأمن أطنابه في جميع المملكة
العربية السعودية بفضل الله ثم بفضل تحكيم شرع الله ، ومن الأمن
ما يسره الله لجيران الكعبة والوافدين إليها من طرق الخير ، وما دفع
عنهم من الشرور .

ويأمن من دخل عند الكعبة حتى من الحشرات المؤذية .

فيجب على جيران البيت وعلى الوافدين إليه إخلاص النية
لله ، وإفراده بالعبادة ، وتحري سنة النبي ﷺ بلا زيادة بحسب
المستطاع .

ومن الأمن حفظ الله لبيته ورعايته له وصد الجبابرة والمفسدين
عنه ، قال تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ﴿٥﴾
[الفيل : ١ - ٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾
[الحج : ٢٥] ، لكن من خان الله عند البيت أو عمل عملاً يوجب العقوبة سلط الله عليه من يذيقه سوء العذاب ، كما حصل في فتنة القرامطة .

أو يكون إنسان فعل ما يوجب الحد أو العقوبة فيعاقب ولو كان في الحرم . لأن النبي ﷺ أمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة .

ومن خصوصيات الكعبة أنه يجب على كل مسلم حر بالغ عاقل مستطيع زيارتها في العمر مرة واحدة ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧) ﴿٩٧﴾
[آل عمران : ٩٧] . وقد وردت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ بأن الحج يجب على المسلم في العمرة مرة واحدة من استطاع إليه سبيلاً .

ومن خصوصيات هذا البيت أن أفئدة المؤمنين تتشوق لرؤيته في حج أو عمرة استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧] .

وهذا البيت يتوجه إليه المسلمون في صلاتهم في أي جهة كانوا في المعمورة ، فاستقبال القبلة ركن من أركان الصلاة ، فلا تصح الصلاة إلا باستقبال جهة الكعبة ، قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٤] .

روى ابن جرير الطبري رحمه الله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «البيت قبله لأهل المسجد والمسجد قبله لأهل الحرم ، والحرم قبله لأهل الأرض في مشارق الأرض ومغاربها من أمتي» .

فاتقوا الله أيها المسلمون . احفظوا البيت الله حرمة . واحفظوا الشعائر الله قدسيته . واحفظوا الضيوف الله حقوقهم . احفظوا لبلد الله أمنه واستقراره . واحفظوا لجيران رسول الله ﷺ وجيران بيت الله كرامتهم .

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]

اللهم بارك لنا في القرآن . وانفعنا بما فيه من الذكر والبيان وثبتنا على الإيمان وارحمنا واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت

الخطبة الثانية

حاضر المسلمين

الحمد لله رب العالمين . يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . يهدي من يشاء
إلى صراط مستقيم .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخليفه وكنيسته .
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى ، ومن تبعهم بإحسان
واهتدى .
أما بعد . . فإن المسلم ليحزن إذا تأمل حال المسلمين . لقد
تملأت عليهم قوى الكفر . وأحاطت بهم عناصر الشر ، وصال
الباطل صولته تفرق المسلمون ، وحرش الأعداء بعضهم على
بعض . وتخاذلوا وتدابروا وتقاطعوا . وأطمعوا بعضهم في بعض
والتخطيط واضح والهدف معروف . اليهود يخططون والنصارى
ينفذون ، يضربون المسلمين بعضهم ببعض فإذا ضعفوا تسلط

عليهم أعداء الدين ومثال ذلك مايقع في البوسنة والهرسك
وكشمير والهند وغيرها من الأمم الإسلامية والسبب في ذلك بعد
المسلمين عن حقيقة إسلامهم . وتخليهم عن منهج ربهم .
واقتفائهم آثار أعدائهم . فإذا دخلت بيت المسلم فلا فرق بينه وبين
بيت اليهودي أو النصراني وإذا نظرت إلى بعض موائد المسلمين فلا
فرق بينها وبين موائد أعدائهم كؤوس محرمة ، ولحوم محرمة ،
وإذا تأملت مجتمعاتهم فلا فرق ، اختلاط وتبرج وسفور . وإذا
نظرت إلى مدارسهم فنظام أفرنجي ولد وبنت على المكتب ﴿ نسوا
الله فنسيهم ﴾ ﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ إلخ الدعاء

الخطبة رقم (٤٢) (٢١/٨/١٤١٣هـ)

الساعة والنفخة الأولى

الحمد لله رب العالمين . لطيف بعباده وهو الرحيم الغفور .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . حجب عن
أسماع الثقيلين أصوات من في القبور .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى
ودين الحق .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه . أهل الفضل والتقوى ومن تبعهم واهتدى .

أما بعد . . فماذا أقول أيها المؤمنون حينما أتكلم عن ساعة
محتومة ماذا أقول أيها الأخوة في الله حينما أتكلم عن هول عظيم
محقق وقوعه تزلزل الأرض وتخرج أثقالها ، وتنشق السماء
وتنفطر أرجاءها وتكون الجبال هباء منثوراً تفجر البحار وتسجر
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢) ﴿
[الحج : ٢] . روى الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كان

النبي ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : «يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبّعها الرادفة جاء الموت بما فيه» (١). وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» . وقال لو أكثرتم ذكر هازم اللذات الموت . فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيقول : أنا بيت الغربة ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت التراب ، أنا بيت الدود (٢) تذكر أخي المسلم إذا دخلت هذا البيت وإنما الدنيا متاع مسافر تمضي على ما هي عليه .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ في المسجد فاطلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة مرقوعة بفرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه من النعم والذي هو فيه اليوم ، ثم قال رسول الله ﷺ كيف بكم إذا غدا أحدكم في حُلَّةٍ وراح في حُلَّةٍ ، ووُضع بين يديه صَحْفُه ورفعت أخرى ، وسترتم بيوتكم كما تُستر الكعبة ، فقالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونُكفَى المؤمنة قال عليه الصلاة والسلام لا بل أنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذ (٣) .

(١) مشكاة المصابيح: ٩٦١/٢ رقم ١٣/٥٣٥١ .

(٢) مشكاة المصابيح: ٩٦١/٢ رقم ١٤/٥٣٥٣ .

(٣) مشكاة المصابيح: ٦٩٥/٢ .

وكان مصعب بن عمير رضي الله عنه أنعم غلام في مكة وأجوده فرّوه . فلما علّم أهله بإسلامه أوثقوه فهرب وهاجر فلما استشهد في أحد لم يُخلف إلا ثوباً واحداً فإذا غطوا به رأسه انكشفت رجلاه . وإذا غطوا رجله انكشف رأسه^(١) رضي الله عنه وأرضاه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤهم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» .

وإذا تأملنا القرآن الكريم وجدناه يسمي الساعة بعدة أسماء بحسب ما تتصف به ، مثل : ﴿ اقتربت الساعة ﴾ لأنها جزء من الزمن . ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ لتحقيق وقوعها . ﴿ الحاقة ما الحاقة ﴾ فالوعد والوعيد محقق حصوله . ﴿ والطامة ﴾ لأنها تطم كل أمر . ﴿ والصاخة ﴾ لأنها تصخ الأسماع . ﴿ والغاشية ﴾ لأنها تغشي الناس وتعمّمهم . ﴿ والقارعة ﴾ لأنها تقرر القلوب بهولها وتجعل الناس في حيرة وذ هول .

والموت صفة انتقالية من الدنيا إلى البرزخ ثم إلى الآخرة فقيامه

(١) الاصابة: ٣/ ٤٠٣ .

الفرد بموته ، وقيامه الجليل إذا مات أهل ذلك الزمان ، والقيامة العامة . فناء جميع المخلوقين .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧]

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر : تسألونني عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حيّة يومئذ . وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رجال من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسألونه عن الساعة فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم^(١) .

أيها المؤمنون إن للموت سكرات فاستعدوا لها بالأعمال الصالحات .

روى البخاري رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء ويمسح بهما وجهه ويقول (لا إله إلا الله إن للموت سكرات)^(٢) .

(١) البخاري: ٨/ ١٣٣ باب سكرات الموت، فتح الباري ١١/ ٣٦١ رقم ٦٥١١، ومسلم: ٤/ ٢٢٦٩ .
(٢) البخاري: ٨/ ١٣٣ .

ثم إذا مات ابن آدم فإما أن يكون مستريحاً أو مستراحاً منه .
إما أن يقول قدموني وإما أن يقول أخروه فانظر أيها المسلم من أي
الصفين أنت ، ويتبع ابن آدم إذا نقل إلى قبره ثلاثة ، أهله وماله
وعمله ، فيرجع الأهل والمال ويبقى معه عمله فيكون جليسه في
قبره فليختر الإنسان جليسه في دار الوحدة والغربة .

روى البخاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يتبع
الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله
فيرجع أهله وماله ويبقى عمله . ورب ميت لا يتبعه إلا عمله
والمحتسبون من المسلمين . فليس له أهل ولا مال .

وهكذا تفنى الأجيال . وأما القيامة العامة فكما قال سبحانه :
﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ
اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٧] .

هذه نفخة الفرع يصاحبها الانقلاب الكوني العام الذي تختل
فيه الأفلاك وتضطرب دورتها ، فتكور الشمس وتنكدر النجوم
وتسير الجبال كأنها دخان وكأنها هاربة خائفة مذعورة من ذلك
الفرع فيطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم
يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين
بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون . كل الملوك
والرؤساء ودعاة الخير ودعاة الضلال تحت الشرى .

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ [الكهف : ٤٥]

أخي المسلم إذا عرفت الدنيا ومصيرها وعرفت الإنسان ومآله وأنه راجع إلى ربه يصاحبه عمله ، وإذا عرفت من دين الإسلام أن العمل المؤنس والسبب الموصل ، ما كان صالحاً خالصاً لله صالحاً لموافقته هدي النبي الكريم ﷺ ، وخالصاً لله لاتصال القلب بالله دون من سواه ، فاعلم أن من الأعمال الصالحة تعاطف المسلمين وتراحمهم وإن بعدت الدار وإن عاقت عوائق .

أخي المسلم لك إخوان في الله ، يدينون بدينك ويستقبلون قبلك ، ويعملون بأركان إسلامك ، ويؤمنون بفرائض إيمانك تسلط عليهم أعداء دينك المجوس في الهند وهدموا المسجد الأثري بابري ، هدموا مسجداً ينادى فيه بالأذان ، وتقام فيه الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام ، فإخوانك المسلمون في الهند في حاجة إلى أخيهم المسلم في هذه البلاد وفي غيرها ، كونوا معهم بكل الإمكانيات .

ولا تنسى إخواننا المسلمين في فلسطين وكشمير ويوغسلافيا ولبنان . وفي الشرق والغرب والشمال والجنوب تسلط عليهم أعداؤهم أعداء إسلامهم ، فكونوا معهم واخلصوا الدعاء لهم ، واتقوا الله أيها المؤمنون وتوبوا إليه وتوكلوا عليه واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين .

اللهم انصر أخواننا في الهند وكشمير على أعدائهم المجوس .

اللهم انصر إخواننا في البوسنة والهرسك على أعدائهم
النصارى .

اللهم انصر إخواننا الفلسطينيين على أعدائهم اليهود .

اللهم انصر إخواننا المسلمين في أي بقعة من أرضك . اللهم
انصرهم وأيدهم وقو شوكتهم وصب سهامهم على أهدافهم
وسدد آراءهم ، واربط على قلوبهم واجعل قتلاهم شهداء عندك
في جنات النعيم .

اللهم هون علينا سكرات الموت . واجعل قبورنا روضة من
رياض الجنة وأنس وحشتنا في القبور وارحم غربتنا ، وثبتنا بالقول
الثابت في الدنيا والآخرة .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا
وجميع المسلمين الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على البشير النذير السراج المنير نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . فقد تنوع كلام الناس في تغطية كفي المرأة في الصلاة ، وأن بعض الناس يقول بوجوب كشفهما ويدعوا إليه ويحاول فيه ، فأحبيت أن أنبه على ما قاله العلماء رحمهم الله ، اختلفوا في وجوب تغطية كفي المرأة في الصلاة . كما ذكر في كتب الخلافات مثل المغني ج ١ ص ٦٠١ بناء على الاختلاف هل كفا المرأة عورة يجب سترهما أم لا فمن قال بأن الكفين عورة قال بوجوب تغطيتهما في الصلاة ولا تكشف المرأة إلا وجهها فقط ما لم يكن يراها رجال أجانب فتغطيه مثل حال الإحرام .

وأما من قال بأن الكفين ليسا بعورة قال بجواز كشفهما في الصلاة ولم أر قولاً بوجوب كشف الكفين ، وإنما الخلاف في جواز كشفهما . وتغطيتهما أفضل وأكمل وأتقى ، فاتقوا الله أيها

المسلمون .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٣) (١٥ / ١٢ / ١٤١٣ هـ)

الحج قاعدة من قواعد الإسلام

الحمد لله رب العالمين . ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نزل الذكر
وحفظه من الأيدي العابثة والتصورات المنحرفة .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة
للعالمين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فأهني إخواني في الله حجاج بيت الله الحرام بما
أفاض الله عليهم يوم عرفات ، أهني هذه الأفئدة التي دعاها ربها
لحج هذا العام . وحق لهم التهتة فقد باهى بهم الرب ملائكته وقد
عملوا السنة سيد الأولين والآخرين نبينا محمد بن عبد الله عليه
أفضل الصلاة والتسليم .

إن الخالق تبارك وتعالى قد أكرم أمة محمد ﷺ واختار لهم
ديناً قيماً ملة سمحة شاملة كاملة قوية عزيزة تتلائم مع الفطرة
السليمة وافية بمتطلبات الحياة وأساسه الإخلاص لله والحج من

شعائر الإسلام مبناة على التوحيد والإخلاص .

فالكعبة المشرفة وضعت لتحقيق التوحيد ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلا تَشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ ولهذا شرع لقاصد بيت الله أن يستهل نسكه بالتوحيد وهي التلبية والبيت الحرام معلّم من معالم التوحيد .

والإسلام نظام تشريعي متماسك يُصدّق بعضه بعضاً ويؤيد بعضه بعضاً غير قابل للتجزئة سواء فيما يتعلق بالاعتقاد ، أو بالشعائر التعبدية أو بالآداب والسلوك ، فمخالفة قاعدة من قواعد الدين مخالفةً لبقيته وقد أنكر الله وذم الذين يأخذون ببعض التشريعات ويتركون بعضاً وتوعدهم فقال سبحانه ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥] .

فالحج قاعدة من قواعد الإسلام له أعمال وآداب ، فمن آدابه قوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ .

فالرفث معلوم ، والفسوق هو الخروج عن طاعة الإسلام . والجدال المناقشة في غير مصلحة حتى تصل إلى المخاصمة .

ومن أعمال الحج كما هو معلوم . التواجد في عرفات ساعة من ليل أو نهار يوم التاسع من ذي الحجة . والمبيت عند المشعر

الحرام في مزدلفة . ورمي الجمرات والمبيت بمنى ليالي أيام التشريق والطواف والسعي والحلق أو التقصير ، فيجب الأخذ بجميع أعمال الحج . فلا يصلح الأخذ ببعضها وترك البعض . فإذا أخذ بأعمال الحج وجب الأخذ بالآداب . فالكل من التشريع ومن أمر الله .

وكل ما يؤدي قاصدي البيت والمشاعر معصية وفسوق وكل ما يسبب الفوضى ويعوق المسئولين عن القيام بمسئولياتهم من الفسوق .

وكل أخذ ورد في غير مصلحة الحج والحجاج جدال .

والحاج في حاجة إلى الهدوء والراحة والطمأنينة فإذا عاجه إثم وبهتان قال سبحانه ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ .

يجب على الحاج أن يفرغ نفسه لأعمال الحج وأن ينتهز فرصة جواره لبيت الله فإنها فرصة قد لا يجدها كل سنة . فيجب عليه أن يستحضر عظمة الله ، وأن يتذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد من البيت ، وأن يذكر الرسول الكريم نبينا محمد بن عبد الله ﷺ وهو يدعو إلى الله . وهو يحطم الأصنام ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ فيقتدي بهم في ملتهم ، يوحد الله في عمله كله ويعظم الله ويقدسه ويحمده ويمجده . يكثر من الصلاة في المسجد الحرام فرائض ونوافل فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة . والصلاة في المسجد

النبي الشريف بألف صلاة . والعبادات في المسجدين تأخذ حكم الأصل .

لقد بينت السنة ومضى التاريخ على أن الحكومات في كل بلد هي المسؤولة عن نظامها وهي التي تتولى ضبط الأمور في بلادها . ومن حضر إليها خضع لنظامها وامثل أوامرها . من عهد النبي ﷺ مع كثر خصومه ومجاهرة أعدائه إلى هذا التاريخ .

وهذه المملكة تسير على شريعة الله وعلى وفق سنة النبي ﷺ بفضلته وإحسانه وتوفيقه ورعايته ، فهي أحق بالتصرف في ضبط الأمور . وتحقيق العدل ورفع الظلم والأخذ على يد السفیه وأطره على الحق أطراً . وحكومة هذه البلاد تدفع السيئة بالتي هي أحسن وتعرض عن الجاهلين وتقابل الإساءة بالمعروف . فلما جاءها مخربون من بعض البلاد منعتهم من الفساد ومن إيذاء ضيوف الرحمن . واستضافتهم للحج على حسابها ولكن الجنون فنون فاعتبروا يا أولي الأبصار .

قال تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ [فصلت : ٣٤ ، ٣٥] .

فإذا تمكن الإيمان من القلب سيطر على الجوارح وظهرت آثاره

عليها .

والواجب على المسلم في كل مكان وخاصة إذا حضر إلى مواقع التنزيل ومصادر التشريع أن يتصف بصفات الفضل وأن ينتهي عن الأخلاق السيئة ، وأسوأ الأخلاق الكذب والافتراء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ينبغي أن يتحلى بما أمر الله به والوقوف عند ما نهى الله عنه .

فما من خلق حسن إلا أمر الله به ، وما من خلق سيء إلا نهى الله عنه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠) [النحل] ، فآية النحل هذه جمعت ما يتصل بالتكليف فرضاً ونفلاً وما يتصل بالآداب والأخلاق عموماً وخصوصاً ، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها .
وإن أعلى مكارم الأخلاق العدل .

والعدل ضد الميل وأصله التوسط والعدل واجب في كل الأمور ولا يتأثر بتأثيرات الرغبة والهوى . قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٨) [المائدة: ٨] . وقال جلت عظمته : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ [النساء: ١٣٥] .

والإحسان هو الإتقان ، كما في حديث جبريل المشهور « قال
فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه
فإنه يراك » والأمر بما يشاء ذي القربى ، أي الأمر ببر الوالدين وصلة
الأرحام وأداء الحقوق إلى أهلها .

وأما الفحشاء فكل قبيح من الأقوال والأعمال .
والمنكر ما أنكرته الشريعة ، فيشمل النهي عن جميع المعاصي
والدناءآت .

والبغي هو الظلم والكبر ، فهو ضد العدل .
فهذه ثلاثة من مكارم الأخلاق أمر الله بها .
وثلاثة من مساوئ الأخلاق نهى الله عنها .

فالواجب على المسلم امتثال أمر الله واجتناب ما نهى الله عنه
وأن يلتزم بنظام الإسلام . ولا يكون معه مع كل صاعق وناعق ولا
يكون عميلاً فينفذ مخططات أعدائه على إخوانه المسلمين فاتقوا
الله أيها المسلمون .

اللهم بارك لنا في القرآن الكريم وانفعنا بما فيه من الآيات
والذكر الحكيم . اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور
الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن عمل بشريعته .

أما بعد فإن لهذه الأمة خصوصيات ومميزات صارت بها خير الأمم وصاروا شهداء على الناس . قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] فلا تستقيم الأمور ولا يرتدع المجرم ولا يرعوى الفاسق إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما أداة الإصلاح ، وهما وسيلة الاستقامة ، وهما شرف الأمة وفيهما سعادتها وعزتها وصلاحها .

ولهذا أكد القرآن الكريم والسنة المطهرة على الأمر بالمعروف ولعن الله من تركه ، قال تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقال سبحانه : ﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ

دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴿ [المائدة: ٧٨، ٧٩] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكنَّ الله عز وجل أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم» .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه في سركم وعلانيتكم ولا تياسوا من روح الله . ولا تأمنوا من مكر الله وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب: ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٤) (١٧/١٠/١٤١٣هـ)

الإيمان الصادق والمنافقين

الحمد لله رب العالمين . أمر بتقواه والاعتصام بحبله المتين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين
والآخرين وإليه مرجع الخلق أجمعين .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد
الغر المحجلين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسول نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فإن المجتمع المسلم الحقيقي صرح شامخ كالبنيان
يشد بعضه بعضاً ويحمل بعضه بعضاً ، يتراحم ويتعاطف ويتعاون
ويتعاضد كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحمى .

والإيمان الصادق هو القاعدة التي يقوم عليها صرح الأمة
وعزُّها والتقوى هي الوشائج التي تربط بين وحدات البناء .

وقد يكون في البناء طوبة أو أكثر لم تنضج أو حجر فيه أملاح
فإذا هي ضامرة متآكلة تاركة فجوة في البناء لا تحمل مثل غيرها ،

وليس لها قوة أخواتها ، فما دامت منتظمة في صفها داخله في البناء مُنغمسة فيه فلا تأثير لها .

لكن لا تبعث هذه النوعية الفاسدة في أي جانب كانت خطراً على البناء ، وهكذا المنافقون في جسم الأمة المسلمة وفي صرحها ، إذا لم يكن لهم نشاط فلا خطر .

إذا كان لهم نشاطات وتحركات واجتماعات وتحزبات واتصالات ودعوة للتوسع وجمع الأتباع واتخاذ معاقل خاصة بهم واستغلال العناوين الإسلامية والمشروعات ولبس ثياب الإسلام لغدر المسلمين وهدم قواعد الإيمان والدين ومحاربة المؤمنين الصادقين ، والوقوف أمام الدعوة إلى الله ، فهم خطر على الإسلام والمسلمين .

وكثيراً ما يتحدث القرآن الكريم عن المنافقين ويصف تحركاتهم ويفضح سرائرهم ويكشف نواياهم . ولقد رسم القرآن صوراً من نشاطات المنافقين لتنبية المؤمنين وتحذيرهم من خداع أولئك الفاسقين ، وإليكم واحدة منها قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لِّمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ

به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين (١٠٩) لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم [التوبة: ١٠٧-١١٠] .

قال ابن كثير رحمه الله سبب نزول هذه الآيات أنه كان في المدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ للهجرة رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب كان قد تنصر وله شرف كبير في قومه ، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية . وأظهرهم الله يوم بدر شرق الفاسق بريقه وبارز بالعداوة وخرج إلى كفار مكة يالؤهم على حرب رسول الله ﷺ فجاءوا مع من وافقهم من العرب عام أحد .

فكان من أمر المؤمنين ما كان وامتحنهم الله ومهما كان الأمر فالعاقبة للمتقين فلما رأى الفاسق أمر المسلمين في ارتفاع وظهور ذهب إلى ملك الروم يستنصره فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من أهل الريب والنفاق يعدهم بأنه سيقدم بحيث يقاتل رسول الله ﷺ وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم شرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد فيها فلما فرغوا منه طلبوا من رسول الله ﷺ أن يصلي فيه ليحتجوا بصلاته على تقريره وإثباته وقالوا إنهم بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية ، وكان رسول الله ﷺ قد عزم على غزوة تبوك فعصم الله نبيه من الصلاة في مسجد أولئك وقال إنا

على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله فلما قفل عليه الصلاة والسلام من تبوك وقرب من المدينة أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بخبر ذلك المسجد وما اعتمده بانوه وأنزل الله تلك الآيات ، فأمر رسول الله ﷺ بإحراقه وهدمه .

هذه قصة مسجد الضرار صورها القرآن الكريم وتلك عاقبته هدمٌ وتحريق . وأمثاله في كل زمان يُتخذ في صور شتى في صورته الأولى صورة مسجد أو في صور أخرى وما يزال أصحاب الأغراض الخبيثة يتخذون من الإسلام ستاراً يكيدون من خلفه للإسلام والمسلمين ولكنهم في كل مرة يبوؤن بالخيانة كأصحاب مسجد الضرار ولا يبقى إلا البناء الطاهر الذي أسس على التقوى من أول يوم .

والقرآن الكريم يرسم هنا صورة واضحة جلية يُنبئ عن مصير كل مسجد ضرار ويكشف عن كل محاولة خادعة يُخفى وراءها نية خبيثة . وتطمئن العاملين المتطهرين من كل كيد يُراد بهم مهما ألبس أثواب الصالحين وسواء كانت تلك المحاولة كفراً أو نفاقاً أو كانت دون ذلك فساداً وفجوراً فحكمها حكم مسجد الضرار فقد حرق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرية بكاملها يباع فيها الخمر وحرقت حانوت رويشد الثقفي وسماه فويسقاً بقي أن نعرف المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في الآية يظهر من كلام ابن كثير الترجيح بأنه مسجد قبا لأن سياق الكلام فيه أن رسول الله

ﷺ أسسه وبناه آل لقدمه ونزوله على بني عمر بن عوف ولأن رسول الله ﷺ كان يزوره راكباً ومشياً وأنه قال في الحديث الصحيح (صلاة في مسجد قباء كعمرة) وللأحاديث الواردة بأن قوله تعالى : ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ نزلت في أهل قبا ، وبذلك قال جماعة من السلف . والأكثر على أن المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى مسجد رسول الله ﷺ هذا ، فقد وردت أحاديث صحيحة بأنه عليه الصلاة والسلام سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال مسجدي هذا ، ولأنه بناه بأمر الله ووجه قبلته جبريل فبناه رسول الله على التقوى وبنى أساسه مع جماعة من أصحابه ﷺ جمعاً لكمة المسلمين ومعقلاً للإسلام وأهله ولا منافاة بين القولين فإن مسجد رسول الله ﷺ هذا قد أسس على التقوى من أول يوم ، ومسجد قبا كذلك أسس على التقوى من أول يوم وكل مسجد بني لله ومن أجل الله ولصلاة المسلمين فيه فهو مؤسس على التقوى في أي مكان كان وفي الآية دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة على طاعة الله وطاعة رسوله ، والصلاة مع الجماعة الصالحين .

وفيهما المحافظة على طهارة الأبدان وطهارة العقيدة وصفاء الإيمان وفيها تنبيه للنفس المؤمنة أن تكون يقظة واعية متمسكة بكتابها وسنة رسولها ملاحظة حقيقة اسلامها قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١٠٤﴾ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿وَلَكِنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم . الخ الدعاء . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فأوصيكم وإياي بتقوى الله .
أيها المسلم إن الله تعالى منَّ عليك بهدايتك للإسلام وجعلك
من أتباع سيد الأولين والآخرين ومن حزب الله المؤمنين فيجب
عليك أن تلتزم بشعائر دينك على الوجه الصحيح ، وصلوا على
البشير النذير ﷺ .

أيها المؤمنون : ما بال بعض الناس إذا نودي للصلاة يختفون
في محلاتهم أو يتجولون في الشوارع بالقرب من المسجد ولا
يحضرون جماعة المؤمنين ، إن لم يكن هذا متطهراً فليبحث عن
الطهور وسيجده قريباً منه . أم أن الصلاة عليه ثقيلة فتلك من
صفات المنافقين ﴿ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ .

ما بال بعض الرجال يلبسون الذهب وقد وجه رسول الله ﷺ

وأنكره أشد إنكار ، أما سمعوا الوعيد الشديد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال : «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها في يده» . رواه مسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً قدم من نجران إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتماً من ذهب فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : «إنك جئتني وفي يدك جمرة من نار» رواه النسائي .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «من مات من أمتي وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها في الجنة ومن مات من أمتي وهو يتحلّى بالذهب حرم الله عليه لباسه في الجنة» رواه أحمد والطبراني .

والخاتم والأزرار في الصدر أو الكم من الحلية المحرمة .

فيا أخي المسلم اتق الله في نفسك واعرف شعائر إسلامك واجتنب ما حرم الله عليك وحرمه رسوله ﷺ .

أما الذين يتخذون أواني الذهب أو الفضة سواء كانت كاسات أو ملاعق أو صحون أو صنابير وسواء كانوا رجالاً أو نساء ، فليستمعوا حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم» رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم : «إن الذي يأكل أو يشرب في

آية الذهب والفضة إنما يجر جر في بطنه نار جهنم» .

وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عند البخاري
ومسلم قال سمعت رسول الله ﷺ : «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج
ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم
في الدنيا ولکم في الآخرة» .

فاتقوا الله أيها المسلمون . المسلم يستسلم لشعائر الإسلام ولا
يخالفها ، فمن خالفها فقد عرض نفسه لسخط الله وعذابه ولسخط
رسوله ﷺ .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٥) (١٥/٨/١٤١٣هـ)

القسم والإيمان المشروعة

الحمد لله رب العالمين . حث على فعل الخير ونهى أن تمنعه
اليمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . سميع عليم
غفور حلیم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وأسوة
المهتدين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فإن الناس قد يحتاجون إلى تأكيد الأقوال وتحقيق
الأفعال للحث على فعل أو النهي عن عمل فشرعت اليمين ، بنص
الكتاب والسنة والإجماع . قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي
أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ ﴾ [المائدة : ٨٩] وأمر الله نبيه ﷺ
بالحلف في ثلاثة مواضع . على المعاد والخروج من القبور وعلى أن
الساعة آتية وعلى أن البعث واقع . قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَبِشُّونَكَ أَهْلُ
هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس : ٥٣] . وقال
سبحانه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَكُمْ ﴾

[سبأ: ٣] . وقال جل وعلا : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُ ثُمَّ لَتَنْبُوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧] .

وقال ﷺ : «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرتُ عن يميني وأتيت الذي هو خير» (١) .

وأجمعت الأمة على مشروعية اليمين وثبوت أحكامها .

وأصل اليمين في اللغة اسم لليد اليمنى ، ثم أطلقت على الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل واحد بيمين صاحبه (٢) .

وتنقعد اليمين من العاقل المختار .

ويكون الحلف بالله تعالى وبصفاته والحلف بغير الله معصية لقوله ﷺ : «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» (٣) ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «من حلف بغير الله فقد أشرك» (٤) فاليمين تعظيم وتقديس للمحلف به والتعظيم المطلق خاص لله .

وأما قسم الله تعالى ببعض المخلوقات فالله تعالى يحكم لا معقب لحكمه فله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، ولا وجه للقياس على قسم الله تعالى (١) .

(١) البخاري: ١٥٩/٨ .

(٢) بذل المجهود: ٢١٠/٤ .

(٣) البخاري: ١٦٦/٨ .

(٤) المغني: ٦٧٦/٨ .

ولا ينبغي الإكثار من الأيمان والحلف على كل صغيرة وكبيرة .

والخالق تعالى أجل وأعظم من أن يستشهد بأسمائه أو صفاته على شيء ، قال جلت عظمته وتقدس أسماءه : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٤] .

والأيمان خمسة أقسام :

الأول : واجب وهي التي ينجوبها معصوم من هلكة ولو نفس الحالف ويستجب له التعريض . لما روى أبو داود رحمه الله عن سويد بن حنظلة رضي الله عنه قال خرجنا نريد رسول الله ﷺ ومعنا وائل بن حجر فأخذه عدو له فتحرّج القوم أن يحلفوا ، وحلفت أنه أخي فخلني سبيله فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرته فقال صدقت : المسلم أخو المسلم (٢) .

القسم الثاني : مندوب وهو الحلف لإصلاح ذات البين .

القسم الثالث : مباح مثل الحلف على فعل مباح أو تركه ومن ذلك إذا ادعى رجل بما في يد آخر بأنه ملكه خطأ فلمدعى عليه الحلف على نفي الدعوى إذا تأكد من صدقه وبطلان الدعوى لما روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحاكم هو وأبي إلى زيد في نخل ادعاه أبي فتوجهت اليمين على عمر فقال زيد :

(١) المغني: ١٧٧/٨ .

(٢) بذل المجهود: ٢٢٤/١٤ .

أُعِفَ أمير المؤمنين ، فقال عمر رضي الله عنه ولم يُعَفَ أمير المؤمنين إن عرفتُ شيئاً استحققتَه بيمينِي وإلا تركته والله الذي لا إله إلا هو إنَّ النخلَ لنخلي وما لأبي فيه حق .

فلما خرجا وهب عمر النخل إلى أبي رضي الله عنهم . ثم قال خفت ألا أحلف فلا يحلف الناس على حقوقهم بعدي فيكون سُنَّة . قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٤] أصل العُرْضة في كلام العرب يرجع إلى المنع^(١) ، أي لا تجعلوا أيمانكم مانعة لكم من البر وفعل الخير .

كما قال ﷺ «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه»^(٢) ، رواه مسلم عن أبي هريرة . ويبين هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] . أي لا يحلف أهل الطول والصدقة والإحسان والجدة أن لا يصلوا أقرباءهم . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه يصل مسطح بن أثاثه ابن خالته وهو مهاجر لا مال له إلا ما يعطيه الصديق فلما اشترك في الإفك حلف أبو بكر أن لا ينفعه أبداً . فلما نزلت

(١) احكام الأحكام: ١/ ١٧٤ .

(٢) مسلم: ١٢٧٣ .

البراءة وتكذيب الإلفك وأقيم الحد على من أقيم عليه . وطابت نفوس المؤمنين ونزلت هذه الآية ، قال أبو بكر رضي الله عنه : بلى والله إنا نحب أن يغفر لنا ربنا ثم رجّع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة . وكفر عن يمينه . ومن الحلف المكروه الحلف في البيع والشراء على غير كذب ، فإن النبي ﷺ قال : «الحلف مُنفق للسلعة مُمحق للبركة» ^(١) رواه ابن ماجه .

القسم الخامس : المحرم وهو الحلف الكاذب ، قد ذمه الله بقوله : ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾ . فإن اقتطع بيمينه مال مسلم فهو اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار لما روى مسلم رحمه الله عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة» فقال رجل وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : «وإن كان قضياً من أراك» .

واليمين المنعقدة التي تحل بالبر أو الكفارة ما تعمدتها القلب وعقد بها في غير معصية الله . وكانت بالله أو باسم من أسمائه أو صفاته فمن حلف أن يفعل شيئاً فلم يفعله ، أو حلف ألا يفعل ففعل فعليه الكفارة لقوله تبارك وتعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ

(١) المغني : ٨ / ٦٨٢ .

يَجِدُ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴿ [المائدة : ٨٩] .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، احفظوا أيمانكم ، ولا تكثروا من
الإيمان واحذروا اليمين الغموس فإنها من أكبر الكبائر وتوجب
غضب الرب تعالى .

اللهم بارك لنا في القرآن .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . يعطي الجزيل ويقبل القليل . ويغفر
الذنب الكبير وهو اللطيف الخبير

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . أرحم بالناس من
أنفسهم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . . فإن النذر إلزام الإنسان نفسه بعمل طاعة وهو
مطلق ومقيد ، فالمطلق أن يقوله لله علي أن أصوم يوماً أو أحج أو
أصلي ركعتين .

والمقيد أن يعلقه بصفة كأن يقول إن شفاني الله أو إن شفى الله
مريضتي أو إن ولد لى ولد أو إن حصل لي كذا فله علي أن أصلي
ركعتين أو أن أنحر بدنة ونحو ذلك .

ويجب الوفاء بنذر الطاعة لقوله ﷺ من نذر أن يطيع الله
فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه .

فإن عجز عن الوفاء كفر كفارة يمين إطعام عشرة مساكين من
غالب قوت البلد لكل واحد نصف الصاع فإن زاد زاد الله في
حسناته ، أو كسوة عشرة مساكين أو إعتاق رقبة مؤمنة ، يُخَيَّرُ
المسلم في الكفّارة بين هذه الثلاثة وكلّ يختار بحسب مقدرته ، فإن
لم يجد ولا يستطيع أن يشتري صام ثلاثة أيام ، والنذر لا يأتي بخير
وإنما يستخرج به من البخيل .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٦)

العام الهجري الجديد والخصال التي يتم بها العمل

الحمد لله رب العالمين . ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَنۡ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٢] .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صدع بما يؤمر . وقام فأنذر وأوذي فصبر تمالؤوا على قتله فحفظه الله وانتصر ، وأمكنه الله فغفر .

اللهم صل وسلم على ذي الخلق العظيم نبي الرحمة الكريم ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فلقد كان في تعاقب الليالي والأيام عبر ومواعظ وتنبيه لواقع الحياة . فحياة الإنسان مجموعة من الليالي والأيام وبانقضائها تنقضي الأعمار . وتنقطع الأعمال . وتحل الآجال كنا قبل خمسة أيام في آخر عام هجري والآن في أول عام آخر قضيت سنة بما فيها من أوضاع وأحداث ، وبما فيها من حزن وأفراح ،

واستقبلنا عاماً هجرياً جديداً لا ندري ما الله قاضٍ فيه وعلينا فعل
الأسباب والاجتهاد فيما ينفع والابتعاد عما يضر ويخدع ، فنسأل
الله أن يجعل هذا العام عام توفيق وسداد ، وهداية ورشاد وأن يعز
فيه الإسلام والمسلمين وأن يلهم رشدهم وأن ينصرهم على من
عاداهم أو خذلهم ، وأن يردهم إليه رداً حسناً كما أسأله أن يخذل
أعداء الدين . وأن يفرق جمعهم وأن يرد كيدهم في نحورهم وأن
يحفظ المسلمين من شرورهم .

إن التاريخ الهجري منسوب إلى هجرة النبي ﷺ وإن كان
الرسول ﷺ وصل المدينة المنورة يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة خلت
من شهر ربيع الأول إلا أن أصحاب رسول الله ﷺ بعد وفاته اتفقوا
على أن يجعلوا أول السنة الهجرية تبدأ بالشهر المحرم ، لأنه بعد
منصرف الحاج ، وهو شهر محرم يأمن فيه الناس فجرى التاريخ
الهجري إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم الساعة إن شاء الله .

أخي في الله إن وضع المسلمين في جميع الدنيا مؤلم إذا تأمله
المسلم وجد ما يسوءه تقهقر في الاختراع والصناعات وتفرق
واختلاف فتسلط عليهم الأعداء يقتلون ويشردون ، وينتهكون
الأعراض ويمثلون بالقتلى ، عمل إرهابي وحشي ، وما هي إلا
دسائس وتحريش من البيع والكنائس وبيوت النار . لأن الإسلام
يزعجهم ويخيفهم . يرهبهم أن يكون للمسلمين إسلاماً حقيقياً أو
إيماناً عملياً ، فهم يعرفون تاريخ الإسلام ولا ينسون المعارك

الإسلامية مع الأعداء ، يعرفون أن الإسلام الصحيح ما دخل معركة إلا انتصر ولا قابل عدواً إلا غلب ، ويعرفون أن المسلم الحقيقي يكون مع الله ومن كان مع الله كان الله معه ، ولن يُغلب من كان الله معه .

فأزِمَّةُ الأمور بيد الله ، ولا يحصل في هذا الوجود شيء إلا بإرادة الله فمن استجار بالله أجاره ، ومن استعاذ بالله أعاده ، ومن اعتصم بالله عصمه ، ومن لجأ إلى الله حماه . ومن طلب النجاة منه بصدق نجاه ، ومن استغفر الله غفر له ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٧] ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [٧٦] وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٧٧] [الأنبياء : ٧٦ ، ٧٧] ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٧] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨٨] [الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨] ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [٨٩] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [٩٠] [الأنبياء : ٨٩ ، ٩٠] ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ [٧٥] أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ

الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) ﴿ [الشعراء : ٧٥ - ٨٣]

وقال الله تعالى لنبينا محمد ﷺ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

واعلم أخي المسلم أن من أسباب استجابة الدعاء فعل الطاعات وترك المنكرات وأكل الحلال والبعد عن الحرام ، كما أن من أسباب رد الدعاء أكل الحرام ولبسه وغذاؤه ، كما روى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين» فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأتى يستجاب له ، وقال سعد بن أبي وقاص لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال النبي ﷺ : «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد

ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملاً أربعين يوماً وأيّما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به» (١).

وقال أبو عبد الله التاجي رحمه الله : خمس خصال بها تمام العمل :

١ - الإيمان بمعرفة الله .

٢ - ومعرفة الحق .

٣ - وإخلاص العمل لله .

٤ - والعمل على السنة .

٥ - وأكل الحلال فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل .

وقد أشار النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه إلى آداب الدعاء وإلى أسباب الإجابة . وإلى موانع الإجابة .

فذكر في الحديث من أسباب الإجابة أربعة : إطالة السفر والتبذل في اللباس وترك الترفع تقرباً إلى الله . ومدُّ اليد إلى السماء والإلحاح في الدعاء يا رب يا رب .

وأما أسباب منع الدعاء فهو التوسع في الحرام أكلاً وشرباً وملبساً وتغذية ، ومن أسباب منع الإجابة ترك الواجبات وفعل المنهيات روى أن موسى عليه السلام رأى رجلاً رافعاً يديه وهو

(١) جامع العلوم والحكم : ٧١ .

يسأل الله ويجتهد فقال موسى أي رب ما صنعت في حاجته فقال يا موسى لو رفع يديه حتى ينقطع ما نظرت في حاجته حتى ينظر في حقي .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ .

اللهم بارك لنا في القرآن وانفعنا بما فيه من الأحكام والبيان وعلمنا منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نُسِّينا وارزقنا تلاوته كما تحب ربنا ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله العالمين ﴿ له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء
ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق الجن
والإنس لعبادته .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة نبيه وأدى أمانته
ونصح لأمته .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فأوصي كل مسلم بالتوبة والاستغفار فلا كبيرة مع
التوبة ولا صغيرة مع الاستغفار ، وأوصيه بالرجوع إلى الله ،
والعمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . والعمل بطاعة الله
والبعد عن معاصيه ، وبأكل الحلال والبعد عن المحرمات .

أوصي كل مسلم أن يكون نظام حياته على وفق الإسلام في
العادات والتقاليد والمطاعم والمشارب والسلوك

فاتق الله أيها المسلم ، راقب ربك في كل أمورك فإنه يعلم ما
تخفي وما تعلن .

وصلوا على البشير النذير . .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٧)

حرمة الأشهر الحرم

الحمد لله رب العالمين . ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ﴾ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين بعثه الله من مكة بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله .

أما بعد . . فإن الكعبة المشرفة هي منطقة الأمان يقيمها الله للبشر والأشهر الحرم أشهر أمان ، فإذا تصارع الناس على الرغائب والشهوات فإنها تضمحل عند البيت الحرام وفي الأشهر الحرم فتحل الطمأنينة مكان الخوف والسلام محل الخصام ، وتُرفُّ على العالم في جوار الكعبة المحرمة والأشهر الحرم أواصر الإخاء والحب والأمن والسلام ، ويأخذ الناس من هذا دروساً واقعية عملية تكون

معهم في كل حياتهم .

والحرمات والأمن تشمل الإنسان والطير وكل الحيوانات والأشهر الحرم التي حرمها الله يوم خلق السموات هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦] ولقد ألقى الله في قلوب العرب في الجاهلية حرمة مكة وحرمة هذه الأشهر فكانوا لا يروعون فيها نفساً ولا يطلبون فيها دماً ولا يتوقعون فيها تاراً حتى أن الرجل يلقي قاتل أبيه فلا يؤذيه فكانت مجالاً آمناً لكل أحد والله أراد للكعبة أن تكون مثابة أمنٍ وسلام يقيم الناس عندها آمنين من الخوف والفرع وجعل الله الأشهر الحرم زمن أمن في كل مكان .

لقد جعل الله هذه الحرمات منذ بُني البيت على يد إبراهيم وإسماعيل وجعل مثابة للناس . ففي الصحيح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : إن هذا البلد حرامٌ لا يُعْضَدُ شجره ولا يُخْتَلَى خلاه ولا ينْفَرُ صيده ولا تلتقط لقطته إلا لمعرفٍ ولم يستثن ﷺ من الأحياء مما يجوز قتله في الحرم ولا شهر المحرم إلا الغراب ، والحدأة ، والعقرب والفأرة والكلب العقور لحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أمر

رسول الله ﷺ بقتل خمس فواسق في الحل والحرم : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور ، وفي صحيح مسلم رحمه الله من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما زيادة والحية وإنما أحلت مكة للنبي ﷺ يوم الفتح ساعة من نهار .

وحرم النبي ﷺ المدينة المنورة كما حرم إبراهيم مكة فهي حرام من غير إلى ثور لحديث علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «المدينة حرم من غير إلى ثور» وفي الصحيحين في حديث عباد ابن تميم أن رسول الله ﷺ قال : «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة» ودعا لها ﷺ .

ومن هذا نعرف أن مكة المكرمة والمدينة المنورة منطقتا أمان في الزمان والمكان ورواق الأمن الذي يشمل الإنسان والحيوان حفظ أنهما منطقة الأمان في الضمير الحي الواعي المنقاد لأوامر الله المستسلم لشرع الله ، إنهما منطقة السلام والأمان والسماحة .

إنهما منطقة المران وتدريب النفس البشرية لتصفو ولتكون مهياة للاتصال بالملا الأعلى وللتعامل مع الملا الأعلى .

يجب أن يكون الحج موافقاً لهدي نبينا محمد ﷺ عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام خذوا عني مناسككم خالصاً لله مبيناً على العقيدة الصحيحة والإيمان وإفراد الله وحده بالأعمال والأقوال .

فما يفعله بعض الحجاج من المسيرات والمظاهرات والتجمعات

فهو مخالف لهدى نبينا محمد بن عبد الله ﷺ في الحج وفيه إزعاج
الحجاج الآخرين والتشويش عليهم في طاعتهم لله ودعائهم والذي
يظهر أن هذا العمل من تخطيط اليهود ودسائسهم الشائنة بقصد
التشويش على المسلمين وإشغالهم عن عبادتهم وعن ذكر ربهم ،
فإذا كانوا بعيدين عن الله لم يستجب دعوتهم ولم ينصرهم على
أعدائهم فالله سبحانه يذكر من ذكره وينصر من نصره ، وقد أنزل
الله في إيداء المسلمين قوله : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير
ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ .

فكيف يرضى المسلم أن يحتمل في هذه البقاع المقدسة المحرمة
في الأشهر الحرم بهتاناً وإثماً مبيناً .

الحاج إذا وصل إلى هذه البلاد صار تحت إمرة أميرها فليطعه
يلزمه السمع والطاعة ويرد ما اختلف فيه إلى كتاب الله وسنة
رسوله ﷺ عملاً بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا
(٥٩) ﴾ [النساء : ٥٩] .

وروي عن ابن سيرين عن عمران بن حصين قال للحكم
الغفاري أسمعت النبي ﷺ يقول : « لا طاعة لخلق في معصية الخالق
قال نعم » .

الحج بني على الإخلاص لله وحده لا شريك له . فالتلبية كلها توحيد وطاعة لله واعتراف من العبد بوحدانية الله واستحقاقه للطاعة والانقياد . والمحرم يجتنب محظورات الإحرام طاعة لله وانقياداً له وكل أعمال الحج اقتداءً بالنبي ﷺ وطاعة لله وانقياداً له فأخلصوا له العبودية والطاعة فلا طاعة للبشر في معصية الله ولا طاعة للناس في مخالفة هدي الرسول ﷺ ، وليس من أعمال الحج المسيرات ولا المظاهرات والتجمعات إنما هي من تخطيط أعداء الإسلام لإشغال الناس عن طاعة ربهم وإشغال المسئولين عن خدمة ضيوف الله .

انظر أيها المسلم إلى التوسعة في المسجدين المطهرين والساحات حولهما تأمل اتساعهما وتكاليفهما نزع ملكية وهدم وبناء وتكييف كل هذا عمل لله ثم لخدمة حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسول الله ﷺ ، فاتقوا الله عباد الله . أخلصوا عملكم لله ، وتوجهوا إلى الله وحده بالدعاء وطلب قضاء الحاجات فهو القادر على إجابة طلباتكم كلها لا يشغله شأن عن شأن . ولا لغة عن لغة . ولا حاجة عن حاجة وغيره محتاج إليه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

اللهم بارك لنا في القرآن . وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان ومن علينا بتلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا . اللهم علمنا منه

ما جهلنا وذكرنا منه ما نُسينا واجعله قائداً إلى رضوانك والجنة وتب
علينا وتقبل منا واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك
أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد في ألوهيته وفي ربوبيته وفي أسمائه وصفاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقام قانتاً لله على قدمه الشريف حتى تفطر وقال أفلا أكون عبداً شكوراً .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن آمن به واتبع سبيله .

أما بعد . . فإن الحج عبادةٌ روحيةٌ ماليةٌ بدنيةٌ ولهذا اشترطت الاستطاعة لوجوبه ، قال سبحانه ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ والسبيل الاستطاعة بالبدن وبالزاد وبالراحلة فمن لم يستطع فلا يجب عليه الحج لكن على المسلم إذا قدر أن يتعجل ليؤدي فريضة الحج الواجبة عليه ، فإنه لا يدري ماذا يحصل له في المستقبل . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جِدَّةٌ فلم يحج فيضربوا

عليهم الجزية ما هم بمسلمين .

إخواني . . يزعم اليهود بأنهم ورثة نبي الله إبراهيم عليه السلام وكانوا يحتاجون فيه فحاجهم رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... (الآية) ﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] . فقال حجوا فأبوا فخصمهم ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده لَلَّذِي بِبَكَّةَ يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه ولا يحجون البيت الذي بناه عن أمر الله ونادى الناس إلى حجه وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام ، قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون سنة ، قلت ثم أي قال ثم حيث أدركتك الصلاة فصل .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه وتعاونوا على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

وصلوا على النبي الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في محكم التنزيل فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ السلام والدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٨)

القرآن الكريم هو كتاب الدعوة

الحمد لله رب العالمين . أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى وأنزل الفرقان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حفظ القرآن من الأعداء والمحرفين فلم تصل إليه يد الظالمين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أنزل الكتاب بالحق ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ٢] ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ [لقمان: ٣] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فإن هذا القرآن هو كتاب الدعوة ، هو روحها وباعثها هو حارسها وراعيها ، هو دستورها ومنهجها ومنه يستمد الدعاة منهاج الحركة وزاد الطريق .

والقرآن أنزل ليطاع ويتبع ويتخذ منهاجاً وسلوكاً في حياة الفرد والجماعة ولم يُنزل القرآن لمجرد تراويل تعبدية فحسب آيات القرآن أنزلت لتواجه نفوساً إنسانية ووقائع وأحداثاً مهمة لها شأنها ووجه القرآن النفوس المؤمنة ، والأحداث التي تمر بهم على وحي السماء

وعلى تنظيم الحكم العدل اللطيف الخبير .

وينبغي أن نستحضر في نفوسنا حياة تلك الأمة التي أنزل عليها القرآن أول ما أنزل ينبغي أن نستحضر حياة تلك النخبة النادرة التي رباهما القرآن فتلقته بالقبول والعمل وهي تواجه أحداثاً متنوعة وعادات وبيئات مختلفة فصارت تتعامل مع بعضها بالقرآن وتتصارع مع الشهوات والعادات ونتأمل كيف أخذ القرآن الكريم بيدها خطوة خطوة ثم يجب أن نعلم أننا مخاطبون بالقرآن ، مثل ما خوطبت به الأمة الأولى وأن الأحداث والمشاكل التي تعاصرنا والنزعات التي تراودنا لا تختلف في أصلها عن الأحداث التي كانت تواجهها الأمة الخيرة .

فكما أن القرآن الكريم عمله في حياة المعاصرين للنبي ﷺ والقرون المفضلة بعده فإن عمله أيضاً ماضٍ في حياة الناس المعاصرين وإنما الفرق في أسلوب الدعوة والتبليغ والنصح والإخلاص وحسن القصد إن القرآن يتفق مع هذا الكون العظيم ، فكل آية تدل على قدرة الله ووحدانيته شاهد ودليل على وجود الحي القيوم المتصف بصفات الكمال فكما أن هذا الكون لم يُؤثر فيه تطاول الزمان من أداء دورة الذي من أجله خلق ، فكذلك كلام الله القرآن لا يؤثر فيه تطاول الزمان أن يؤدي دوره الذي من أجله أنزل ، فالإنسان هو الإنسان والمؤثرات هي المؤثرات والقرآن هو القرآن فكما أن القرآن أصلح الأمة الأولى فهو قادر على أن يصلح الأمة

المعاصرة لكنه يحتاج إلى الأسلوب الذي سلكه نبي الرحمة ﷺ .

فالقرآن وهو كلام العليم الخبير يخاطب الإنسان خطاباً لا يتغير والإنسان بفطرته وتكوينه وعقله وفهمه واتجاهاته لم يتغير فالقرآن قادر بإذن الله وإرادته قادر على التأثير في هذه الملابس ، ويملك أن يوجه حياة اليوم والغد لأن القرآن كلام الله إله الأولين والآخرين وخالق الأولين والآخرين .

وإذا كان لا يليق أن يقول قائل أن الشمس كوكب قديم يجب أن يغير بكوكب عصري تقديمي ، وكذلك لا يليق أن يقول قائل أن الإنسان مخلوق قديم يجب أن يبدل بمخلوق جديد عصري تقديمي لعمارة الأرض والقيام بمتطلبات الحياة المعاصرة . ، فكذلك القرآن الكريم لا يقال أنه كتاب ونظام حياة قديم يجب أن يبدل بنظام عصري تقديمي لأن الشمس وهذا الكون خلق الله أودع فيه خصائصه والإنسان خلق الله جبله على الفطرة ، فكذلك القرآن كلام الله أنزله لإصلاح البشر في أي عصر وفي أي مكان .

إذا فهمنا هذا وتصورناه جيداً علمنا أن القرآن هو نظام الدعوة في أي زمان وفي أي مكان وأن القرآن هو نظام هذه الأمة في كل متطلبات الحياة ^(١) ، فإن أي دعوة لم يكن القرآن نظامها ولم تعتمد على العقيدة والتوحيد لله فهي دعوة لم تجر على سبيل النبي ﷺ . ولم يقصد بها وجه الله ، ولا الدعوة إلى الله ولا إلى كتابه . وإنما هي دعوة إلى الحزبية والتجمع على مبدأ غير مبدأ الإسلام .

(١) انظر : ظلال القرآن : ١١٨ .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . هداانا للإسلام وأنعم علينا بفضلله
التام

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل إلينا سيد
الأنام وأكرم الكرام ، فله الحمد والشكر على آلائه العظام .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله كان خلقه
القرآن ، وأثنى الله عليه في محكم التنزيل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ
عَظِيمٍ ﴾ .

اللهم صل وسلم على الصفوة المختار إمام المتقين وسيد
الأخيار وعلى آله وأصحابه والأمجاد الأبرار ، ومن تبعهم بإحسان
إلى يوم القرار .

أما بعد . . فخير وصيتي لكم وصية الله لعباده ، قال
سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١] اجعلوا من
طاعة الله وقاية تقيكم عذابه ، اجعوا من طاعة الله وطاعة رسوله
ﷺ سترًا بينكم وبين لفتح جهنم ، ثم اعلموا رحماني الله وإياكم أن
شهركم هذا ميدان سباق إلى الله ﴿ وَإِنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ ميدان
تنافس في طاعة الله والأعمال الصالحة . فإذا رأيتم الناس يتسابقون
في تنمية الأموال فتسابقوا على صراط المستقيم ﴿ وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنُكَ

إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ [طه: ١٣١] .

والتجارة مع الله أكثر ربحاً من التجارة مع الناس فمن يربح عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلا في التجارة مع الله .

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠] ﴿مِثْلُ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١] . تذكروا إخوانكم في الإيمان ، أعوانكم على الأعداء ، فإن الكفرة تعدوا على كرامتهم وسفكوا دماءهم ويتموا أطفالهم ورمّلوا نساءهم ظلماً وعدواناً ، وبغضاً للإسلام والمسلمين ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٨﴾ [البروج: ٨] . أكثروا من الدعاء لإخواننا سرّاً وعلانية ، وامسحوا دموعهم بعطفكم وإحسانكم ، أروهم أن لهم إخوانا يفرحون لفرحهم ويتألمون لألامهم ، اجعلوهم يحسون بأن لهم إخواناً في الله يقفون خلفهم . انصروا المظلومين بما استطعتم ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَبْلُوَنَّ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٤﴾ [محمد: ٤]

وصلوا على البشير النذير . .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٩)

حديث جابر رضي الله عنه وحجة النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين . جعل الحج على المستطيع ركناً من أركان الدين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يجزي المحسنين ويعفو عن المسيئين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين وقائد الغر المحجلين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . فإن حجة النبي ﷺ عبادة تشريعية ربط فيها ﷺ بين أصل الدين وبين الفروع تعليماً لأمته ﷺ ليقتدوا به ، كما قال ﷺ : «خذوا عني مناسككم» .

وإذا تأملنا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ وجدنا فيه خيراً كثيراً ، وقد أُلّف فيه ابن المنذر جزءاً كبيراً ذكر فيه أكثر من مائة وخمسين مسألة علمية .

قال جابر رضي الله عنه ثم وُذِّنَ في الناس في العاشرة (١) -

(١) أي في السنة العاشرة من الهجرة .

أي من الهجرة - أن رسول الله ﷺ حاج فقدم بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتهم برسول الله ﷺ ويعمل بمثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة ، وفي حديث أنس أن النبي ﷺ صلى بذي الحليفة العصر ركعتين .

وما عمل به من شيء عملنا به فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وقد ثبت بأحاديث أخر أنه ﷺ أهل بالتوحيد وهو في مسجد ذي الحليفة بعد النية بالإحرام ، وأهل بالتوحيد حين - استوت راحلته وأهل - بالتوحيد لما استوى على البیداء وهي الأرض المرتفعة المستوية الواسعة وكل واحد من الصحابة رضي الله عنهم روى ما سمع .

ومعنى التلبية : إجابة بعد إجابة قرباً منك وطاعة لك ، وقيل معناها اتجاهي وقصدي إليك وقيل في معناها ألفاظ أخر ، وكلها ترجع إلى القرب والإخلاص فهي من اختلاف التنوع . ونقل ابن عبد البر عن جماعة من أهل العلم ، قالوا معنى التلبية إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام حين أذن في الناس بالحج كما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قيل له أذن في الناس بالحج قال رب وما يبلغ صوتي . قال أذن وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم (يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق) فسمعه من بين السماء والأرض وأجابه من

في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ، أفلا ترون أن الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبئون . وفي رواية فأجابون بالتلبية ، فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من كان أجاب إبراهيم يومئذ .

وفي التلبية تنبيه على إكرام الله تعالى لعباده بأن وفودهم إلى بيته إنما كان باستدعائه سبحانه . وقوله ﷺ في التلبية «إِنَّ الْحَمْدَ» المشهور كسر الهمزة والكسر أجود من الفتح وأعم وأكثر فائدة .

والحمد كل كلمة رضيها الله لنفسه وقيل الثناء على الله بما هو أهله بصفاته اللازمة والمتعدية وآلائه المتتابعة .

والحمد يفي بحث النعم لما روي عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال (لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك) والحمد أفضل كلام العبد لأنه تضمن التوحيد مع الثناء وكلمة الإخلاص تقتضيه . والحمد خاص لله فلا يحمد أحد سواه لأن الملك المطلق لله والنعمة من الله . فكل ما في الوجود من نعم الله فَخَلَقُ الإنسان وهدأته إلى الإيمان وحركاته وسكناته وإعائته على طاعة الله وتيسير الوصول إلى بيت الله وتسخير إمام المسلمين لتوسعة وخدمة الحرمين والمشاعر المقدسة ورعاية الحاج . وتوفر المتطلبات وغير ذلك من نعم الله التي نعلمها والتي لا نعلمها كلها نعمة لله ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ .

وحكم التلبية عند الجمهور سنة من فعلها فله أجر ومن تركها فلا وزر ومن أهل غيرها أو زاد عليها فلا بأس ويرى بعض العلماء أنها واجبة . والإيهال رفع الصوت بالتوحيد وكان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أصواتهم بالتلبية حتى تبح حلو قهم .

والتلبية فيها إخلاص القصد والعمل لله بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية يشركون مع الله غيره . وكان الرسول ﷺ وأصحابه في طريقهم إلى مكة يوحّدون الله ويعظمونه ويقدّسونه ويحمدونه فيجب على المسلم الاقتداء بالنبي ﷺ وأن يعي ما يقول ، وأن يخلص نيته وعمله وقوله لله الناس .

قال جابر رضي الله عنه : (حتى إذا أتينا البيت استلم ﷺ الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً) . استلام الحجر والركن اليماني سنة في الطواف ليس بواجب . ولا يجوز للمسلم أن يؤذي الناس ويؤذونه ليستلم الحجر أو ليقبله فإنه يحصل له من الإثم أكثر مما يحصل له من الأجر ، وفي مزاحمته على الحجر إيذاء للمسلمين ومزاحمة للنساء ليحصل على عمل غير واجب ومزاحمة المرأة الرجال أشد إثمًا فإذا كان زحام ، كبر وسار ومضى لقول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه : « إذا طفت بالبيت فإذا رأيت فجوة من الحجر فادن منه وإلا فكبر ثم امض » ، فالعاقل يفكر في الأمر وينظر في الثواب والعقاب ويتأمل الربح والخسارة وذكر في شأن الحجر الأسود أحاديث منها ما رواه البخاري رحمه الله عن عباس بن

رببعة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك . قال في فتح الباري أراد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن يعلم الناس أن استلام الحجر وتقبيله اقتداء برسول الله ﷺ لا لقصد آخر .

وروى عن عبد الله بن عباس مرفوعاً نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم وله طريق آخر عند ابن خزيمة رحمه الله ، وعند النسائي الحجر الأسود من الجنة وإنما سودته الخطايا ولم تبيضه الطاعات لأن الله أراد هذا . وقيل في بقائه أسودَ عبرة لمن له بصيرة فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد .

وقيل غير بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة والله أعلم فيجب على المسلم أن يخلص نيته وأقواله وأعماله لله فلا يقصد إشهار أحد من الخلق ولا تعظيمه ولا الإضرار بالناس . ولا الفخر والخيلاء ولا الظهور بمظهر العظمة والكبرياء بل يتواضع لله ومن تواضع لله رفعه . وطواف القدوم سنة غير واجب فلو خرج المحرم إلى المشاعر ولم يطف للقدوم صح حجه وإنما الركن طواف الإفاضة .

قال جابر رضي الله عنه : ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ وكان يقرأ في الركعتين قل

هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون . وهما سورتا الإخلاص
وتسميان بالمقشقتين لأنهما تبرآن من الشرك يقال قشقش إذا أزال
المرض . فقراءة سورتى التوحيد في ركعتي الطواف لإظهار
التوحيد لله والبراءة من الشرك وأهله .

قال جابر ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا في الصفا قرأ
﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ
أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ حتى رأى البيت فاستقبله فوحد الله وكبّره وقال لا
إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم
الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات .
وقال على المروة مثل ذلك .

الشعائر أعمال الحج وكل ما جعل علماً على طاعة الله فهو من
الشعائر والسعي ركن من أركان الحج والعمرة مثل الطواف .
ويشترط في الطواف الطهارة . ولا تشترط في السعي لقول النبي
ﷺ لعائشة رضي الله عنها حين حاضت : «فلتطف بالصفا والمروة»
فهذا يدل على أنه لا يشترط لشيء من أعمال الحج طهارة إلا
الطواف لكن يستحب لمن قدر على الطهارة بلا مشقة أن يسعى
متطهراً وينبغي أن يعلم أن المسعى الآن دخل في المسجد الحرام فلا
يدخله من منع دخول المسجد وإذا أقيمت صلاة المكتوبة وهو يطوف
أو يسعى وقف مكانه وصلى الجماعة ثم بعد الصلاة يمضي في

عبادته ويتم ما بقي .

وذكر جابر رضي الله عنه خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى منى والمبيت بها وأداء الصلوات والدفع منها إلى عرفات بعد طلوع الشمس ، أي في اليوم التاسع والنزول بنمرة ثم قال : فلما زاغت الشمس أي زالت ومالت عن كبد السماء خطب الناس وأعلن ﷺ احترام الإسلام للمرأة ومحافظته على حقوقها وبين الحق الذي لهن والحق الذي عليهن وبين طريق معالجة المشاكل الزوجية . وبين ﷺ قاعدة بناء الأمة الإسلامية وسبب سعادتها وعزها ونصرها واستشهد الناس على البلاغ وأشهد الله .

وذكر جابر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ استقبل القبلة في وقوفه بعرفة وكان ﷺ يكثّر من الدعاء والابتهاال والتضرع إلى الله والتهليل والتحميد وأفضل الذكر والدعاء (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير) .

والوقوف بعرفة هو الركن الأساسي للحج .

وذكر جابر رضي الله عنه الإفاضة من عرفة والمبيت في مزدلفة والوصول إلى منى ورمي جمرة العقبة ونحر الهدي والإفاضة إلى البيت .

فاتقوا الله أيها المسلمون كل شعائر الحج توحيد لله ونصح

للأمة واختبار للسمع والطاعة والامتثال . كانت بعيدة عن
الأهداف الشخصية ، والخلافات العنصرية ، والدسائس الماسونية
﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا
جدال في الحج﴾ . اللهم بارك لنا في القرآن الخ الدعاء

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . إحسانه شامل ، وفضله عام ونعمه لا تحصى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا رب سواه ولا إله غيره .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله معلماً وعن الله مبلغاً .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فإن صلاة الجماعة في المساجد من سنن الهدى . ولو ترك الناس سنة نبينهم ﷺ لضلوا . والناس ولله الحمد مقبلون على صلاة الجماعة في كل الأوقات ، وبمناسبة التوسعة الكبيرة وتكاثر الحجاج . تكرر السؤال عن مسائل في الإهتمام أحببت التنبيه عليها :

١ - صلاة بعض المأمومين مع الإمام في مؤخرة المسجد والمسافة طويلة ولم تصل الصفوف ولا يرون بقية المؤمنين .

٢ - الصلاة في السطوح .

٣ - الصلاة خارج المسجد مع الإمام .

٤ - صلاة المنفرد خلف الصف .

فينبغي أن يعلم أنه إذا كان المصلي في المسجد أو السطوح من المسجد والخلوة المسماة البدروم^(١) من المسجد فلا يشترط اتصال الصفوف ولا رؤية من خلف الإمام ، فتصح صلاة مجموعة في مؤخرة المسجد وإن لم تتصل الصفوف ، وتصح الصلاة في السطوح مع الإمام الذي في الأرض وإن لم تتصل الصفوف ، وتصح الصلاة في السطوح مع الإمام الذي في الأرض وإن لم تتصل الصفوف وإن لم يروا من خلف الإمام .

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى بصلاة الإمام على سطح المسجد .

ومع هذا فإن المصلين في سطح المسجد النبوي الشريف يرون المؤمنين في الأرض من خلال الطيق التي في أسفل القباب .

والأمور في المسجد مرتبة منظمة فلو انقطع التيار الكهربائي فذاك عدد من المكائن مرتبة على الكمبيوتر تشتغل خلال جزء بسيط من الثانية كطرفه العين ولو فرض لا سمح الله انقطاع التيار كلياً فإن المبلغين مرتبين . والمسلمون عندهم وعي وإدراك يبلغون تكبير

(١) البدروم: ويسمى في بعض البلدان القبو وهو الدور الذي يأتي تحت الدور الأرضي الأول أي تحت الأرض

الإمام . فالصلاة في السطوح صحيحة ويجب طرد الوسواس وترك الأمور لله وتجنب الفرضيات التي ما وثقت ولن تقع إن شاء الله تعالى .

أما إذا كان المأموم خارج المسجد فيشترط لصحة الصلاة إما اتصال الصفوف ، وإما رؤية من خلف الإمام لإمكان الاقتداء ومعنى اتصال الصفوف ألا يكون بينهما بُعد لم تجر العادة به وأما صلاة المنفرد خلف الصف فإن كان ذكراً لم تصح صلاته ويجب عليه إما أن يدخل في الصف إن وجد فرجة أو يجذب واحداً من الصف ليصطف معه أو ينتظر لا يكبر حتى يأتيه آخر .

وأما المرأة فإنها تكون صفّاً وحدها فتصح صلاتها خلف الصف إذا خرجت إلى الصلاة ، حتى لو أقيمت الصلاة ، لما روي عن رسول الله ﷺ (فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) .

وما يفضل به بعض الناس من الجري والإسراع المفرط والصلاة في الطرقات والممرات ليدرك الركعة خلاف ما جاء في الحديث .

فاتقوا الله أيها المسلمون . وراقبوه واجعلوا أعمالكم موافقة لهدي النبي ﷺ .

ثم اعلموا رحماني الله وإياكم أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه . ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الربا والصرف

هذه محاضرة القيت في المعهد العالي للدعوة الإسلامية يوم الأحد

١٨/٥/١٤٠٤ هـ بعد المغرب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . . وبعد :

الربا : مقصور يكتب بالالف ، وبالواو ، وبالياء .

والربوا : لغة الزيادة كما قال تعالى : ﴿ ... فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج : ٥] أي زادت وعلت وارتفعت .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ... ﴾ [النحل : ٩٢] .

أي : أكثر وازيد عدداً .

وشرعاً : زيادة منهى عنها في المعاملات « كل قرض جر نفعا فهو ربا » .

وحكم الربا : محرم بالكتاب والسنة والإجماع .

وهو كبيرة من الكبائر لأن فيه وعيدا شديداً . كما في الآية ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

ولقوله ﷺ : «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه» ،
وقال : «هم في الإثم سواء» .

والربا من أبشع المعاملات وأعظم الذنوب ، وأخبر النتائج .
فلم يصف القرآن صاحب معصية : كما وصف به المرابي حيث قال
تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ...﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

وما هدد صاحب معصية كما هدد المرابي قال الله تعالى : ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ
لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا
تَظْلَمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ [البقرة الآيتان: ٢٧٨ - ٢٧٩] .

وما توعد على معصية بالتلف والخسار إلا في الربا . الربا
فماله إلى قلة وإن كثر وما جعل صاحب معصية محارباً لله
ورسوله إلا في الربا .

وكل المعاصي أهون من الربا خطراً وأقرب للتوبة ، فإن المرابي
ينبت لحمه ودمه وجمع ما يملك وأولاده وذريته من الربا أي من
السحت وكل جسم نبت من سحت أي من حرام النار أولى به .
فالتوبة صعبة إلا على من هداه الله .

آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يرجح به بطنه فيصرع ،
جزاء له على تلذذه بالربا وارتياح جسمه في هذه الدنيا بالمكسب
الحرام وتركه لأمر الله من أجل تلذذه بالربا ويجمل مظهره ويقوي

جاهه بالربا . فعوقب بسوء المنظر ، وسقوط الحال وكسر النفس ،
فلا يساير ركب البعث إذا خرجوا من الأجداث سراعاً .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

وفي حديث الإسراء ، مرَّ النبي ﷺ برجال بطن كل واحد
منهم كالبيت الضخم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع ، فقال له
جبريل عليه السلام : هؤلاء أكلة الربا .

آكل الربا من حين يفارق الدنيا وهو في عذاب البرزخ ففي
حديث المنام أن النبي ﷺ رأى رجلاً في نهر من دم يسبح فيه وعلى
حافة النهر رجلٌ عنده حجارة كبيرة ، فإذا أراد أن يخرج ذلك
الساحب ألقمه حجراً في فيه فيعود وهكذا . وقال : هذا آكل الربا .

آكل الربا : يعترض على حكم الله بتحريم الربا فهو يستحله .
آكل الربا : لم يرض بما قسم الله له من المكاسب الحلال ،
فأخذ يعمل بالربا .

الربا : يوجب غضب الله ونقمته والمرابي عدو لله ولرسوله
ألا تروونه محارباً لله ولرسوله - والحرب تكون بين الأعداء وما
ظنكم بهزيمة من حارب الله .

انظروا إلى المجتمعات التي تتعامل بالربا وليس فيها من أمر
بمعروف ولا تناه عن منكر ، ولا متنكر ولا متمعر وجهه لله .

نرى ونسمع المصائب والرزايا والبلايا تُصب عليهم صبا تمحق أموالهم وتسحق ديارهم . مصائب في الأخلاق ، وأمراض في الأبدان ، وانهيار في الاقتصاد . . يُضاف إلى ذلك أنواع العذاب في هذه الدنيا الحر الشديد المحرق . والبرد القارص المجمد ، والفيضانات المدمرة ، وتسلب اللصوص والتأميمات عليهم .

ومن العقوبات تفلكتك الأسرة وتبعد أفراد المجتمع ، ففقدوا التآخي وخسروا التعاطف ، وفقدوا لذة الحياة وراحة النفس ، فهم في قلق دائماً .

كل هذا حرب من الله تدمرهم فلا يستطيعون ردها ولا الفرار منها . إن المرايين صرعى من حرب الله لهم ، فقدوا فهم النص الشرعي ، وغفلوا عن تصور الوعيد الشديد . ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

فلو تصور الناس معنى الآية لما حاموا حول الربا .

الحكمة في تحريم الربا :

قال بعض العلماء : إنما هو الاختبار والابتلاء . فحرم الله ما حرم من البيوع ، وأحل ما أحل ليعلم من يطيع ومن يعصي ، ولا يلزم في امتثال الأمر واجتناب النهي معرفة الحكمة أو العلة . فلم يجعل الإنسان في هذه الأرض ليلعب بالمال كيف يشاء ، بل له حدود ، وشروط ، وعليه عهد وميثاق . فمن وافق الشرع فبُشر بالخير ، ومن خالف فهو مردود معاقب عليه .

وقال بعض العلماء : إن التحريم لحكمة ظاهرة :

منها : أن الربا يسد أبواب المكاسب الواسعة ويجعل الأموال تنحصر في أعداد قليلة ، بينما ملايين الناس يُحرّمون من حركة البيع والشراء .

فإذا انحصرت الأموال في عدد قليل أخذ المربون يتحكمون في اقتصاد الناس يرفعون السعر ويخفضونه كيف شاؤوا ويلعبون بالأموال ، ويحتكرون الأرزاق .

والمشاهد أن المربين يتحكمون حتى في السياسة ونظام الحكم في بعض البلدان في الانتخابات وكراسي الحكم والرئاسة .

وأيضاً إن المربي لا يبالي بأي وسيلة يجمع منها المال ولا يعطف على فقير ، فالمشروعات المدمرة للأخلاق ؛ مثل دور السينما والرقص ومؤسسات التمثيل الماجن ، مؤسسوها هم أَكَلَةُ الربا .

المربون لا يريدون للإسلام قوة ولا نشاطاً ولا سلطاناً؛ لأن الإسلام يحرم معاملاتهم ، ويشجب عملهم .

المربون يحطمون الشعوب ، ويفسدون أخلاق البشر ، لتبقى الشعوب ضائعة غاطسة في مستنقع أسس من الربا وفساد الأخلاق ليعدوهم عن مصدر قوتهم وهو الله سبحانه وتعالى .

قال الدكتور (شاخت) الألماني مدير بنك الرايخ الألماني :

«إنه بعملية رياضية غير متناهية يتضح أن جميع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جداً من المرايين . ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية ، بينما المدين معرض للربح والخسارة ، ومن ثم فإن المال في النهاية يصير إلى الذي يربح دائماً» .

وقال : «إن معظم مال الأرض يملكه ملكاً حقيقياً بضعة ألوف أما جميع الملاك وأصحاب المصانع الذين يستدينون من البنوك ، والعمال وغيرهم فهم أجراء يعملون لحساب أصحاب المال» .

وليس هذا وحده هو كل ما للربا من جرائر وأضرار ، بل يؤدي إلى أن المرابي يحبس المال ، ويحبس الإنتاج ؛ لكي يرتفع السعر فيحصل على ربح أكبر ، والمستهلك هو الضحية في معركة الربا وهم الملايين من الناس .

الربا والصدقة متضادان . فالصدقة : إنفاق للمال ، وطاعة لله وتقرباً إليه .

والربا : تحصيل المال بمعصية وقلة خشية ، ولذلك ذكر الربا بعد الصدقة ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٤) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ [البقرة: ٢٧٤، ٢٧٥].

الصدقة : لا تنقص المال بل تبارك فيه «ما نقص مال من صدقة» .

والربا محقوق كمّا وكيفية وبركة (يمحق الله الربا ويربي الصدقات . فالخبث لا يكون طيباً ، والحرام لا يكون حلالاً . وليس من ضرورة للربا لاستحلاله فلا يموت الإنسان اذا لم يرابي ، ولا تنقطع عنه أسباب الزرق إذا لم يرابي ؛ بل البيع الحلال أنفع وأعظم بركة ، وأجمل حالاً وأجلاً وإن قل الربا محقوق وإن كثر .

فالربا خبث ، مدخله ومخرجه . ومهما طلي بطلاء براق ، ومهما أثير حوله من أعذار ، فإن الميزان هو ميزان الشريعة ، وليس للآراء والاستحسانات قول مع نصوص الشريعة لأنها تنزيل من خالق الإنسان الذي يعلم سر الأمور ومراميها ، وإنما هو ابتلاء واختبار ينظر من الذي يقدم الرغبة في كثير المال على طاعة الله . ومن الذي يفادي بكل غال ونفيس في سبيل طاعة الله ، وفي سبيل الله .

والإنسان لم يترك في هذه الحياة مهماً ، وإنما عليه دواوين وحفظة وكتبة والله مطلع يسمع ويرى فيعاقب العاصي ، ويثيب المطيع .

والإسلام حينما حرم الربا لم يترك الناس بدون توجيه ، بل أرشدهم إلى أفضل المكاسب وأطيب المعاش ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ

وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴿ [البقرة: ٢٧٥] .

وما يُثار في الأوساط الاقتصادية بقول : أن الربا يقوي الاقتصاد ، وأن الاقتصاد لا يصلح الآن أن يقوم على نظام الإسلام . فإنَّما هي دعايات كاذبة ، وإرجافات من أعداء المسلمين ، ودسائس من عدونا المبين لإيقاف النفوذ الإسلامي .

ومتى اعتمد المسلمون على ربهم ، وفتحوا أبواب البيع الحلال ، وطرق الكسب الطيب ، وتقوية الحركة التجارية على نظام الإسلام ، وترك الربا ، فإن الله سيعوضها خيراً مما تركت من أجله ويعينها على أعدائها ، ويبارك لها في اقتصادها ، والمجال مفتوح أمام المسلمين في إقامة نظام اقتصادي إسلامي طاهر رشيد .

وحيث عرفنا حكم الربا وأضرار الربا وأخطاره ، فينبغي أن نعرف المعاملات الربوية ؛ لتجنبها .

القاعدة في مسائل الربا ما روي في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال : الذهب بالذهب ، والورق بالورق - أي الفضة - ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلاً بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد .

فكل مكيل وموزون ، فهو ربوي لا يباح بجنسه إلا متساوي ويداً بيد مثل ذهب بذهب وبر ببر .

فإذا اختلف الجنس ، جاز التفاضل إذا كان يداً بيد ، إلا ما

يستثنى من ذلك وهو مسألة السلم والعرايا .

وسواء كان المكييل والموزون قوتاً أو غير قوت ، مأكولاً أو غير مأكول .

والعبرة بالمكييل والوزن ما كان في عهد رسول الله ﷺ مكييل ، أو موزون فهو ربوي ، وإن ترك وزنه الآن ، وما لم يكن كذلك فليس بربوي ككييل أو وزن مثلاً البطيخ والقرع والرمان والحيوان والثياب وما أشبه ذلك لم تكن مكيلات ولا موزونات ، فليست ربوية .

والجنس اسم خاص تحته أنواع مختلفة بأنواعها .

والنوع : اسم لأشياء مختلفة بأشخاصها ، وفرع الأجناس أجناس مثل الدقيق فلا بد من التماثل . والتساوي بين أنواع الجنس الواحد في البيع واجب ، فإذا جهل التساوي فكالعلم بالتفاضل .

ولذلك حرمت المحاقلة وهي بيع الحب في سنبله في الحقل .

والمزابنة : وهي بيع الرطب في رؤوس النخل بتمر ؛ لعدم العلم بالتساوي . وبيع الرطب من التمر أو غيره بجنسه يابساً لأنه ينقص اذا يبس ، ولكن يبيع ما رغب عنه بيع آخر بجنس آخر أو بنقد ، ويشترى ما رغب مه .

بعث النبي ﷺ عاملاً على خيبر فقد بتمر جنيب أي جيد ، فقال عليه الصلاة والسلام : «أكل تمر خيبر هكذا؟ قال : لا والله يا رسول الله إنما نشترى الصاع بالصاعين من من الجمع ، فقال عليه

الصلاة والسلام : « لا تفعلوا ، ولكن مثلاً بمثل ، أو تبيعوا هذا واشتروا بثمنه من هذا وكذلك الميزان » رواه مسلم .

ولا يباع جنس بجنسه ، ومع أحدهما غيره كبيع الذهب بالفصوص لوزنه ذهبياً ؛ لعدم التماثل ، وإنما يباع بفضة .

والسلم مستثنى من القاعدة العامة في الربا . نظر إلى مسيس الحاجة إليه ، فأبيح السلم بشروط ، وهو عقد إلى أجل على موصوف في الذمة بثمن مقبوض في العقد .

ويشترط للسلم ما يشترط للبيع إلا أنه يجوز على معدوم :

١ - أن يكون أحد العوضين نقداً .

٢ - أن يقبض رأس مال السلم في المجلس (أي مجلس البيع) .

٣ - أن يكون إلى أجل له وقع في الثمن .

٤ - أن يكون المسلم فيه موصوفاً في الذمة لتمييز عن غيره .

٥ - أن يكون موجوداً وقت الحلول .

كما أبيحت العرايا مستثناة من المزابنة للحاجة بشروطها :

أ - أن يكون المشتري محتاجاً إلى الرطب وليس عنده ما يشتري به إلا تمرأ .

ب - أن يكون في أقل من خمسة أوسق .

ج - أن يأكله رطباً فإن تركه حتى ييبس لم يصح .

د- الحلول والقبض قبل التفرق .

وسدت الذرائع والحيل التي توصل إلى الربا :

١ - حرمت العيبة .

٢ - بيع الدين بالدين ، بأن يجعل رأس مال السلم ديناً في الذمة وهو بيع الكالئ بالكالئ .

٣ - كل قرض جر نفعا فهو ربا .

المصارفة : بيع نقد بنقد سواء اتحد الجنس أو اختلف ، وتصح بشروط :

١ - وجوب التماثل في الجنس الواحد ، ويجوز التفاضل بين جنسين بشرط التقابض .

٢ - الحلول والتقابض قبل التفرق . فإن تفرقا قبل القبض أو أحدهما بطل العقد ، ويجوز المصارفة لما في الذم وهي المحاصة والله أعلم وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان .

عبدالله بن محمد بن زاحم

مشروعية الصيام

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . . وبعد :

فأقدم لك أخي القارئ الكريم هذا الحديث عن قاعدة من قواعد الإسلام وشرعة من شرائع الله . لها عمق في التاريخ ولها تأثير في إصلاح النفس والروح والبدن . . إنه «الصيام» .

إن الحديث عن الصيام يعطي النفس قوة وعزيمة ويكسبها رغبة ورهبة . ويلبسها ثوب هدى وتقوى ؛ لأن الصيام يصل بحبل الله المتين والعروة الوثقى . فما بالك أيها المسلم بالصيام وآثاره .

وسأتناول في حديثي هذا - إن شاء الله تعالى - :

- تعريف الصيام .
- تاريخ الصيام .
- حكم الصيام في الإسلام .
- حكمة الصيام .
- فوائد الصيام .
- فضل شهر رمضان .
- الأعذار المبيحة للفتور .
- مبطلات الصيام .

١ - تعريف الصيام:

الصيام لغة : مطلق الإمساك عن الشيء . وهو مصدر صام يصوم فيُقال : صام عن الكلام إذا أمسك عنه . ﴿ فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [٢٦] ﴿ [مريم: ٢٦] .

ويقال خيلٌ صيامٌ : أي ممسكة عن الجري كمال قال النابغة

خيل صيام وأخرى غير صائمة

تحت العجاج وأخرى تملك اللجما

وأما في الشرع : فالصيام هو : الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

٢ - تاريخ الصيام:

الصيام من العبادات الأساسية في الشرائع . قد فرضَ على الأمم التي قبلنا من لدن آدم عليه السلام ، ثم آخرها هذه الأمة المحمدية على نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

فلم يكن الصوم خاصاً بهذه الأمة وحدها . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

وأما صفة صوم من قبلنا ، فلم أطلع فيه على نص من الرسول ﷺ ، فإذا علم المسلم بأن الصيام فرض على من قبلنا كان أقوى لعزيمته في تحمل المشقة ومقاومة شهوات البدن والفرج في نهار الصيام طاعة لله وطاعة لرسوله ﷺ .

يضاف إلى أنه مفروض على من قبلنا أنه أيام معدودات . فليس كل العمر . ولا أكثره . وليس كل أيام السنة . بل هي أيام قليلة بالنسبة إلى أيام العام . فهو شهر واحد من اثني عشر شهراً . فذلك أدعى للانقياد والتسليم والامتثال . فضل من الله ورحمة .

وكان أول ما فرض صيام شهر رمضان لوحظ فيه التدرج تسهياً على النفوس ؛ لأن الصيام فيه مشقة . فالأخذ بالتدرج فيه أسهل على النفوس .

فكان أول ما فرض يخير الذي يطيق الصيام بين الصيام ، وبين الإطعام كل يوم مسكيناً ، ومن زاد فهو خير له ، مع الترغيب في الصوم وتفضيله على الفطر .

مع الرخصة للمسافر والمريض أن يفطرا ويقضيا في أيام آخر .

قال تعالى : ﴿ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً

فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ [البقرة:

١٨٤].

٣ - أما حكم الصيام في دين الإسلام:

فهو فرض عين على كل مسلم مكلف ، أي بالغ عاقل يطيقه سواء كان ذكراً أو أنثى ، بل الصيام ركن من أركان الإسلام لا يتم إسلام المرء إلا بالصيام ، فلا تصلح الصلاة إلا بالصيام ولا تصلح الزكاة إلا بالصلاة ، ولا يصلح شيء من شرائع الإسلام إلا بالركن الأساس (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ) . مع تحقيق ذلك .

ويستحب أن يُمرَّن الصبي - إذا راهق البلوغ وقرب من التكليف على الصيام . حتى إذا وجب عليه يكون قد تمرن فلا يشق عليه ولا يهمله .

٤ - أما حكمة فريضة الصيام :

فإن الفرائض لا تعلق بما يظهر للإنسان من آثار محسوسة . ومنافع موجودة ؛ إذ المقصود امتثال الأمر واجتناب النهي طاعة لله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

ولكن من آثار الحكمة الإلهية في الصيام : قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ؛ فالصيام يورث التقوى ويرقق الطباع ويهذب النفوس ؛ لأنه يكسر الشهوات ويمنع الأشر والبطر والفواحش ويُهون لذات الدنيا وزخارفها ، فالصيام جامع لأسباب التقوى .

والتقوى هي التي تحرس القلب والجوارح من الطغيان والفساد فإذا استطاع أن يسيطر على شهوات بطنه وفرجه بالصيام فهو على باقي الشهوات أقدر .

٥ - أما فوائد الصيام :

فإن الصيام يصل المسلم بربه ويرفع معنويته ويطهر النفس ويزكيها ويحط الذنوب ويرفع الدرجات وثوابه لا يقدر بقدر محدود ويكسب النفس فرحة وحيوية وستراً من الآفات والآثام .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي . للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه . وخلقوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والصيام جنة وإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله أحد فليقل إنني امرؤ صائم » .

وفي الصيام فوائد صحية واجتماعية :

أما الصحة :

فله تأثير كبير في إصلاح البدن والأجهزة العاملة فيه ، فهو يعطيها إجازة لترتاح من العمل الدائب الشاق طوال السنة لاستتعيد قوتها ونشاطها .

وقد أثبت الطب الحديث أن الحمية لها تأثير فعال في العلاج .
ألا تنظر إلى المريض يدخل المستشفى ويمنع عن كثير من المأكولات والمشروبات مدة من الزمن ، وينحصر السماح له في أنواع مخصوصة وبمقادير معلومة . والصيام يخفف الوزن ويصفي الدم وينقي الأمعاء ، كما أن الإسراف في الأكل والشرب سبب للأمراض وإرهاق الجهاز الهضمي ، فإذا ضعف ضعفت جميع الأجهزة تتداعى له بالسهر والحمى .

ويقول الحكماء : المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء .

وقد نهى الله تعالى عن الإسراف وعن الشبع الذي يعود بالضرر على الإنسان فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وبين ﷺ حد الاعتدال والإسراف كما في الحديث عنه أنه قال : « ما ملأ ابن آدم وعاد شراً من بطن . بحسب ابن آدم أكيات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة - وفي رواية - : فإن غلبت الآدمي »

نفسه فتلت طعامه وتلت لشرابه وتلت لنفسه .

فهذا هو الحد الأعلى للاعتدال ما زاد عنه فهو إسراف وبطنة
تعود على الإنسان بالضرر والأسقام .

وأما الفوائد الاجتماعية :

فإن الصيام يذكر الأغنياء بأحوال إخوانهم الفقراء والأيتام
والأرامل فهو في أيام الصيام يحس بما يحسون به من الجوع والحاجة
إلى الطعام والشراب البارد طوال أيام السنة ، فيعطف عليهم
ويواسيهم من ماله الذي آتاه الله .

وفيه أيضاً : توحيد للحالة الاجتماعية بين الناس ، فكلهم في
طبقة واحدة تحتاج إلى الطعام والشراب . وكلهم واحد في شرع
الله . لا يتميز الشريف ولا الغني عن غيرهما من الناس فالكل عبيد
لله ويطالبون بإقامة شرائع الله .

وفي الصوم كبح لشهوات النفس وكسر بشريتها ، فلا يظلم
أحد أحداً . ولا يتكبر أحد على أحد . أما الشبع والإسراف فهو
ضد ذلك .

روى البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت :
«أول بلاءٍ حدث في هذه الأمة بعد نبينا : الشبع ، فإن القوم لما شبع
بطونهم سمت أبدانهم فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم» .

وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال : «من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت» .

فالصيام إذاً يحث على الصلة وفعل الخير والبر بالأقارب والجيران والعطف على المحتاجين .

٦ - وأما فضل شهر رمضان :

فناهيك بشهر الصبر والمغفرة والرضوان إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصُفدت مردة الشياطين .

وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر اقصر . ولله في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار .

وهو شهر مبارك يفيض الله فيه على عباده المؤمنين من النفحات والكرامات والمغفرة والرضوان . وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم الخير الكثير ، ما يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا استجيب له ما لم يكن إثماً أو قطعية .

جعل الله صيام رمضان فريضة ، وقيام ليلة تطوعاً . من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه .

وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة .

يزاد فيه رزق المؤمن . من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص أجره شيء . إنه شهر مبارك أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار . وكان ﷺ إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل والجنة تزخر من الحول إلى الحول لشهر رمضان وفي آخر ليلة من رمضان يغفر لأمة محمد ﷺ وإنما يوفى العامل أجره إذا قضى عمله .

ويستحب الإكثار من نوافل الصلاة في رمضان وخاصة التراويح ، والتهجد في العشر الأواخر منه اقتداءً بالنبي ﷺ فإنه كان إذا دخل العشر الأواخر شد مثزره وأحيا ليلة وأيقظ أهله .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

٧ - أعذار الفطر : ثلاثة ؛ السفر ، المرض ، والحيض والنفاس .

١ - المسافر - مخير بين الطعام والفطر إذا لم يشق عليه الصيام ؛ لأنه ﷺ خير حمزة الأسلمي ، فقال : «إن شئت فصم وإن شئت فافطر» والأخذ بالرخصة أفضل .

أمّا إن شق عليه الصيام ، أو كان في عمل للمسلمين يتطلب القوة والعمل فليس الصيام إذاً من البر . بل الفطر هو البر ؛ لقوله ﷺ : « ليس من البر الصيام في السفر » . . وقوله : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » . وقوله : « أولئك العصاة أولئك العصاة للذين لم يفطروا مع شدة الحر وحاجاتهم إلى الفطر لانهم مقبلون على العدو ولأن النبي ﷺ أفطر وأمر بالفطر » فإذا أفطر قضى عدة ما أفطر من أيام آخر ولا يشترط التتابع ولا الفور لكن لا يؤخره حتى يدركه رمضان آخر . والأولى أن يقضيه فور إقامته ؛ لأنه دين في ذمته ودين الله أحق بالوفاء .

ومتى استقر المسافر في بلد ونوى الإقامة أكثر من أربعة أيام زال عنه حكم السفر وصار مقيماً يلزمه الصوم ؛ لقوله تعالى : ﴿... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ...﴾ [البقرة: ١٨٥] . قال نوى الإقامة ولم يكن على سفر .

٢ - المريض :

وحد المرض المبيح للفطر هو الذي لا يستطيع معه الصيام أو يزيده الصيام مرضاً أو مضاعفات ، وهو نوعان :

الأول : مرض يرجى برؤه كالكبير في السن والمريض مرضاً مزمناً لا يرجى برؤه فيفطر ويقضي عدة ما أفطر في أيام آخر .

والثاني : مرض لا يُرجى برؤه ؛ كالكبر في السن والمريض مرضاً مزمناً لا يُرجى برؤه فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً فإن زاد في الإطعام فهو خير له والحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أفطرتا وقضتا كالمريض الذي يرجى برؤه .

٣ - الحائض والنفساء:

لا يصح منهما الصوم ، ولا يحل لهما أن تصوما بل تفطرا وتقضيان عدة ما أفطرتا من أيام أخر .

٨ - مبطلات الصيام :

١ - من أكل أو شرب في نهار الصيام من غير عذر متعمداً ذاكراً لصومه ، أثم ولزمه الإمساك والقضاء والتوبة إلى الله تبارك وتعالى .

٢ - الجماع : من جامع في نهار رمضان فسد صومه ووجب عليه القضاء والكفارة . والمرأة إذا كانت مطاوعة كذلك . والكفارة عتق رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً وفي غير رمضان لا كفارة فيه .

٣- إنزال المني في غير جماع : يوجب القضاء سواء حصل بمباشرة أو تقييل أو استمناء التي يسمونها العادة السرية وهي حرام . أما إذا احتلم وهو نائم فأنزل فصومه صحيح ولا شيء عليه .

٤- القيء : وهو إخراج ما في المعدة من طريق الفهم . إذا استقاء الصائم فأقواء فسد صومه وعليه القضاء . أما إن غلبه القيء فلا شيء عليه .

هذا ما تيسر ذكره . أرجو الله أن ينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه الفقير إلى الله

عبدالله بن محمد بن زاحم

١٤٠٢/٨/١٠هـ

فضل ليلة القدر

إن الكلام عن ليلة القدر، تلك الليلة المباركة الموعودة المشهورة لا يعطيها حقها ولا يستطيع إنسان أن يعبر عن حقيقتها .

والقرآن الكريم ذكر تلك الليلة في موضعين فيه :

الأول : في مستهل سورة الدخان : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) ﴾ [الدخان : ١ - ٦] .

والثاني : سورة كاملة هي سورة القدر ، وهي قوله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾ [القدر : ١ - ٥] .

فهذه الآيات القرآنية التي تحدثت عن ليلة القدر تبعت الفرح والغبطة في النفس المؤمنة بتلك الليلة ليلة الاتصال من الأرض والملا الأعلى . ليلة الحدث الأكبر الذي لم تشهد الأرض مثله في حياة البشر فقد أنزل فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ

إلى بيت العزة في السماء الدنيا وابتدأ نزوله منجماً إلى الأرض
على نبينا محمد ﷺ في ليلة القدر ، ثم تتابع على حسب الوقائع
ومتطلبات التشريع واستعداد المؤمنين لاستقباله والعمل به ، يعالج
المشاكل الاجتماعية والقضايا السياسية وينظم الصفوف الحربية
ويصل الإنسان بخالق الإنسان ، ويربط الإنسان بالإنسان وينظم
حياة البشر في كل المجالات على مستوى رفيع طاهر نظيف وفي
تلك الليلة يُفرَق كل أمر حكيم ، تقضي فيها الأمور وتقدر فيها
الآجال والأرزاق .

وآيات القرآن الكريم في سورة القدر تشير إلى الأنوار التي
تختص بها تلك الليلة نور القرآن المشرق الذي نزل فيها فأضاء
الوجود بالروحانية والإيمان فحجب السماء عن مسترقي السمع .

ونور الملائكة التي تنزل مع تلك الليلة تغدوا وتروح بين
السماء والأرض . وتجول في أرجاء الأرض ستمعون لتلاوة القرآن
وتحف حلق الذكر بأجنحتها وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات وتشر
السلام والأمن والاطمئنان في كل أطراف الأرض على المؤمنين .

وتشير سورة القدر إلى أن هناك معاني خفية ومدلولات
عظيمة خارجة عن إدراك البشر وعن طاقتهم ، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ
الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) ﴾ [القدر: ٢ - ٣] .

أي : خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وألف شهر

تقابل ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة شهور .

ذكر الإمام الحافظ بن كثير في تفسيره في سبب نزول سورة
القدر عن مجاهد - رحمه الله - أن الرسول ﷺ ذكر رجلاً من بني
إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من
ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ .

وليلة القدر من خصوصيات هذه الأمة المحمدية تكريماً لها
ولنبينا محمد ﷺ وإظهاراً لفضلها على الأمم ؛ لأن الأمم التي قبلنا
أعمارهم أطول فيحصل لهم من طول العبادة خير كثير ، وأمة
محمد ﷺ هي أقصر الأمم إعماراً فأعطيت تلك الليلة التي هي خير
من ألف شهر لتسبق بها من قبلها . قال عليه الصلاة والسلام :
«نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب قبلنا»
متفق عليه .

أما وقت نزول ليلة القدر :

لقد نصت الأحاديث الصحيحة أنها في شهر رمضان ، وأنها
في الوتر من العشر الأواخر : أي ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ .

وهل هي ثابتة في ليلة معينة دائماً أو أنها قد تنتقل في أوتار
العشر ، لننظر في النصوص الشرعية عن المصطفى ﷺ ، فقد دلَّ
حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - المتفق عليه أنها حصلت
في عهد رسول الله ﷺ في ليلة ٢١ حيث سجد في صبيحتها في

ماء وطين .

ودلّ حديث عبد الله بن أنيس عند مسلم أنها حصلت في ليلة
ثلاث وعشرين .

ودلّ حديث زر بن حبيش عند مسلم أنها ليلة سبع وعشرين .
واستدلّ عليها بطلوع شمس ذلك اليوم ولا شعاع عليها .

فهذه الأحاديث دليل لمن قال أنها تنتقل في العشر الأواخر
وليست ليلة ثابتة دائماً . وليلة القدر باقية إلى يوم القيامة ولكنها قد
ترفع عن ليلة من أجل سبب من الأسباب يحدثه بنو آدم .
ومن فضلها :

إن من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ولا
يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بدعاء ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم إلا
استجيب له .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال ﷺ : «من صام
رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً
 واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر
له ما تقدم من ذنبه » متفق عليه .

وكان ﷺ يتحرى ليلة القدر ، وأوصى أهله والمؤمنين بتحريها
لما فيها من الخير العظيم والبركة والنفحات الربانية والإفاضات

● تقدم في الجواب الأول الإشارة إلى شيء من ذلك .
فالقرآن نزل في شهر رمضان . على نبينا محمد ﷺ في ليلة القدر
الليلة المباركة ، فقد سئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن
قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّا
أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وقد أنزل
في شوال ، وفي ذي القعدة ، وفي ذي الحجة ، وفي المحرم ، فقال
رضي الله عنه : « إن القرآن أنزل في شهر رمضان في ليلة القدر
وفي ليلة مباركة جعله واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيباً
في الشهور والأيام » .

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال : « أنزل القرآن في شهر
رمضان في ليلة القدر إلى هذه السماء الدنيا جملة واحدة » . فقد
أوضح ترجمان القرآن - رضي الله عنه - معنى إنزال القرآن في
شهر رمضان وفي ليلة مباركة . وفي ليلة القدر فلا إشكال والأمر
واضح ولله الحمد والشكر .

● إن الإسلام لا ينظر إلى الشكليات المجردة من الروحانية
ولا إلى الأجسام الخالية من الخشوع ولا إلى الأعمال المجردة من
وحدانية الله فيها ولا إلى العبادات التي لم تكن من هدي نبينا
محمد ﷺ ولا من سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، ولذا

قال ﷺ : «ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» .

فلا بد أن يكون القيام والعمل والقول مرتبط بالوحدانية لله في كل عبادة وقربه وإرادة وجه الله تعالى بالقيام والعبادة مجردة من الشوائب مع الرغبة فيما عند الله من الأجر والثواب والإيقان بالإجابة ليجمع بين الإيمان والاحتساب ، والإسلام دائماً مرتبط في تربيته وتعليمه وتوجيهاته بين العبادة والتوحيد لله «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» .

● ومقدماتها وآثارها في الوجود :

فقد روى أبو داود الطيالسي بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ في ليلة القدر : «سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء أي لا شعاع لها» .

وفي حديث ابن أبي عاصم عن جابر قال : كأن فيها قمراً لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها وهي من غروب الشمس تلك الليلة إلى طلوع الفجر .

وقيل : إن من علامتها أنه لا يرمى فيها بنجم وتتدلى أغصان الشجر إلى الأرض ولا ينبع فيها كلب ولعل هذا عند ساعة نزولها . والإنسان الذي يحرص على ليلة القدر يحيي ليلتها بالهدوء والاطمئنان في النفس والراحة في الضمير والرقعة في الطبع

والخشوع في العمل والحرص على طلب الخير وقابليته للعبادة
وتحملة للمشقة .

● أفضل الأعمال التي تعمل فيها :

سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ
فقالت : «إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال : قولي : اللهم إنك
عفو تحب العفو فأعفو عني » ويجب الإكثار من نوافل العبادات مثل
الصلاة ، والصدقة ، وتلاوة القرآن الكريم ، والذكر المأثور
بأنواعه .

والتفرغ لذلك فإن النبي ﷺ : كان إذا دخل العشر جد
واجتهد وشد مئزره وأحيا ليله وكان يعتكف في المسجد من أول
الليلة الحادية والعشرين حتى طلوع الفجر يوم العيد لا يخرج منه إلا
لحاجة الإنسان ولا يشتغل بشيء من أمور الدنيا .

● الأصل في اتجاه المسلمين إلى العمرة في رمضان :

حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين
وغيرهما : «أن رسول الله ﷺ قال لامرأة من الأنصار : ما منعك
أن تجيئي معنا؟ فقالت : كان لنا ناضح فركبه أبو فلان ، تريد
زوجها وأمها وترك لنا ناضح ، ننضح عليه . قال عليه الصلاة
والسلام : «إذا كان رمضان فاعتمري فيه فإن عمرة في رمضان
تعادل حجة» . وفي رواية مسلم : « فإن عمرة في رمضان تعادل

حجة معي» .

ولأن العمل يضاعف أجره بحسب فضل الزمان والمكان وشهر رمضان شهر مبارك مفضل من أدّى فيه فريضة كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه ومن أدّى فيه نافلة كان كمن أدّى فريضة فيما سواه . ولم أر ما يدل على أن النبي ﷺ اعتمر في رمضان وعام الفتح دخل النبي ﷺ مكة حلالاً غير محرم ، ثم اعتمر في شهر ذي القعدة من الجعرانة .

● وهل العمرة في رمضان أفضل ؟ أم الاشتغال بالصلاة والقراءة والعبادات؟

قال بعض العلماء : العمرة أفضل وإنما لم يعتمر ﷺ في نهار رمضان تسهيلاً لأمته .

وقال آخرون : بل الاشتغال بالعبادة وما هو أكثر عملاً وأهم من العمرة أفضل ، بل إنه ﷺ لم يعتمر في رمضان ولو كانت العمرة أفضل لقدم الأفضل .

وأما تخصيص بعض الناس ليلة سبع وعشرين من رمضان بالعمرة فهو اجتهاد منهم لأن تلك الليلة مباركة في شهر مبارك وبلد مبارك .

والذي يظهر أن التفرغ للعبادة في العشر الأواخر من رمضان

بما فيها ليلة سبع وعشرين أفضل من العمرة اقتداءً بالنبي ﷺ ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام إذا دخل العشر جد واجتهد وشد المئزر وأيقظ أهله .

والعمرة تحتاج إلى سفر وقد يفوته من العبادات ما هو أفضل من السفر إلى العمرة ، ولأن السفر فيه مشقة فقد يكسل عن العبادة باقي تلك الليلة والمشروع قيام ليلي العشر للعبادة ومناجاة الله .
وقد يحصل من المسافر ما يخل بالآداب في العشر ، لذلك فإن التفرغ للعبادة أفضل من السفر إلى العمرة في العشر الأواخر .

تتمة في الصيام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

الصيام والجهاد أخوان كلاهما يفيد تقرير منهج الله ، وتثبيت إرادته الشرعية في خلقه . فالجهاد بذل الطاقة لكف أعداء الإسلام عن طريق الدعوة وردهم إلى حكم العدل . وقتال المعاند ليخضع لحكم الله وإرادته .

والصيام جهاد النفس وكفها عن شهوات البطن والفرج المباحة في نهار الصيام طاعة لله وانقياداً لحكمة .

ولما كان التكليف شاقاً على النفس ، والمشرع تعالى عليم بضعف الإنسان وطبيعته . جعل في فرض الصيام أسلوباً حكيماً يقود النفس المسلمة إلى القبول والانقياد والرضى والاحتساب .

وذلك واضح في نص القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى

سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخِرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَان فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴿ [البقرة] .

فهذه خمسة اعتبارات نصت عليها الآيات :

١ - التأسّي والاقْتداء : فهو يقوي عزيمة الإنسان . فإذا علم
المسلم أن الصيام عبادة مشروعة على الأمة التي قبل هذه الأمة
فحملوها . كان ذلك حافزاً له على تلقي فريضة الصيام بالرضى
والقبول .

٢ - ذكر الأيام التي فرض فيها الصيام ، وأنها قليلة بالنسبة لأيام
السنة ، فإنما هي أيام معدودات . وليست كل أيام السنة ولا
نصفها . وفي النهار دون الليل . فإذا علم المسلم أيام الصيام
قليلة جزء من اثني عشر جزء من السنة . وباقي الأيام حل له ،
سهل عليه الصيام .

٣ - التيسير في التشريع ورفع الشقة . فإذا علم المسلم أنه
مرخص له في الفطر إذا ضرب في الأرض ليحصل معاشه
ومصالحه . ومرخص له في الوقت الذي يشق عليه الصيام
لمرض ونحوه . حث نفسه لتلقي الفريضة بالرغبة والاطمئنان .

٤ - التدريج في فريضة الصيام . فكان أول ما فرض الصيام خير

القادر بين الصيام وبين إطعام مسكين عن كل يوم ، وذلك لترويض النفس ولمراعاة جانب الضعف في الإنسان . إذ صرف النفس عن طبعها أمر ليس بالهين ، فلا بد من أخذها بالحكمة ، لئلا تنفر فتهلك .

٥ - الترغيب في أعلى صفات المسلم التقوى ؛ فالصيام سبب للتقوى ؛ لأنه يرقق الطبع . ويهذب النفس ، ويصفي الأخلاق ويضيق مجاري الشيطان في البدن . فإذا عرف المسلم أن الصيام يوصل للتقوى أداه برغبة واقبل عليه باحتساب وللتقوى نفوذ بالغ في قلب الإنسان وجوارحه فهي تحرسها من تعدي حدود الله . ومن الوقوع في معصية الله .

وكفي بالصيام فضل أن الله تعالى أضافه لنفسه . فلم يتعبد أحد بالصيام غير الله . فلم يعظم الكفار والوثنيون في عصر من العصور معبوداً لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر . والذبح والنذر . وسائر القرابين المالية .

ولأن الصوم بعيد عن الرياء لخفائه فهو خفي وسري بين العبد وربّه . فكان ثوابه لم يحدد بمقدار معلوم لا بعشرة أضعاف ولا بسبعمائة ضعف وإنما يتولاه الواحد الكريم سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّمَا يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله قال الله

عز وجل «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به .
والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يؤذ ولا
يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرئ صائم والذي نفس
محمد بيده لخلاف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح
المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه
فرح بصومه » . ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني
أمرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلاف فم الصائم أطيب
عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان إذا أفطر فرح
بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه .

وفي رواية عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : كل عمل
ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله
عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه
وشرابه من أجلي .

لقد أظلنا أيها القارئ الكريم خير الشهور وأفضلها واعزها
على الله وأكرمها فاستقبلوه بالبشر والسرور فإنه ضيف خفيف
الظل سيحل ويرحل سريعاً مثل الأعوام السابقة .

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يسألون ستة أشهر أن
يبلغهم رمضان فإذا صاموه سألوا الله ستة أشهر أن يتقبل منهم .
تلقوا شهركم بالعزيمة والنية الصادقة على صيامه وقيامه ما تيسر

من ليله فإن صيامه وقيام ليله يكفران جميع الذنوب وسبب لدخول الجنة . ففي الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون) وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) .

إخواني في الله : خذوا من صحتكم لمرضكم ومن فراغكم لشغلكم ومن غناكم لفقركم ومن حياتكم لموتكم .

فكم من مسلم أدركه الاجل قبل شهر رمضان وكم من مسلم تمنى صيامه وقيامه فمنعه المرض وكم من مسلم اشغلته دنياه عن مناجاة مولاه وكم من انسان استحوذ ابليس فهو في الأرض حيران . واشكروا ربكم على نعمة الإسلام اللهم لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ، اللهم سلمنا لرمضان وأعنا على صيامه وقيامه وتسلمه منا مقبولاً وارحمنا برحمتك واغفر لنا ذنوبنا واعتقنا من النار . . وصلى الله وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى اله وصحبه . .

عبدالله بن محمد بن زاحم

عن كلمة خادم الحرمين الشريفين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

فقد سمعت من وسائل الإعلام . وقرأت في بعض الصحف
كلمة خادم الحرمين الشريفين التي ارتجلها حفظه الله أمام المواطنين
من أهالي المدينة المنورة والعلماء وطلاب العلم الحاضرين .

والحق يقال : إنها كلمة توجيهية ضافية شاملة تحمل في طياتها
النصح لرعيته والتوجيه لشعبه .

وهي دليل على حرصه على قبول النصيحة والمفاهمة
والمشاورة والتعاون على البر والتقوى والتمسك بتعاليم الكتاب
والسنة ؛ لأن هذه البلاد حكومتها وشعبها مؤمنون بالله متمسكون
بالعقيدة الصحيحة .

ولفتاً لنظار حفظه الله إلى النعم الكبرى التي ترفل فيها هذه
البلاد . نعمة الإسلام ، ونعمة الأمن ، ونعمة التأخي بينما بعض
البلدان الأخرى كما هو معلوم فيها ما فيها فهذه البلاد محسودة
على نعم الله ويجب على أبناء هذه المملكة الانتباه إلى ما يراد بهم
وأخذ الحذر من الدسائس والوساوس ، التي يبيتها الأعداء حسداً
من عند أنفسهم ، وأن المنابر إنما هي لقول العدل والحق والتألف

والتراحم والدعوة إلى جمع الكلمة وتوحيد الهدف والصف .
وحذر حفظه الله من استقلال المنابر والنوادي والتسجيلات
والتجمعات لخدمة الأعداء . وإثارة الشغب والخلافات ونشر
الفوضى والدعايات .

وأخبر حفظه الله أن للعلماء مكانة عالية في الدولة وأن كلمة
الحق والنصح مسموعة . وأن الأبواب مفتوحة للناهجين لتحقيق
المصلحة العامة والتعاون على البر والتقوى على وفق كتاب الله
وسنة رسوله ﷺ كما درج على ذلك أهل هذه البلاد .

وكلمة خادم الحرمين الشريفين أيده الله بتوفيقه ورعايته ،
دليل على أنه مطلع على الأحوال في الداخل والخارج ، وأنه متفهم
الأوضاع جيداً .

ولا غرابة في ذلك ، فإن الملك فهد بن عبد العزيز نشأ في دار
عبادة وتقوى ومراقبة لله وحنكة وسياسة وتحمل أعباء عدة مناصب
قيادية وجرب الأمور ومرت عليه حالات متغيرة ، ودليل على
القتوى . والتوكل على الله ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً .
ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

اللهم احفظ علينا نعمك وزدنا من فضلك وارزقنا شكر

آلائك .

اللهم من أرادنا أو أراد ديننا أو بلادنا أو حكومتنا بسوء فاشغله
في نفسه . ورد كيده في نحره وأحرقه بغيظه ، ومزقه بحسده
وسلط عليه جندك .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .
وصلّى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

عبدالله بن محمد بن زاحم

* * *

العام الهجري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

فسبحان مسخر الليل والنهار . وسخر الشمس والقمر .

والحمد لله الذي هدانا للإسلام . ومن علينا باتباع خير البشر
محمد بن عبد الله ﷺ .

والحمد لله الذي كرمنا وفضلنا على كثير من المخلوقات .

الحمد لله الذي جعل الدنيا مزرعة للآخرة . وجعل للأنفس
أجلاً محتومة ، فلو لا هذه الآجال لضاقت الأرض بسكانها .

أخي القارئ : ودّعنا عاماً مضى وطويت صحائفه بما فيها من
أعمال بني آدم . من حسنات وسيئات . ومن حسن وقبيح .
واستقبلنا عاماً جديداً لازالت صحائفه ناصعة البياض يسطر فيها
أعمال كل فرد وأقواله . فتأمل أخي القارئ في أفعالك وحاسب
نفسك على أقوالك : ﴿من عمل صالحاً فلنفسه وما أساء فعملها وما
ربك بظلام للعبيد﴾ .

سبحان الحي القيوم بمرور الليالي والأيام تنقضي الآجال .
وبتعاقب الليل والنهار يسير المرء إلى الآخرة . والإنسان في هذه
الحياة مسافر على مطايا الزمن يوشك أن يصل إلى المستقر .

فيجب علينا أن نأخذ من الماضي عبراً ومواعظ . وتعليماً
ودروساً وترتبية .

يجب على الأمة المسلمة أن تظن لما يراد بها وأن تقابل الأفعال
بالأقوال . يجب على الأمة المسلمة أن تتلافى الأخطاء التي فرضت
في عصرها .

وبهذه المناسبة : يسرني أن أتكلم عن ارتباط الأحكام الشرعية
بالتاريخ الهجري بإيجاز .

إن هجرة النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة تحول كبير
في الدعوة وتبليغ الرسالة وقوة ومنعة للمسلمين .

والتاريخ الهجري يمتاز بأنه يعتمد على الأشهر القمرية ولها
علامات ظاهرة يعرفها كل أحد ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالعرجون القديم﴾ .

وتتعلق بالتاريخ الهجرة والأشهر القمرية أحكام شرعية . مثل
الصيام والحج . والعدد . والرضاعة . ومدة الإيلاء .

فارتباط المسلم بالتاريخ الهجري وثيق وعلاقته به علاقة دين ،
ومهما تعلق الناس بالتاريخ الميلادي فإن المسلم لا بد له من التاريخ
الهجري .

وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم والتابعون رحمهم الله

ومن بعدهم إلى يومنا هذا أن السنة الهجرية تبدأ من شهر المحرم
وتنتهي بنهاية شهر ذو الحجة . وإن كانوا اختلفوا في خروج النبي
ﷺ من مكة إلى المدينة يوم الهجرة فقد جرى التأريخ الهجري على
ما اتفقوا عليه .

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين .

عبدالله بن محمد بن زاحم

التكافل الاجتماعي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين
والآخرين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فإن التكافل الاجتماعي واجب من واجبات
الإسلام ، فقد أوجب الله على الأغنياء جزءاً من أموالهم يعطى
الفقراء . حق واجب لا تطوعاً ولا تفضلاً فليس للغني حق
المحابات بها ولا حق صرفها لغير مستحقها . قال تبارك وتعالى :
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ
سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

وروى البخاري رحمه الله في الصحيح (٢ / ١٣٠) عن عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً رضي
الله عنه إلى اليمن . فقال : « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني
رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم
خمس صلوات في كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن
الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على
فقرائهم » .

قال ابن كثير في التفسير^(١) : (وأخبر تعالى أن كل من تصدق
بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه فيريها

لصاحبها حتى تصير التمرة مثلُ أحدٍ - كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ . كما قال الثوري ووکیع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : «إن الله يأخذ الصدقة ويأخذها بيمينه فيريها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره وحتى إن اللقمة لتكون مثل أحد» . وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾ . وقوله تعالى : ﴿يحق الله الربا ويربي الصدقات﴾ .

وذكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : «إن الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل» .

وقال في التفسير الكبير : (ظاهر الآية ويأخذ الصدقات أن الله تعالى هو الآخذ . وجاء في الآية الأخرى ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ تدل على أن الآخذ هو رسول الله ﷺ . وجاء في حديث معاذ ما يدل على أن الآخذ معاذ . والحسُّ يشهد بأن الآخذ الفقير فكيف الجمع بينها ؟!! .

الجواب : والله أعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الأمر بأخذ الصدقة . والرسول ﷺ مبلغ عن الله . ومعاذ مبلغ عن النبي عليه الصلاة والسلام . والفقير هو المستفيد .

(١) تفسير : ابن كثير : ٣٨٦ / ٢ .

فالله سبحانه هو الأمر الميثب فإعطاء الصدقة امتثالاً لأمره وطاعة له فهو يتقبلها عنده ويدخر ثوابها لمعطيها . والرسول ﷺ قائم مقام أخذ الله . ومعاذ قائم مقام الرسول ﷺ ، والفقير هو المباشر للأخذ .

ونظير هذا قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَيَّاعُونَكَ إِنَّمَا يَيَّاعُونَ اللَّهَ﴾ . ومثل قوله سبحانه : ﴿قُلْ يَتُوفَاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ مع قوله : ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تُوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وقوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتُوفَى الْأَنْفُسَ...﴾ .

وفي قوله تعالى ويأخذ الصدقات تشريف وتعظيم لهذه الطاعة : فردا عرف الغني أن صدقته لا يأخذها الفقراء وإنما يأخذها الله سعد وارتاح واستبشرف من أسعد من تقبل الله عطاءه !! . ومن أكثر طيباً وطمانينة ممن يربي الله صدقته وينميها له . وهذا الفضل وهذا التشريف وتقبل الصدقة وتنميتها لا يختص بالصدقة الواجبة بل ويشمل صدقه التطوع . فقد أثنى الله تعالى على المتصدقين تطوعاً كما أثنى على المصلين فريضة مما يدل على فضل صدقة التطوع ومنزلتها عند الله . واستثناهم سبحانه من الصفة المذمومة . فقال تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِللسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)﴾ [المعارج] .

فالصدقة لها تأثير بليغ في ترابط المسلمين . وتعاطفهم والتفاف بعضهم على بعض الغني يُحسُّ بأن المحتاج أخاه في الله وإنما فضل الله بما أعطاه من المال فهو يواسيه مما في يده ، والمحتاج يحس بأن أخاه الغني ينظر إليه نظرة أخوة وشفقة وأنه يشاركه في المشاعر والأحاسيس .

والمال هو الوسيط في وصول الإنسان إلى مطالبه في هذه الحياة . ولذلك نقدم الأحوج على المحتاج فالجائع الهالك الذي يأكل في بطنه ويدفع الموت عنه أحق بالصدقة من الذي يترفه في المأكول والمشرب . والعاري المحتاج لستر عورته وتغطية بدنه أحوج من الذي يتزين بالملابس ويشترى أجودهما . والمظلوم الذي داهمه الأعداء في قعر داره وأرادوا إخراجه من بلده وماله بغير حق ، أحق بالإعانة من غيره .

ومن المعلوم أن الإحسان إلى البشر يستميل هواهم . ويأخذ بقلوبهم كما قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهموا

فطال ما استعبد الإحسان إنسانا

ومع هذا فإن الإخوة الإسلامية توجب على المسلم مشاركة أخيه المسلم في آماله وآلامه ولا يرضى له بالذلة والإهانة . فقد صح الحديث عن الرسول ﷺ أنه قال : «المسلم أخو المسلم لا

يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ،
ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ،
ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

وفي حديث أبي هريرة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في
الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» .

فالرابطه الإسلامية بين المسلمين أقوى من رابطه النسب
والمصاهرة ، فحبل الله المتين يربط بين المسلم في شرق الأرض وبين
أخيه المسلم في غربيها وبين المسلم في جنوبي الأرض وبين أخيه
المسلم في شماليها . فإذا تأثر مسلم في أي بقعة من الأرض تأثر له
المسلمون في جميع أقطار الأرض .

وإذا تأملنا شرائع الإسلام وجدناها تحافظ على روابط الأخوة
الإسلامية ، فمن ذلك الاجتماعات المشروعة في الصلوات المكتوبة
والجمعة والعيد والحج ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
وزيارة المرضى وتشجيع الجنائز ، وتحريم الظلم والمحافظة على
حقوق المسلم والجوار ، وستر عورات المسلمين وقضاء حوائجهم
والحث على الإصلاح والشفاعة ، والصدقة بنوعيتها ؛ الواجبة
والتطوع ، والبر والصلة ، وتنظيم المعاملات وترتيب صلة المسلم
بالمسلم وغير ذلك من أسباب الترابط .

والمملكة العربية السعودية ، وهي الوحيدة في العالم التي

تحكم بما أنزل الله ونظامها القرآن وسنة سيد الأنام ﷺ تحرص شعباً
وحكومة على المحافظة على روابط الإخوة الإسلامية أيا كان
نوعها .

والسعودية في مقدمة المحسنين في كل ميدان .

وفي مجال التكافل : نجد في كل قطر من الأرض هيئة
ومنظمة ورابطة تقدم المساعدات المالية والتعليمية والتربوية لإخواننا
المسلمين وتدعو للإسلام .

والذي أعرف أن للملكة العربية السعودية في العالم حوالي
ثمانين مكتباً لإغاثة إخواننا المسلمين في أقطار المعمورة ، وهناك
مكاتب إسلامية تعلمهم شرائع الدين وترشدتهم إلى العقيدة
الصحيحة .

وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز أطال الله في حياته بذل
مجهوداً كبيراً لإرسال الدعاة . وفتح مكاتب دعوة في كثير من
البلدان كانت آثار حسنة ورابطة العالم الإسلامي لها مجهودات
مفيدة لإغاثة إخواننا المسلمين اقتصادياً واجتماعياً وأدبياً .

وهناك فرق بين عطاء المبشرين من النصاري - وبين عطاء
المسلمين .

فالمسلمون يعطون المساعدات المالية على أنه تكافل إسلامي
واجب يقدمونه لإخوانهم لشد أزهرهم وتثبيتهم على إسلامهم .

يرجون بره وثوابه من الله يطعمون الطعام بأريحة نفس ورحمة قلب وخلوص نية ، ولا يقصدون بعطائهم الاستعلاء ولا الفخر والخيلا . إنما هو عطاء من أجل الله .

أما المبشرون النصاري فيعطون ما أعطوا الهدف استعباد المحتاجين وجذبهم إلى النصرانية . أو على الأقل إخراجهم من الإسلام .

فالترباط الإسلامي والتعاطف قوة للمسلمين ترهب أعداءهم وتخيف الكافرين .

فأوصي إخواني أهل الجدة بالعطف على إخوانهم أهل الحاجة .

ثم أحذرك أخي المسلم من دسائس اليهود والنصارى وأعوانهم الذين يلبسون ثياب الإسلام وهم في الواقع والحقيقة والعمل ضد الإسلام .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٣) [آل عمران] .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ [الأنفال : ٤٦] .

والله تعالى قادر على أن يجعل المسلمين أغنى الناس وأقوى الناس ولكن يبتلي عباده ويختبرهم . والدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة . لا تساوي جدياً ميتاً أسك . الخالق يريد رفع درجات بعض المسلمين وتقريبهم منه في جنات النعيم ، ولكن لا يصلون إلى ما أعد لهم إلا بسبب الجهد والفاقة .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، وبالصبر ، والتوجه إلى الله وحده في السراء والضراء .

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عبد الله بن محمد بن زاحم



الحديث الأول

يوم عرفة

الحمد لله على فضله وكرمه وعلى جوده واحسانه وعلى رحمته ومغفرته واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه واحد في ذاته وفي اسمائه وصفاته وأفعاله وفي أمره ونهيه وتشريعه .

اللهم صل وسلم على النبي الكريم والرسول الأمين محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فإن يوم عرفة يوم مبارك لا يعرف قدره إلا من عرف ربه ولا يعرف فضله إلا من عرف نفسه .

وفضله مشهور لدى العارفين فهو يوم أتم الله فيه لأمة محمد ﷺ دينها وأتمت عليها نعمتي قال تبارك وتعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ نزلت يوم عرفة وهو عيد لأهل الإسلام يشرع صيامه للمقيمين ويكفر أوزار سنتين لما روى مسلم رحمه الله عن أبي قتادة رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة قال : (يكفر السنة الماضية والباقية) أما من كان بعرفة فالسنة له الفطر ليتقوى على الدعاء والذكر ولأن النبي ﷺ كان مفطراً يوم عرفة وقال «خذوا عني مناسككم» وأرسلت إليه أم الفضل بلبن فشربه .

وهو يوم أقسم الله به في كتابه فهو الشفع المذكور في سورة
الفجر وأما الوتر فهو يوم النحر وقيل أنه الشاهد والمقسم به في
سورة البروج ﴿وشاهد ومشهود﴾ والمشهود يوم الجمعة .

ورد أنه أفضل الأيام وهو الحج الأكبر وهو يوم مغفرة الذنوب
والتجاوز عن الآثام وهو يوم المباهاة بأهل الموقف والعق من النار .
فليحذر المسلم من الذنوب التي تمنع من المغفرة والعق من
النار أخي المسلم :

إذا كنت تطمع في العتق من النار فاشتر نفسك من الله وأتبع
السيئة الحسنة تمحها ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة﴾ واشترى عامر بن عبد الله بن الزبير رحمه الله نفسه
من الله ست مرات يتصدق بها . وكان أبو هريرة رضي الله عنه
يسبح كل ليلة اثني عشر ألف تسبيحة يفك بذلك نفسه .

من عرف ما يطلب عليه ما يبذل وقد رضي الله تعالى منك
أخي المسلم بشراء نفسك بالندم ورضي منك بالتوبة ثمناً لها وفي
اليوم المبارك يوم عرفة رخص السعر .

فمن ملك لسانه وسمعه وبصره غفر له روى الإمام أحمد
رحمه الله بسند صحيح قال سمعت عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما كان يقول : فلان ردّ رسول الله ﷺ في الحج فجعل الفتى
يلاحظ النساء وينظر اليهن فقال له رسول ﷺ (ابن أخي إن هذا

يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له).

فمد إلى الله يد الاعتذار وقم على بابهِ بالذل والانكسار وأرق
دموع الندم على صفحة خدك وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

قال ابن المبارك جئت إلى سفيان الثوري رحمه الله عشية عرفة
وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان فالتفت إليّ فقلت من أسوأ
هذا الجمع حالاً قال الذي يظن أن الله لا يغفر له .

فيوم عرفة يوم النفحات الربانية والافاضات الالهية يتصاعد
إليه أصوات المتضرعين وأنين الخائفين وبكاء النادمين وأزيز صدور
التائبين فيباهي الله بأهل الموقف ملائكته يقول انظروا إلى عبادي
جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج عميق فما أراد هؤلاء فيجيب
دعواتهم ويرحم انكسارهم وينزل عليهم الرحمة ويغفر الله لأهل
الموقف ويعتقهم من النار .

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال قال رسول ﷺ : ما
من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه
ليدنو ، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء «أخرجه مسلم
والنسائي .

وفي يوم عرفة يخزي الله ابليس ويد حره فيهرب هو وجنوده
إلى قمم الجبال لما يرى من تنزل الرحمة والمغفرة لضيوف الرحمن .

روى مالك عن طلحة بن عبد الله بن كريز رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال مارؤي الشيطان يوماً فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيط منه في يوم عرفة وماذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام . ويباهي الخالق تعالى بأهل الموقف ويفيض عليهم من رحمته ومغفرته . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول (انظروا إلى عبادي جاؤني شعثاً غبراً ضاجين من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يرو عذابي) فلم يُرَ يومٌ أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة» . ومن فضل الله وجوده وسعة رحمته يهب المسيئين يوم عرفة للمحسنين ويعطي المحسنين ما طلبوا إلا التبعات التي بين الناس من حقوق بني آدم فيتعلق به رضاهم ومسامحتهم .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوم عرفة : « أيها الناس إن الله عز وجل تطوّل عليكم في هذا اليوم فغفر لكم إلا التبعات فيما بينكم ووهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما شاء الله فادفعوا باسم الله» . فيا أخي الحاج هذه فرصتك فأنت في ميدان السباق إلى الجنة وفي يوم ينظر الله فيه إليك وفي سوق شراء النفس واعتاقها من النار فاحرص على ضبط هذه الفرصة فقد لا تدركها في عام آخر واحذر من تضييع وقتك في المسليات والكسل والخمول فأنت في ساعة يجب الجد فيها

والتشمير عن السواعد مَنْ طَلَبَ الْجَنَّةَ بَذَلَ ثَمَنَهَا وَمَنْ خَافَ مِنَ النَّارِ
أَدْلَجَ فِي الْهَرُوبِ عَنْهَا . عَلِقَ قَلْبَكَ بِاللَّهِ وَاجْعَلْ لِسَانَكَ دَائِمًا رَطْبًا
مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَانصَحْ لِلَّهِ فِي تَوْبَتِكَ وَأَكْثِرْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَأَكْثِرْ
مِنَ الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّوْحِيدِ وَاسْتَحْضِرْ
عِظْمَةَ رَبِّكَ وَتَذَكَّرْ سَعَةَ رَحْمَتِهِ وَاضْهَرِ ضَعْفَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاطْلُبْ
حَاجَتَكَ مِنْهُ وَالْحَاجَّ فِي الدُّعَاءِ .

وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ يَحْيَى وَيَمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا
وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَهِيَ أَفْضَلُ مَا قِيلَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ . وَيَدْعُو بِمَا أَحَبَّ
وَبِمَا وَرَدَ أَفْضَلُ وَمِمَّا وَرَدَ :

اللَّهُمَّ أَنْكَ تَرَى مَكَانِي وَتَسْمَعُ كَلَامِي وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعِلَانِيَتِي
وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ
الْوَجِلُ الْمَشْفُوقُ الْمَقْرُوعُ الْمَعْتَرَفُ بِذَنْبِهِ أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمَسْكِينِ وَابْتِهَالُ
إِلَيْكَ ابْتِهَالُ الْمَذْنُوبِ الذَّلِيلِ وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ مِنْ
خَضَعْتَ لَكَ رَقَبَتَهُ وَذَلَّ لَكَ جَسَدَهُ وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ وَرَغِمَ لَكَ
أَنْفُهُ يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ وَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ يَا مَنْ لَا
تَغْلِبُهُ الْمَسَائِلُ وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ اللُّغَاتُ أَذْقَنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحُلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد اللهم أهديني
بالهدى وقني بالتقوى وأغفر لي في الآخرة والأولى .
يرفع يديه ؛ يكررها حتى أفاض .

وسمع سفيان الثوري يقول :

الهي من أولى بالزلل والتقصير مني وقد خلقتني ضعيفاً ومن
أولى بالعفو عني منك وعلمك فيّ سابق وأمرك بي محيط ، أطعتك
بإذنك والمنة لك وعصيتك بعلمك والحجة لك فأسألك بوجوب
حجتك وانقطاع حجتي وبفقري إليك وغناك عني أن تغفر لي
وترحمني إلهي لم أحسن حتى اعطيتني ولم أسئ حتى قضيت عليّ
اللهم أطعتك بنعمتك في أحب الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلا
الله ولم اعصك في أبغض الأشياء إليك الشرك بك فاغفر لي ما
بينهما اللهم أنت أنيس المؤمنين لأوليائك وأقربهم بالكفاية
للمتوكلين عليك تشاهد ما في ضمائرهم وتطلع على سرائرهم
وسريّ لك اللهم مكشوف وأنا إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربة
أنستني ذكرك وإذا صببت إليّ الهموم لجأت إليك استجارة بك علماً
أن أزمة الأمور بيدك ومصدرها عن قضائك .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : الله اكبر الله اكبر والله الحمد
والوقوف بعرفة هو عمدة أعمال الحج روى البيهقي في السنن
عن عبدالرحمن بن معمر الديلمي رضي الله عنه قال سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «الحج عرفات ثلاثاً فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك» أي أدرك الحج.

ووقت الوقوف بعرفة كما هو معمول به ولله الحمد في هذا العهد المبارك من طلوع فجر يوم عرفة إلى طلوع الفجر يوم النحر فمن وقف بعرفة ساعة من ليل أو نهار في ذلك الوقت صح حجه إلا أنه إن وقف بنهار لم يدفع من عرفة حتى تغرب الشمس فإن دفع قبل الغروب فعليه دم لقول جابر رضي الله عنه (ووقف صلى الله عليه وسلم بعرفة حتى غربت الشمس)^(١) وفي حديث علي واسامة بن زيد أن النبي ﷺ دفع من عرفة حين غربت الشمس.

روى البيهقي أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لامته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فأوحى الله إليه أني فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها فقال: (يارب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلّمته وتغفر لهذا الظالم فلم يجبه تلك العشية فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله أني قد غفرت لهم قال فتبسم رسول الله ﷺ فقال: بعض أصحابه يارسول الله تبسمت في ساعة لم تكن تبسم قال تبسمت من عدو الله إبليس إنه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمّتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسه^(١)).

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ١١٤/٥ - ١١٥.

قال المنذري فلما فلما كان بجمع قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل قد غفر لصاحبكم وشفع في طالحكم تنزل الرحمة فتعم ثم تفرق المغفرة في الأرض فتقع على تائب من حفظ لسانه ويده فإذا اسفر الحاج أفاض من مزدلفة إلى منى قبل طلوع الشمس والحديث الذي بعد هذا سيكون إن شاء الله في الدفع من مزدلفة إلى منى وما يفعله الحاج بعد ذلك .

فنسأل الله أن يرحمنا مع حجاج بيته وأن يشملنا بعفوه ورحمته وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(١) السنن الكبرى للبيهقي : ١١٨ / ٥ .

الحديث الثاني : عن ليلة جمع

الحمد لله رب العالمين أكرم ضيوفه ، وباهى بهم ملائكته ،
ويسّر لهم أداء الركن الأعظم في الحج ، الوقوف بعرفة . فالحمد
لله على لطفه وكرمه وجوده وأصلي وأسلم على نبيه وحبيبه محمد
ابن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم وأحسن في اقتدائه .

أما بعد : فكان ضيوف الله قبل قليل في صعيد عرفات ،
ضاجين لله ضاجين بالتلبية والذكر والتكبير والتوحيد . وكانوا في
خارج الحرم ، فلما غربت الشمس يوم التاسع من ذو الحجة دفعوا
إلى مزدلفة . فقربوا إلى بيت الله ، ودخلوا في حدود حرم الله قد
غفر الله لهم ووهب مسيئهم إلى محسنهم . وخرجوا من ذنبوهم
كيوم ولدتهم أمهاتهم فيا لها من فرحة ويا لها من مفخرة . وبإله من
حظ عظيم .

ولقد كان من خوارق العادات ومن المعجزات أن ينتقل هذا
الجمع الكبير من عرفات إلى مزدلفة في ساعات قليلة بيسر وسهولة
وراحة واطمئنان وأمن وخير وأمان . بسبب ما تفعله الدولة من
مشاريع وقدرة الله تعالى فوق التصور ولطفه بضيوفه فوق
الإدراك .

ولو أن جيشاً مدرباً مهياً مستعداً يبلغ ربع العدد فصاحب به

صفارة الإنذار ما استطاع أن ينتقل من مكان إلى مكان في مثل هذا الزمن القصير .

فجزئ الله القائمين على خدمة الحرمين وخدمة ضيوف الرحمن خير الجزاء وأدام عزهم وتوفيقهم . فقد ذللوا الصعاب وعدّدوا المداخل والمخارج والمسارات للركبان والمشاة ووجهوا السير ووفروا لضيوف الله كل المتطلبات الضرورية والكماليات وما ذاك إلا بتوفيق الله وإعانتة وتسهيله ورعايته فله الحمد والمنة .

وها هم ضيوف الله في مزدلفة ولها ثلاثة أسماء :

تسمى ليلة جمع لاجتماع الناس فيها . وتسمى مزدلفة لأن الحجاج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها أي قربوا . وتسمى بالمشعر الحرام لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [البقرة : ١٩٨] .

وأول ما يبدأ به الحاج إذا وصل إلى مزدلفة يصلي المغرب والعشاء جمعاً وقصراً بأذان وإقامتين . إن أدرك مع الإمام أو نائبه أمير الحج . وإلا مع الرفقة . وإلا فوحده . ثم يصلح رحله وشأنه . ثم يضطجع اقتداءً بالنبي ﷺ .

والناس في ذلك الجمع مستريحون متفرغون وبعضهم يقرب من بعض واليلة مقمرة . وليس هناك خيام ولا ستور . فقد

يحصل شقاق وخلاف أو خروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بسبب المنازل . وقد يرى الحاج من زوجته ما يحرك شهوته ويقول له إبليس هذه ليلة مباركة . وقد ارتاح بعد تعب السفر فيجامع زوجته طلباً لبركة الولد . فليحذر الحاج كل الحذر فإن ذلك من وسواس إبليس ليفسد عليه حجه .

وليعلم الحاج أنه حال إحرامه في عبادة يناجي ربه ويتضرع إليه . فينبغي أن يكون على أكمل الآداب وأفضل الأخلاق وأجمل الأحوال . لا سيما في المشاعر المقدسة . ملة أئينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسنة نبينا محمد ﷺ . وليعلم الحاج أنه أحرم لله وحرّم على نفسه محظورات الإحرام طاعة لله وتقرباً إليه . فليف بوعده مع الله وليحذر ما حذره الله منه .

قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

فهذه اثلاثة المذكورة في الآية الكريمة هي أصول محظورات الإحرام والرفث هو الجماع ودواعيه من القبلة والمباشرة واللمس بشهوة والضم وتكرار النظر للتلذذ والتحدث بذلك في حضرة النساء والفسوق : هو الخروج عن طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ والفسوق محرم في المشاعر وغيرها حال الإحرام وغير الإحرام وفي قرب بيت الله وفي حرمة يكون تحريمه أكد . ويدخل تحت

مسمى الفسوق جميع المعاصي كبيرها وصغيرها . ومحظوراتُ الإحرام كُلُّها من الفسوق . ودعاء غير الله والاستعانة بغير الله وطلب الغوث والمدد من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من الفسوق المحرم .

والجدال : هو المغالبة في أمر من الأمور . فيدخل تحت الخلاف والشقاق على المنازل وعند ورود الماء وعند الجمرات وركوب السيارة كل ذلك من الجدال المحرم .

والحج المبرور هو الذي يطاع الله فيه ولا يعصى . روى البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

وليعلم الحاج بأن الجماع حال الإحرام وقبل التحلل الأول حتى بعد الوقوف بعرفة مفسد للحج . فمن جامع قبل التحلل الأول فأولج سواء أنزل أو لم ينزل فقد عصى ربه واتبع هواه وترتب عليه أربعة أشياء :

فساد حجه : ويلزمه المضي في ذلك الحج الفاسد فيعمل ما يعمل الناس ويذبح بدنة . ويقضي حجه في العام القادم .

أما إن كان الجماع بعد التحلل الأول أي بعد رمي جمرة العقبة والحلق أو طواف الإفاضة فيلزمه ذبح شاة وحجه صحيح .

أما إن باشر قبل التحلل الأول أي دون الفرج فإن أنزل فعليه بدنة وحجه صحيح ، وإن لم ينزل فعليه شاة .

والمباشرة بعد التحلل الأول، إن أنزل ، فعليه شاة ، وإن لم ينزل فلا شيء عليه . والتحلل الأول يكون يوم العيد إذا رمى جمرة العقبة وحلق أو طاف طواف الإفاضة وحلق أو طاف ورمى .

والتحلل الأول يُبيح المحظورات إلا النساء .

والتحلل الثاني إذا رمى جمرة العقبة وطاف وحلق أو قصر حل له كل شيء حتى النساء .

ومزدلفة ما بين مأزمي عرفات أي المضيق الذي بين مزدلفة وعرفات إلى وادي محسر ، وهو الفاصل بينها وبين منى .

ولا ينبغي لأهل القوة أن يخرجوا من مزدلفة حتى يطلع الفجر . ويؤدون صلاة الفجر فيها . وحتى يسفروا اقتداءً بالنبي ﷺ ولقوله : «خذوا عني مناسككم» . «ومزدلفة كلها موقف» .

وقد رخص رسول الله ﷺ ليلة جمع لضعفة الناس . وهم النساء والصبيان وكبار السن والمرضى ويكون معهم من يخدمهم ويرشدهم . أن ينصرفوا من مزدلفة بعد نصف الليل ؛ لقول

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما « أنا فيمن قدّم رسولُ الله ﷺ ليلة المزدلفة في ضعفة أهله » متفق عليه . ومتصف الليل تلك الليلة عند غياب القمر .

فمن أفاض من مزدلفة قبل نصف الليل فعليه دم ؛ لأنه ترك واجباً . ومن تأخر عن مزدلفة حتى طلع الفجر فعليه دم لأنه فاته واجب .

فإذا صلى الفجر بمزدلفة أخذ يدعو فيحمد الله ويهلله ويكبره . ويدعو ويقول : اللهم كما أوقفنا فيه وأريتنا إياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا . واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك : ﴿ ... فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ [البقرة: ١٩٨] .

والتلبية بمزدلفة وردت بها السنة والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم وبعض الصالحين .

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بجمع : سمعت الذي أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المقام : « لبيك اللهم لبيك » وفي رواية : « ثم لبّي ولبينا معه » .

قال الفريابي : كنت في مزدلفة أحيي الليل فإذا امرأة تصلي إلى الصباح ومعها شيخ سمعته يقول : اللهم إنا قد جئناك من حيث تعلم وحججنا كما أمرتنا ، ووقفنا كما دللتنا . وقد رأينا أهل الدنيا إذا شاب المملوك في خدمتهم تذمّموا أن يبيعهوه وقد شبننا في

خدمتك ، فأعتقنا .

وقال بعضهم :

إن الكرام إذا شابت عبيدهم

في رقهم عتقوهم عتق أبرار

وأنت أكرم أن تعدوك مكرمة

قد شبت في الرق فأعتقني من النار

وفي ليلة مزدلفة استجاب الله دعاء نبينا محمد ﷺ وأعطاه ما
سأل لأتمته . وجزع إبليس وأخذ يحثو على نفسه التراب .

روى البيهقي أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأتمته بالمغفرة
والرحمة . فأكثر الدعاء فأوحى الله إليه أني فعلت إلا ظلم بعضهم
بعضاً وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها . فقال : يا رب إنك
قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلّمته وتغفر لهذا الظالم
فلم يحبه تلك العشية فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله
عز وجل أني قد غفرت لهم فتبسم رسول الله ﷺ فقال بعض
أصحابه يا رسول الله تبسمت في ساعة لم تكن تبسم فيها قال
تبسمت من عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب لي في امتي
اهوى يدعو بالويل والثبور و يحثوا التراب على رأسه .^(١) قال جابر
ابن عبد الله رضي الله عنه . (ووقف ﷺ بعرفة حتى غربت

(١) السنن الكبرى للبيهقي : ١١٨ / ٥ .

الشمس^(١). وفي حديث علي وأسماء بن زيد أن النبي ﷺ دفع من عرفة حين غربت الشمس .

فمن دفع من عرفة قبل غروب الشمس فحجه صحيح وعليه دم . إلا إن رجع إليها بعد غروب الشمس ووقف ولو قليلاً ، ثم دفع فلا يلزم دم .

وإن تهيأ للدفع ونقل متاعه وركب في السيارة قبل الغروب ولم يخرج من عرفات إلا بعد الغروب فلا شيء عليه .

نسأل الله أن يغفر لنا ولجميع المسلمين وأن يرحمنا برحمته وأن يعتقنا من النار . وأن يعصمنا فيما بقي من أعمارنا . وأن يُيسر لحجاج بيته أداء أنساكهم في صحة وسعادة وهناء . ورحمة من الله ورضوان .

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟ ؟ ؟

عبدالله بن محمد بن زاحم

(١) السنن الكبرى للبيهقي : ٥ / ١١٤ - ١١٥ .

الحديث الثالث : أيام منى

الحمد لله رب العالمين ، أكمل ديننا وأتم علينا نِعَمَهُ ورضي الإسلام لنا ديناً . وأصلنى وأسلم على النبي الكريم والمعلم البليغ والمُشرع الأمين وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بالإحسان .

أما بعد : فكان حجاج بيت الله بالأمس في الصباح الباكر متوجهين إلى عرفات وهي خارج الحرم . ثم دفعوا منها بعد غروب الشمس إلى مزدلفة وباتوا فيها وفي يوم عيد الأضحى أفاضوا من مزدلفة قبل طلوع الشمس إلى منى والبيت العتيق . إنه تنظيم وترتيب إلهي له أهداف سامية ومقاصد إسلامية عالية .

سُئِلَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك كما أخرجه المنذري^(١) رحمه الله عن أبي سليمان الداراني قال : سُئِلَ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الوقوف بعرفة بالجبل ولمَ لَمْ يكن في الحرم ؟ قال : لأن الكعبة بيتُ الله والحرم باب الله فلما قصدوه وافدين أوقفهم بالباب متضرعين . قيل : يا أمير المؤمنين فالوقوف بالمشعر الحرام ؟ قال : لأنه لما أذن لهم بالدخول إليه أوقفهم بالحجاب الثاني وهو المزدلفة ، فلما طال تضرعهم أذن لهم بتقريب قربانهم بمنى . فلما أن قضوا تفثهم وقربوا قربانهم

(١) الرغيب والترهيب : ٢٠٦ .

فتطهروا بها من الذنوب التي كانت عليهم أذن لهم بالزيارة إليه على الطهارة . قيل : يا أمير المؤمنين ومن أين حُزِمَ الصيامُ أيام التشريق ؟ قال : لأن القوم زاروا الله وهم في ضيافته ولا يجوز للضيف أن يصوم دون إذن مَنْ أضافه . قيل : يا أمير المؤمنين فتعلّق الرجل بأستار الكعبة لأي معنى هو ؟ قال : هو مثل الرجل بينه وبين صاحبه جناية فيتعلق بثوبه ويتوسل إليه ويخضع له ليهب له جنايته . رواه البيهقي وغيره . ورواه أيضاً عن ذي النون ، قال المنذري : وهو عندي أشبه والله أعلم .

وأما في هذا اليوم ثلاثة أمور :

رميُ جَمرة العقبة ، وهي التي تلي مكة .

وطوافُ الإفاضة .

والحلق أو التقصير . والحلق أفضل .

فمن رمى العقبة وحلق حلّ الأول . ومن طاف وحلق حلّ

الأول . يباح ما كان ممنوعاً عنه من أجل الإحرام إلا النساء . ومن

رمى وطاف وحلق حلّ الحلّ كله . يحل له كل شيء حتى النساء .

والسنة أن يفيض الحاج من مزدلفة يوم العيد بعد الإسفار وقبل

طلوع الشمس اقتداءً بهدي النبي ﷺ . ومخالفة لما كان عليه

المشركون في الجاهلية . فكانوا لا يفيضون من مزدلفة حتى تطلع

الشمس .

ففي حديث محمد بن مخرمة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّا لَا نَدْفَعُ مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى تَغْرِبَ الشَّمْسُ ، وَنَدْفَعُ مِنْ مَزْدَلِفَةَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، هَدِينَا مُخَالَفَ لِهَدْيِ عَبْدِ الْأَوْثَانِ» رواه البيهقي في شعب الإيمان .

قال ابن القيم رحمه الله . ثم سار رسول الله ﷺ من مزدلفة مردفًا للفضل بن عباس رضي الله عنهما وهو يلبي في مسيره .

وفي الطريق أمر ﷺ ابن عباس أن يلتقط له حصى الجمار سبع حصيات . فالتقط له سبع حصيات من حصى الخذف . وأخذ ﷺ ينفضهن في كفه ويقول بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين .

والخذف هو الرمي بحصاة صغيرة بين السبابتين . أكبر من الحمص ودون البندق نحو حبة الباقلاء . وإن أخذ حصى الجمار كلها من مزدلفة فلا بأس .

وعددهن للمتعجل تسع وأربعون حصاة . وللمتأخر سبعون حصاة على قدر حصى الخذف اقتداءً بالنبي ﷺ وأخذ النسك عنه ﷺ .

فإذا وصل الحاج إلى منى قصد إلى جمرة العقبة فإذا وصل إليها قطع التلبية ورمأها بسبع حصيات الواحدة تلو الأخرى يكبر مع كل حصاة ، فيقول : باسم الله والله أكبر . ويحرص على أن

تقع في الحوض . وإذا كان في الطابق الثاني يلقيها في الفتحة المهيأة لها وهي تسقط على الحوض . ولا يقف عندها .

والعقبة خارج حدود منى فليست منها .

والجمرات : اسم لمُجْتَمَعِ الحصى . وقيل : لأن العرب تسمي الحصى الصغار جماراً فسميت بذلك تسمية الشيء بلازمه .

وسميت منى بهذا الاسم قيل : لكثرة ما يبنى فيها من الدماء أي يُراق . وقيل : لأن آدم عليه السلام قال له جبريل تَمَنَّ : منها تَمَنَّ فقال : أتمنى الجنة .

ويقول بعد رمي جمرة العقبة : اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً .

ولا يجوز للمسلم أن يرمي بأكثر من سبع حصيات ، ولا أن يرمي دفعة واحدة بأكثر من حصاة . ولا أن يرمي بالشباشب والنعال ، ولا بالحجارة الكبيرة التي مثل البندق أو أكبر .

وأصل مشروعية رمي الجمرات أنه لما فرغ أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من بناء البيت أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فأراه الطواف . ثم أتى به جمرة العقبة فعرض له الشيطان . فأخذ جبريل عليه السلام سبع حصيات وأعطاه إبراهيم ، وقال له : ارم وكبر حتى غاب الشيطان ، ثم أتيا الجمرة الوسطى فعرض لهما الشيطان ففعلا كما تقدم . ثم أتيا الجمرة القصوى فعرض لهما

الشیطان ففعلاً كذلك .

فالحكمة في مشروعية الجمرات : لإقامة ذكر الله وطاعة الرحمن ودحر الشیطان . روى الإمام أحمد رحمه الله عن أم المؤمنین عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار : لإقامة ذكر الله تعالى » .

وإذا ضاقت منى بالحجاج ولم يجد أحد مكاناً ينزل فيه ، جاز له أن ينزل في أي مكان يلي منى . قبل مزدلفة ولا دم عليه إن شاء الله ؛ لأنه معذور ، ثم إذا رمى جمرة العقبة فإن كان معه هدي ذبح هديه أو نحره وحلق رأسه أو قصر ، والحلق أفضل ، وقد حل التحلل الأول فيباح له ما كان ممنوعاً منه من أجل الإحرام إلا النساء . وإن كان متمتعاً ذبح فدية التمتع . وكذلك إن كان قارناً . وإن كان مفرداً فلا دم عليه .

ثم يفيض إلى مكة المشرفة ويطوف بالبيت طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج ويسعى بين الصفا والمروة . إلا أن يكون قارناً أو مفرداً وسعى مع طواف القدوم كفاه السعي الأول ورمي جمرة العقبة ، والطواف بالبيت والسعي والحلق أو التقصير قد حلّ الحلّ كله . ويحل له ما كان محظوراً عليه بالإحرام حتى النساء . والسنة فعل النبي ﷺ : الرمي ، ثم الذبح ، ثم الحلق ، ثم الطواف ، ثم السعي . فإن قدّم الطواف والسعي على الرمي فلا بأس أو قدم ذبح

الهدي على الرمي والطواف فلا بأس ؛ لقوله ﷺ : «افعل ولا حرج» .

ثم إذا طاف بالبيت وسعى ، يرجع إلى منى ويبيت فيها ليلي التشريق الثلاثة إن تأخر أو ليلتين إن تعجل . فأيام منى ثلاثة غير يوم العيد فمن تعجل فلا إثم عليه . وأهل منى يكبرون بعد الصلوات المكتوبة مثل أهل الأمصار . ويرمي الحاج الجمرات الثلاث كل يوم من أيام منى بعد زوال الشمس كل واحدة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة يرمي الواحدة تلو الأخرى يبدأ بالجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف ؛ لحديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ . وأهل الأعدار يجوز لهم الرمي في الليل مثل السقاة والرعاة ومن في حكمهم .

وترتيب الجمرات شرط في صحة الرمي . وينتهي وقت الرمي بانتهاء اليوم الثالث من أيام منى . فمن أخر شيئاً من الرمي قضاه في وقته ، فإذا فات الوقت لزم الفداء شاة .

ويجوز لمن يشق عليه الرمي أو لا يتمكن من الرمي أن يوكل من يرمي عنه . فيرمي جمراته السبع أولاً ، ثم يرمي حصيات موكله الواحدة بعد الواحدة . ومن تعجل في يومين . ونقل رحله إلى السيارة وأدركه الليل أو حبسه الزحام قبل خروجه من منى ، استمر في تعجله . أما إن أدركه المبيت ليلة الثالث من أيام منى وهو مقيم في منى لزمه المبيت ورمي الجمرات من الغد بعد الزوال .

ويلاحظ الحاج أن منى امتازت بأمور منها أنها تتسع لمن دخل فيها من الحجاج رغم ضيقها في رأي العين . ومنها أن الحداة لا تخطف اللحم فيها . ومنها أن الذباب لا يقع في الطعام . ومنها أن البعوض فيها قليل مع توفر أسباب تواجده ، وهذا فضل من الله ورحمة .

فإذا أراد الحاج الانصراف إلى أهله ، وجب عليه طواف الوداع إلا لعذر ، فإن تركه بدون عذر فعليه دم . أما المعذور مثل الحائض والمريض فيسقط عنهم طواف الوداع إن شاء الله .

والحمد لله أولاً وآخراً .

اللهم إنا نسألك حجاً مبروراً وعملاً صالحاً مقبولاً . ومغفرة لذنوبنا . ورحمة منك ورضواناً .

اللهم يسّر لحجاج بيتك مناسكهم وردهم إلى أهلهم سالمين غانمين برضوانك ومغفرتك يا حي يا قيوم . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟ ؟ ؟

عبدالله بن محمد بن زاحم

* * *

الحديث الرابع : تحويل القبلة

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾ [آل عمران] .

لما حوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام في مكة المكرمة . قال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ما ولأهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، يقصدون بذلك التشويش على المسلمين وبلبلة الأفكار والصد عن دين الحق . وإلا فاليهود يعرفون أن الرسول ﷺ مرسل من ربه وأن ما جاء به هو الحق . قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ﴾ [البقرة] .

فردّ الله تعالى على مقالتهم . وبين أن الكعبة أحق بأن تجعل القبلة ؛ لأنها أول بيت وضع للناس لعبادة الخالق تعالى عنده ، وهي أول بيت وضعت فيه البركة وفيه من المزايا والخصوصيات ما ليس في غيره . فليس بيت المقدس بأفضل منه ، وأيضاً الملك والأمر كله لله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . فمقالة اليهود مردودة عليهم . وأيضاً يقول اليهود في زعمهم : أنهم على

دين إبراهيم عليه السلام ، وأنهم أولى بإبراهيم ، فردّ الله عليهم وكذبهم وتحذّاهم ، فأخبرهم بأن الكعبة المشرفة بناها إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فإذا كان زعمهم بأنهم أولى بإبراهيم صحيحاً فاتبعوا ملة إبراهيم . فكان يحج البيت الحرام فلم لا يحجونه ، ولكن اليهود طبعتهم وصفتهم اللازمة لهم هي الكذب والافتراء والتشكيك والخداع والمراوغة والكفر والطغيان والمكر والبهتان .

ومن خصوصيات البيت الحرام وفضله على ما سواه ما يلي :

١ - أن الذي أمر ببنائه هو الله رب السموات والأرضين ، وأن المهندس المخطط له هو جبريل عليه السلام ، والمهندس المنفذ له هو إبراهيم الخليل عليه السلام والمهندس المساعد هو إسماعيل عليه السلام .

٢ - أول بيت وضع لعبادة الله تعالى . وأول بيت وضعت فيه البركة .

٣ - فيه علامات واضحات ثابتات على فضله وقديسيته وحرمته . مقام إبراهيم الحجر الذي كان يرقى عليه لبناء الكعبة . وأثار قدميه فيه ، وأثار عبادته في عرفات ومزدلفة ومنى والجمار ، والمناسك كلها آيات بينات .

٤ - من دخله كان آمناً ، إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء ،

وحرّم قتل صيدها وقطع شجرها ، ومنع الإلحاد فيها . حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض .

والحج فرض على كل مسلم مكلف يستطيع إليه سبيلاً في العمر مرة واحدة ، وبفريضة الحج وتطبيقه من رسول الهدي ونبي الرحمة ﷺ . أكمل الله للأمة الإسلامية دينها . وتمت عليها نعمة ربها . ﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴾ [المائدة: ٣] .

والحج ركن من أركان الإسلام وقاعدة من قواعده التي يقوم عليها . قال نبينا محمد ﷺ : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً » والسبيل : كل ما يساعد على الوصول إلى البيت الحرام . من الزاد والراحلة . ومن الطريق ، وتزويد المرأة وجود المحرم الذي يصحبها في سفرها .

والاستطاعة شرط للوجوب . فمتى استطاع المسلم السبيل إلى البيت وجب عليه الحج وصار ديناً في ذمته ينبغي المبادرة في قضائه ، فإنه لا يدري ما يعرض له ولا يلزم الإنسان أن يستدين ليحج ، ولا أن يقترض ولا أن يسأل الناس مساعدته من أموالهم ليحج . فالمسلم عزيز النفس كريم الخلق . والدّينُ همٌ وذلٌّ .

والمسألة مسكنة وحُقران .

ويجب على من أراد الحج أن يختار النفقة الحلال . فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً . والمال الحرام خبيث . وسواء كان مكتسباً من الربا ، أو القمار ، أو السرقة ، أو الاختلاس ، أو الخيانة ، أو الغصب ، أو الرشوة . أو الغش ، أو البيوع المحرمة . . كل ذلك حرام وخبيث .

قال الرسول الكريم ﷺ : «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم . وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء : يا رب يا رب . ومطعمه حرام، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فأنى يستجاب له » . أي لا يستجاب له .

فالمال الحرام سبب لمنع استجابة الدعاء وإن توفرت أسباب الاستجابة الأخرى . فإن السفر وتواضع الهيئة ، ومد اليد إلى السماء ، والإلحاح في الدعاء بصفة الربوبية ، كل واحدة منها سبب لاستجابة الدعاء ، ولكن الحرام والكسب الخبيث صار سبباً لعدم الاستجابة .

فواجب على من أراد الحج أن يختار لنفقته ما لا حلالاً .

الحج إنما يجب في العمر مرة واحدة ، قال ﷺ : « يا أيها الناس كتب عليكم الحج » فقال الأقرع بن حابس : يا رسول الله : أفي كل عام ؟ فقال ﷺ : « لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » . وقال ﷺ لنسائه في حجة الوداع : « هذه ظهور الحصر » ، والحُصر : جميع حصير وهو فراش من خوص النخل تفرشه المرأة في بيتها ، أي : الزمن بيوتكن ولا تخرجن .

وفي هذا تتجلى سماحة الإسلام ، ورحمة الخالق تبارك وتعالى بأمة محمد ﷺ . فإن الحج هو أشد أركان الإسلام كلفة ومشقة فأوجبه عليهم في العمر مرة واحدة وبشرط الاستطاعة .

ولما كان الحج فيه مشقة الأنفس وتعب الأبدان . ونفقة المال ومفارقة الأهل والولد ، كان ثوابه جزيلاً : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

ولكن اليهود يجحدون هذه الفضائل ويكابرون الحقائق ويكفرون برسالة محمد ﷺ ، وينكرون وحي السماء المطهر ، فلا يحجون بيت الله وهم بذلك إنما يضرون أنفسهم ويهلكون أنفسهم هم وأمثالهم ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧) [آل عمران : ٩٧] . فليس لله حاجة في إيمانهم ولا في إسلامهم ، ولا في

حجهم ، وإنَّما هم المحتاجون إليه وهم الفقراء إليه كما نزلت
الآية : ﴿ وَمَنْ يَتَغَيْرِ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] قالت اليهود : نحن مسلمون ،
فقال النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ الْحَجَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا» . فقالوا : لم يفرض علينا ، وأبوا أن يحجوا فقال الله
عز وجل : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل
عمران : ٩٧] .

والحمد لله أولاً وآخراً وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله
وصحبه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

مسجد رسول الله ﷺ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . . . وبعد :
فبمناسبة الكلام عن توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد
النبي الشريف ومدى اهتمامه بالمدينة المنورة وبالقضاء الشرعي .
أحببت أن أقدم بين يدي ذلك موجزاً لتطورات مسجد رسول
الله ﷺ عليه أفضل الصلاة والتسليم .

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل من قباء راكباً ناقته كان يقول
لمن اعترضها دعوها فإنها مأمورة حتى بركت في موضع مسجده
ﷺ . وكان مَرَبِداً ليتيمين من بني النجار تحت ولاية أبي أيوب
الأنصاري رضي الله عنه فاشترى رسول الله ﷺ المريد وكان فيه
نخل فقطعه وفيه قبور فنبشت وجعل الجذوع في مقدمة المسجد
جهة بيت المقدس وجعل كتفيه بالحجارة^(١) وبعد أربعة عشر شهراً
من الهجرة نزل الوحي من السماء بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة
كما في سورة البقرة : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً
تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٤) [البقرة] .

فتحولت القبلة إلى البيت الحرام ، وحددت القبلة بتوقيف من

(١) كفي المسجد .

النبي ﷺ لإصابة الكعبة المشرفة في الاستقبال .

وكان طوله شمالاً وجنوباً ٧٠ ذراعاً (بذراع اليد للرجل المعتدل) وعرضه شرقاً وغرباً ٦٠ ذراعاً (والذراع نصف متر) تقريباً^(١) وكان مكشوفاً، فلما اشتد الحر أذن ﷺ في تظليله وقال : «عريش كعريش أخي موسى» فجعلت له أعمدة من جذوع النخل وسقف بالجريد والسعف والاذخر . فلما جاء المطر خر عليهم الماء فاستأذنه عليه الصلاة والسلام في تطيينه فقال : لا عريش كعريش أخي موسى ، والأمر أعجل من ذلك . فجعل عليه شيء من الطين . وكان إذا جاء المطر خر ، وقد سجد ﷺ صبيحة ٢٧ من رمضان في ماء وطين ، فلما فتح الله خيبر زاد في المسجد فجعله ١٠٠ × ١٠٠ ذراع وجعل جدره من اللبن وكان المنبر جذع نخل فأذن ﷺ أن يعمل له منبر من أعواد الطرّفا بثلاث درجات بما فيها الجلسة . ذكره البخاري فلما ترك الجذع حنّ كحنين الطفل لأنه فقد خليل الله ﷺ وفقد الذكر الذي كان يُلقى عليه .

ولم يزد في المسجد في ولاية الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ لأنه اشتغل بالفتح وإخماد نار الردة . ولكن لما نخرت الخشب غيرها بمثلها .

فلما تولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة وكثر الناس طلبوا منه زيادة المسجد فزاد فيه ، وقال بعضهم : لو

(١) الذراع الهاشمي = ٤٤ سنتيمر كما حدده العلماء .

تركوه كما كان على عهد الرسول ﷺ؟ فقال : لولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ينبغي أن يُزاد في المسجد» ما زدت فيه . فزاد فيه وجعل الأعمدة من الخشب وجعل طوله ١٤٠ × ١٢٠ ذراعاً وقال : لو انتهت بناؤه إلى الجبَّانة ^(١) لكان الكل مسجد رسول الله ﷺ .

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه : «لوزيد في هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدي» .

وفي السنة الرابعة من خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه نخرت الأعمدة الخشب وشكى الناس ضيقه بالمصلين فزاد فيه زيادة كثيرة .

زاد فيه من القبلة إلى الجدار الموجود اليوم وزاد من الغرب بقدر اسطوانة وزاد من الشمال ٥٠ ذراعاً وبني المسجد فجعل جدرانه بالحجارة المنقوشة والقصة «الخص» وجعل أعمدته من حجارة منقوشة وسقفه بالساج» رواه البخاري .

وبقي المسجد كذلك حتى ولاية الوليد بن عبد الملك فكان أمر عليّ الحرمين الرجل الصالح العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأمره بزيادة المسجد فاشترى عمر الدور التي حول المسجد وزاد فيه من الغرب وأدخل فيه حجرات أهل البيت الواقعة شرقي المسجد

(١) الجبَّانة : يعني المقبرة - أي البقيع - وقد وصل إليها بتوسعته الأخيرة والحمد لله رب العالمين . هـ : صلاح كرنه .

وجعل بين الحجرة الشريفة وبين الجدار الخارجي ممراً لحماية الحجرة
فصار طول الجدار القبلي ١٦٧ ذراعاً والجدار الغربي ٢٠٦ ذراعاً
تقريباً ، وجعل العمدة من الحجارة وزخرف الحيطان بالفسيفساء
واستغرت عمارته ثلاث سنوات .

ثم زاد فيه أمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن محمد العباسي
الملقب بالمهدي من جهة الشام ١٠٠ ذراع .

وفي عام ١٢٥٥ هـ جدد السلطان عبد الحميد عمارة المسجد
النبي الشريف وزاد فيه من الشمال ٦٦ ذراعاً تقريباً وبناه بالحجارة
والنورة والطوب والطين وجعل السقف قباباً ، والأعمدة من
الحجارة الموجودة الآن فصار طول المسجد من الغرب ١٠٣ متر
ومن الشرق ١٠٠ ومن القبلة ٧٠ م ومن الشمال ٦٠ م .

وفي عام ١٣٤٨ هـ في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن
آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية - غفر الله له - أمر بترميم
المسجد النبوي فرم وجعلت فيه تحسينات .

وفي عام ١٣٦٨ هـ أعلن الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه -
عزمه على زيادة المسجد النبوي الشريف وأسند ذلك لولي عهده
سعود بن عبد العزيز - غفر الله له - فشمر عن ساعد الجهد
والإخلاص وابتدأ العمل في التوسعة عام ١٣٧٠ هـ ، فثمنت
البيوت المحيطة بالمسجد من أربع جهات وعوض أهلها بتقديرات

حازت رضاهم واغتباطهم وتم حفر الأساسات إلى الأرض الصلبة تحت الماء . ووضع الملك سعود - رحمه الله - حجر الأساس في الجهة الغربية من المسجد بجانب باب سعود سنة ١٣٧٣ هـ .

ومساحة الزيادة طولها شمالاً وجنوباً ٢٥٦ ذراعاً تعادل ١٢٨ متراً وعرضها شرقاً وغرباً ١٨٢ ذراعاً تعادل ٩١ متراً وعُدِّل الميول الذي كان في الضلع الشرقي فصار الضلع الشرقي يوازي الضلع الغربي ، والضلع الشمالي يوازي الضلع الجنوبي وأصبح المنظر متناسقاً متعادلاً ، فصارت المساحة الإجمالية للمسجد بعد هذه التوسعة السعودية الأولى ١٦٣٢٦ متراً ، والتوسعة السعودية الأولى هي أضخم توسعة شهدها المسجد في تاريخه والبناء المشيد المتين يدل بلسان الحال على الاهتمام والعناية . وأحيط المسجد بشوارع فسيحة من أربع جهات وميدان واسع من الجهة الشمالية .

وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله أمر بتوسعة المسجد من الجهة الغربية فهدمت البيوت الواقعة غرب المسجد بعد تعويض أهلها وأحيطت بجدار وظللت للمصلين بمظلات من نوع خاص ومساحة هذه التوسعة (٩٤) ألف متر مربع .

وفي عهد الملك خالد بن عبد العزيز غفر الله له ، نزع ملكية عدد من الأحياء الواقعة جنوب غرب المسجد مثل سويقة وسقيفة الرصاص والشونة وجعلت ميداناً ومواقف لسيارات المصلين في المسجد النبوي الشريف هذا فيما أعتقده إن لم تخني الذاكرة .

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وأمد في حياته لخدمة الإسلام والمسلمين أخذ يتفقد مدينة الرسول بنفسه راكباً وماشياً ويتحسس أوضاع مسجد رسول الله ﷺ وكان يتفقد أحوال حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسول الله ﷺ فعلم أن المسجد يضيق بالمصلين في أيام الجمع والأعياد - فضلاً عن أيام الحج - ورأى أنه لا بد من توسعة تمكن زوار المسجد من الصلاة فيه . واستخار الله وقرر عزمه علي توسعة المسجد النبوي الشريف وتطوير المدينة المنورة تطويراً يليق بها ، فهي دار هجرة المصطفى ﷺ ومهابط الوحي ومواقع التنزيل ومنطلق الدعوة إلى الله وهي مواقع أقدام المصطفى ﷺ وأنصاره والمهاجرين ، تلك الصفوة التي اختارها الله لتلقى وصيته وحمل أمانته وتبليغ رسالته لهداية خلقه وإصلاح أرضه وتطهير المعتقدات وبث العدل بين الناس وهي مأرز الإيمان ، فشكل لجنة ملكية برئاسته تتكون من عدد من الوزراء وأتاب عنه فيها سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام ؛ لما عرف عن سموه من العزم والحزم والنصح والإخلاص .

وابتداء العمل بالمسح والتقدير والتعويض ونزع الملكية وبلغت تقييماتها آلاف الملايين من الريالات ، فهدمت حارة الأغوات ووضع خادم الحرمين الشريفين حجر الأساس في ٩ / ٢ / ١٤٠٥ هـ . وضعه بنفسه جنوب المظلات غرب باب الصديق رضي الله عنه

وحفرت الأساسات في الجهة الشرقية المحاذية لباب النساء في ١٩/١/١٤٠٦هـ ، كما حفرت الأساسات شرق شمال المظلات بتاريخ ١٠/٣/١٤٠٦هـ ، ثم هدمت السنبلية والرومية وذروان إلى درب الجنائز .

ومن هنا انطلق العلم بكل القوى والإمكانات وبجد ونشاط متواصل ليل نهار خلال أربع وعشرين ساعة لا يفتر أبداً حتى يوم الجمعة ولياليها ، وذلك ما قرره خادم الحرمين الشريفين حرصاً على إنجاز التوسعة وفتحها للمصلين فهو يتابع العمل بنفسه وهو في أي مكان كان ، وأسند المتابعة الفورية لأخيه الشاب الهمام أمير منطقة المدينة المنورة الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ، فكان عند ظن أخيه وجعل له مكتباً خاصاً بجوار التوسعة شرقي المسجد النبوي الشريف وصار يتابع العمل ويشارك بنفسه .

وفي شهر الحج سنة ١٤٠٦هـ تم تسقيف بدروم نصف التوسعة الشرقية وفتحت للمصلين وظللت عن حرارة الشمس . وفي أول عام ١٤٠٧هـ هدمت المباني التي بين شارع الساحة وشارع السحيمي . ويتنظر أن يتم تسقيف جميع البدروم من الجهات الثلاث الشرقية والشمالية والغربية في أشهر حج عام ١٤٠٧هـ ويفتح للمصلين إن شاء الله .

ومساحة التوسعة الحالية (٨٢٠٠٠ م^٢) تحيط بالمسجد الأول من الجهة الشمالية بطول ٤٢٥ م شرقاً وغرباً وتمتد من الشمال إلى

الجنوب غرباً إلى باب الرحمة بطول ١٥٠ م وتمتد من الشمال إلى الجنوب شرقاً حتى باب النساء بطول ١٥٠ م. فتكون الزيادة والبنية السعودية الأولى في وسط زيادة خادم الحرمين الشريفين وتتسع الزيادة الحالية وحدها (٢٢٧٠٠٠) مصلياً ، منها ١٣٧٠٠٠ مصلياً في الأرضي ، و ٩٠٠٠٠ مصلياً في السطح ، يضاف إليها ما بقي من المظلات والميادين التي حول المسجد في توسعة خادم الحرمين وتتسع لحوالي ٢٤٥٠٠٠ مصلياً ويضاف إليها أيضاً مساحة مبنى المسجد الأول وتتسع لحوالي ٢٨٠٠٠ مصلياً . فيكون المسجد بزيادة خادم الحرمين والميادين يتسع لحوالي ٥٠٠٠٠٠ مصلياً أي نصف مليون مسلم يؤدون الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ وساحاته .

وإذا قارنا بين أكبر الزيادات الثلاث وهي توسعة السلطان عبد الحميد والتوسعة السعودية الأولى ، وتوسعة خادم الحرمين الشريفين فإذا هي كما يلي :

مساحة المسجد بعد زيادة السلطان عبد الحميد ١٠٣٠٣ متراً مربعاً .

ومساحته بعد الزيادة السعودية الأولى ١٦٣٢٧ متراً مربعاً .

ومساحته بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين ٩٨٣٢٧ متراً مربعاً .

والحق يُقال : إن مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة المسجد النبوي الشريف مشروع عظيم كبير في سعته وضخامته وتصميمه وسرعة تنفيذه .

ذلك أن خادم الحرمين الشريفين بذل كل الطاقات البدنية والمالية واتجه الاتجاه الكامل لخدمة الحرمين الشريفين وراحة حجاج بيت الله الحرام وزائري مسجد رسول الله ﷺ . وكثير من المشاهدين لهذه العمارة من داخل البلاد وخارجها من مهندسين وفنيين يقف واحد منهم متفكراً مندهشاً معجباً فرحاً مسروراً بهذا المشروع .

وإنه لمفخرة للبلاد وأهلها ، وعمل صالح وصدقة جارية وذكر حسن لخادم الحرمين . نسأل الله أن يتم هذا العمل الخير حتى يراه خادم الحرمين كما تمناه وكما خطط له يصلي فيه مع إخوانه جموع المسلمين - نصف مليون مسلم - وهو في صحة وعز وهناء .

ولا ننسى مشروع مجمع المحاكم الشرعية في المدينة المنورة فإنه منحة من الفهد خادم الحرمين الشريفين مقيم الشرع والقضاء . فقد أصدر أمره حفظه الله ببناء مجمع للمحاكم واختار بنفسه الموقع في مكان حوش النورة جهة جنوب المسجد النبوي الشريف . وتم تصميم المبنى ليتحمل سبعة أدوار . وابتدأ العمل فيه بتاريخ ٢٠ / ٣ / ١٤٠٧ هـ بحفر الأساسات ودق الخوازيق ، فكان العمل فيه مثل العمل في توسعة المسجد ليل نهار . ووصل العمل الآن في

سقف البدروم ومساحة الموقع $55 \times 110 = 6050$ متراً مربعاً .

ويتكون المبنى من بدروم وأرضي وثلاث أدوار متكررة .
البدروم مخصص لمواقف السيارات ويتسع لـ (٨٧) سيارة وفيه
مستودعات وغرف للعمال والحرس وفيه جميع الخدمات .
والأرضي يشتمل على المدخل الرئيس والقاعة الرئيسة والمصاعد
والسلالم والمداخل الفرعية . كما يشتمل الأرضي أيضاً على ثمانية
أجنحة قضائية ، وأقسام الأرشفة وغرف انتظار المراجعين
وخدمات . ويشتمل الدور الأول متكرر على جناح لرئيس المحاكم
وجناح للمساعد وجناح للإدارة ومكاتب أخرى وصالات انتظار
وخدمات . ويشتمل كل واحد من الدورين المتكررين الثاني
والثالث على ثمانية أجنحة قضائية ومكاتب للموظفين بالإضافة إلى
صالات الانتظار والخدمات .

والمساحة الإجمالية للمبنى ٢٦٣٥٨ متراً مربعاً . ويتنظر
الانتهاء من تنفيذ المجمع في آخر عام ١٤٠٨ هـ ، حسب برنامج
العمل الزمني وحسب ما نشاهده الآن من عمل متواصل وقوة
ونشاط .

وإن أهالي المدينة المنورة وعلمائها وقضاتها وجميع المسلمين
في جميع أنحاء العالم يشكرون لخادم الحرمين الشريفين الجهود
المباركة والبذل الكبير لتوسعة مسجد رسول الله ﷺ ولبناء مجمع
المحاكم الشرعية وغيرها من المشاريع الكبيرة لتطوير المدينة المنورة

وإظهارها بالمظهر اللائق الذي يريح المواطن والقادم والزائر . فجره
الله خير ما جزى إماماً عن رعيته .

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
هذا ما جرى اختصاره وأرجو المعذرة عن الخطأ والتقصير .
والحمد لله أولاً وآخراً .

عبدالله بن محمد بن زاحم

المواطن الصالح

الحمد لله رب العالمين ، جعل الوطن مأوى للمستوطنين
فيحصل التعارف والتآلف والتعاون والتكاتف . وجعل أُخُوَّةَ
الإسلام فوق أُخُوَّةَ النسب . وفوق الوطنية والقوميات . فالإيمان
عصمة المؤمنين . والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ،
أبر الناس بأتمته وأنصحهم لعشيرته وأتقاهم وأخشاهم لربه .

أما بعد :

فقد طلب مني الأخوان الفاضلان الدكتور / محمد العوفي
مدير المعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة والدكتور
عبدالكريم المطبقاني إلقاء محاضرة تحت عنوان «المواطن الصالح»
فأجبتهما لأستفيد لنفسي وأفيد من مثلي .

وأحببت أن أصدر ذلك بتعريف المحاضرة وتعريف الوطن
تمهيداً للموضوع ، ولإتمام الفائدة .

فأما المحاضرة : فقال في لسان العرب ص ٢٠٠ / ٤ :
«المحاضرة : أن يُحاضرَكَ إنسان بحقك ، ويذهب به مغالبه أو
مكابره . وحاضرته : جائيته عند السلطان» .

وقال في القاموس ص ١٠ / ٢ : «المحاضرة المجالدة والمجاثاة
عند السلطان وأن يعدو معك وأن يغالبك على حقك فيغلبك

ويذهب به» .

وعلى هذا - والله أعلم - ، فالمحاضرة : مفاعلة من الحضور ، فالمستمعون يحضرون من أجل المتكلم . والمتكلم يحضر من أجل «المستمعين» ولا تخلو المحاضرة من المناقشة بين المتكلم والمستمعين في بعض المسائل ولا تخلو من المغالبة فهي مرتبطة بالمعنى الذي ذكره القاموس ولسان العرب .

والوطن : هو المنزل يقيم به الإنسان ، وهو موطنه ومحل إقامته . قال رؤية بن العجاج :

كيما ترى أهل العراق أنني

أوطنت أرضاً لم تكن من وطني

والجمع أوطان^(١) .

ومن صفات النبي ﷺ : «أنه لا يُوطِنُ الأَماكن» أي لا يتخذ لنفسه مجلساً يعرف به^(٢) .

والمواطن : بفتح الميم والواو : كل مقام قام به الإنسان لأمر جمع موطن ؛ فمن ذلك : ما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله : «ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً عند موطن تنتهك فيه حرمة

(١) لسان العرب : ٤٥ / ١٤ .

(٢) النهاية : ٢٠٤ / ٥ .

ويُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ إِلَّا أَخَذَ لَهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلٍّ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ وَمَا مِنْ أَمْرٍ يُنْصَرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يَنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حَرَمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَشَاهِدُ الْحَجِّ تَسْمَى مَوَاطِنُ تَقُولُ إِذَا وَقَفْتَ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ فَادْعُوا اللَّهَ لِي وَلِإِخْوَانِي .

وَتَسْمَى مَشَاهِدُ الْحُرُوبِ مَوَاطِنَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ .

وَالْمَوَاطِنُ بَضْمُ الْمِيمِ وَفَتْحُ الْوَاوِ . قَالَ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (١) :
الْمَجَالِسُ .

وَالْوَطَنِي نِسْبَةٌ إِلَى الْوَطَنِ .

وَتَوَطَّنَ النَّفْسَ عَلَى الشَّيْءِ كَالْتِمَهِيدِ . يُقَالُ : فُلَانٌ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى كَذَا فَتَوَطَّنَتْ أَيُّ : حَمَلَهَا عَلَيْهِ فَتَحَمَلَتْ وَذَلَّتْ لَهُ .
قَالَ كَثِيرٌ عِزَّةٌ :

فَقَلَّتْ لَهَا يَا عِزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَّنَتْ لَهَا النَّفْسَ ذَلَّتْ

وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَمَا ذَكَرَ دَيْنَ وَالِدِهِ مِنَ الْعَجْوَةِ وَإِصْرَارِ الْغُرَمَاءِ عَلَى أَخْذِ الْعَجْوَةِ قَالَ : وَقَدْ

(١) تاج العروس : ٣٦٣ / ٩ .

وطنت نفسي أن أشتري لهم من العجوة (١).

فدعى له النبي ﷺ فوفى نخابه الغرماء وزاد .

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في شأن خروج
يأجوج ومأجوج إذا أهلكهم الله وانقطعت أصواتهم طلب
المسلمون من يكشف لهم الخبر . قال : فينزل رجل قد وطن نفسه
على أن يقتلوه فيجدهم موتى .

وأما ما جرى على ألسنة الناس من قولهم : (حب الوطن من
الإيمان) . ويعتقد بعض الناس أن ذلك من قول النبي ﷺ . فقد
قال - المحققون - : ليس بحديث . وقال بعضهم : إنه موضوع ،
فقد قال في كشف الخفاء (٢) : « قال الصاغاني (٣) : موضوع » . وقال
في المقاصد : لم أقف عليه . وقال القاري : لا تلازم بين حب
الوطن وبين الإيمان ، فهناك من يحب وطنه وهو غير مؤمن . قال
تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا
فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ
تَثْبِيثًا ﴾ (٦٦) [النساء : ٦٦] .

وقال بعض العلماء : إنه لا منافاة بين حب الوطن والإيمان فقد

(١) المسند : ٣ / ٣٧٣ .

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس : ١ / ٤١٣ رقم الحديث ١١٠٢ ، وكشف الخفاء
لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي .

(٣) الصاغاني حسن بن محمد الصاغاني مؤلف المشارق .

يحبّه المؤمن وغير المؤمن .

وقول بعض الناس : حب الوطن قتال ، ليس بحديث ، وإنّما هو من كلام الناس . قال في كشف الخفا^(١) : قال النجم أي - محمد نجم الدين الغزي^(٢) - : ليس بحديث وفي معناه : ما رواه الدّينوري في المجالسة عن الأصمعي قال : قالت الهند ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان : الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهداً بعيداً ، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدباً ، وإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً .

وفيها أيضاً عن الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه . والإسلام لم يعتبر الوطنية ولا القومية رابطة بين المسلمين وإنما الرابطة حبل الله المتين (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) .

فالمواطن الصالح هو الحكيم اللبيب الكيس الفطن الذي ينظر في عواقب الأمور ونتائجها . ويصلح ما بينه وبين ربه وما بينه وبين الناس . ويقدم المصالح العامة على المصالح الخاصة . ويحب لإخوانه ما يحب لنفسه . ويبذل الندي ويكف الأذي ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر بالحكمة ، والموعظة الحسنة . ويصبر

(١) كشف الخفاء : ١ / ٤١٥ .

(٢) محمد نجم الدين الغزي في كتابه اتفاق ما يحسن من الأخبار .

ويتحمل ويدفع بالتي هي أحسن السيئة . وملاك ذلك القوة والأمانة، فبالقوة تحصل المحافظة على الحقوق والقيم . وبالأمانة تؤدى الحقوق إلى أهلها .

ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
«أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوي» .

وما من نبي ولا رسول إلا ويتصف بتلك الصفتين : القوة والأمانة، ويؤمر بهما . قال الله تعالى في شأن آدم عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [١١٥] . [طه : ١١٥] . فلما وقع في المعصية وأناب إلى الله والتجأ إليه : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [١٢٢] ﴿ [طه : ١٢٢] . هداه إلى كل شيء فيه نجاته وطاعة ربه ومعصية عدوه . ومن ذلك القوة والأمانة .

ونوح عليه السلام من قوته قال : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] .

وقال ﴿ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ .

ومن أمانته : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) ﴿ [نوح : ٢ - ٤] .

وقال : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ (١١) ﴿ [نوح : ١٠ ، ١١] .

وقال هود عليه السلام : ﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ [الأعراف : ٦٨] .

وقال صالح : ﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٦٢] .

ولوط عليه اسلام أنكر على قومه فعل الفاحشة ووصفهم بأنهم مسرفون وأنهم مجرمون وحذرهم من عاقبة سوء فعلهم .

وقال شعيب : ﴿ ... وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ [الأعراف : ٩٣] .

وموسى عليه السلام دخل على الجبار الطاغية فرعون فقال : ﴿ ... يا فرعون إني رسول من رب العالمين ﴾ [١٠٤] حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل ﴾ [الأعراف : ١٠٤ ، ١٠٥] .

والقوة توطن الرجل لحمل المسؤولية والنهوض بالواجب في عزم وحزم .

والأمانة أساس كل خير في أمور الدين والدنيا . في العقيدة وشرائع الدين والحقوق بجميع أنواعها : الأموال والأعراض والدماء . وإنجاز الوعد . والحب في الله ومخالقة الناس بخلق حسن .

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» فتح ١ / ٥٣ .

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم» .

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يَرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَاها اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَهَا يَرِيدُ إِتْلَافِهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ» .

واجتماع القوة والأمانة في الناس قليل حتى في عهد الخلافة الراشدة . فقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : (اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة) . لكن يكون الصلاح بحسب ما في الشخص من خصال الخير .

والتناصح والإخلاص من قواعد الصلاح . ومن أصول الإسلام كما قال الرسول ﷺ في حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه عند مسلم أن النبي ﷺ قال : «الدين النصحية» قلنا لمن ؟ قال (لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) (١) .

فليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح من يأتي بالمسكرات

(١) مسلم : ١ / ٧٤ .

والمخدرات والمحرمات يبيعها على المسلمين ويروجّها في أسواق المؤمنين .

وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح من يأتي بالأفلام الخليعة التي تدعو إلى الدعارة . وتهدم الأخلاق وتفسد الشباب والشابات .

وليس بمؤمن ناصح ولا بمواطن صالح الذي يعرض على المسلمين أفلاماً تُعلم الجريمة وتخطط للسرقة . وتجري على سفك الدماء وأخذ الأموال بالباطل . ولا التمثيليات التي فيها استهزاء أو تنقيص بنص من نصوص الشريعة ، وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح الذي يعتدي على أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم ظلماً وعدواناً ويخل بأمنهم ويسعى بالفساء بينهم وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح الذي يخدم أعداء الإسلام ويمهد لتنفيذ مخططاتهم في المسلمين ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ .

وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح الذي يتعامل بمعاملات محرمة تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل (مثل الدولار الصاروخي) ومثل اليانصيب ، ومثل مسابقة (جاسابا الدولية) تدعو للاشتراك بخمسة وستين دولار وبعد ثلاث سنوات يربح سيارة قيمتها خمسة وعشرون ألف دولار . ومثل اشترمني واربح خمسة وعشرين ألف دولار خلال ٤ - ٦ أسابيع مقابل دفع ٧٥ دولار وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح من التمس رضا

الناس بسخط الله والواجب الوقوف في جانب الحق والأخذ على يد السفينة وأطره على الحق .

وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن حقاً من يسعى بالوشاية بين الناس ليفسد القلوب ويؤبث النفوس ويستغل الموقف لنفسه يعكر الماء ليصيد فيه .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تبأغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ، ولا يخذله ، التقوى ههنا) ويشير إلى صدره ثلاث مرات (. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنابة ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » متفق عليه . وفي رواية لمسلم : « الدين النصيحة (ثلاثاً) . قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(٢) . . وهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان .
والنصيحة عناية القلب للمنصوح له . وهي كلمة جامعة

(١) رياض الصالحين : ١١٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم : ٥٤ .

تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً .

وقال الحسن : وقال بعض أصحاب النبي ﷺ : «والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله أن أحب عباد الله إلى الله الذين يُحِبُّون الله إلى عبادِهِ . ويُحِبُّون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحة » .

وبالبصيرة النافذة : (العقل السليم يسير الإنسان في هذه الحياة على صراط مستقيم) . ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الله يحب البَصَرَ النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب العقل عند حلول الشهوات»^(١) .

وواجب المواطن الصالح مع نُصْحِهِ لِإِخْوَانِهِ وَحُبِّهِ لَهُمْ كما يحب لنفسه الوقوف في جانب الشرع والإعانة على إنفاذ الحق . فلا يُؤْوِي محدثاً ولا يدافع عن مجرم . ولا ينقصُ المكيال والميزان يُورِّدُ لبلده وإخوته ما يضرهم في دينهم ولا في دنياهم ، ولا ينقض العهد ولا يخلف الوعد ، ولا يؤذي أحداً بلا حق ، ولا يُصِرُّ على كبيرة ، ولا يُداوم على صغيرة .

حق المسلم على المسلم ست :

إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس وحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه .

(١) السياسة الشرعية / ٢٠ .

هذه الخصال من اتصف بها فهو مواطن صالح ومؤمن ناصح ،
ومن رفضها أو خالفها فهو مواطن طالح ، ومسلم منافق .

تأملوا هذا الحديث ولفظه أبلغ من شرحه :

روى مسلم عن عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه أن أبا
سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال ونفر فقالوا : ما أخذت
سيوفنا من عدو الله مَأْخَذَهَا . فقال أبو بكر رضي الله عنه :
أتقولون لشيخ قريش وسيدهم؟! فأتى النبي ﷺ فأخبروه فقال : «يا
أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم
فقال : يا إخوانه أغضبتكم؟ قالوا : يغفر الله لك يا أخي .

هذا المواطن الصالح ، وهذه صفاته ، وهذه أعماله ، وهذا
سلوكه ، فيجب على كل مواطن مسلم أن يتصف بهذه الصفات
الإسلامية الخيرة ، ولا يهتم بدعايات المرجفين ، ودسائس
الحاسدين ، وأقوال الكذابين الذين يفترون على علمائهم ،
وينسون نعم الله عليهم ويجحدون جهود المواطن الصالح والعامل
الناصح .

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

١٤١٣/٣/٢٢ هـ

عبدالله بن محمد بن زاحم

صفة تغسيل الميت

- ١ - يوضع على السرير المخصص للغسل ، ولا يترك على الأرض
لئلا يسرع إليه الفساد .
- ٢ - يجهز الماء فلا يكون حاراً يفسد الجثة ، ولا بارداً لا ينقي ،
ويجعل في الغسلة الأولى سدر ؛ لأن السدر بارد وينظف
ويعطي الجثة منعة من الفساد مدة .
- ٣ - تستر عورة الميت من السرة إلى الركبة ، ويجرد ، ولا يحضره
إلا من يعاون على غسله .
- ٤ - يُلَفُّ الغاسل على يده لفافة ، ويصب عليه آخر . الرجال
يغسلون الرجل والنساء يغسلن المرأة .
- ٥ - ينحي الغاسل الميت وينظفه من الأذى بماء عادي ويضغط على
بطنه ليخرج ما كان متهيئاً للخروج وينوي الغاسل الوضوء ثم
ينوي الغسل عند البدء فيه .
- ٦ - ثم يوضأ الميت وضوء الصلاة كالحي فيبل الغاسل أصبعه ويمسح
بها أسنانه وشفتيه ومنخريه وإن كان هناك وسخ أزاله بخرقه ، ثم
غسل أعضاء الوضوء ويغير الغاسل الخرقه التي لف بها يده إذا
توسخت .

٧- يضرب الماء الذي فيه الصدر باليد أي يخلطه جيداً حتى تظهر له رغوة ، فيغسل بالرغوة الرأس والوجه ، ثم يغسل بالماء والصدر الشق الأيمن ، ثم الشق الأيسر ، ويدلك الغاسلُ بالماء الأعضاء وأجزاء الجسم لتنظيفها ويقلب الغاسلُ ومن يعينه الميت برفق ويغسل ظهره بغسله ثلاث غسلات ، وإذا زاد إلى خمس فهو أنقى وإذا لم ينظف فالإلى سبع ويجعل في الغسلة الأخيرة في الماء كافوراً ؛ لأنه يطيب الجسم ويشده فلا يسرع إليه الفساد .

٨- إن خرج من الميت وسخ بعد الغسلة الثالثة زاد الغاسل في الغسل ويقطعه على وترٍ وإن خرجت من الميت نجاسة بعد السبع حشي المخرج بقطن ، وإن لم يستمسك فيسده بطين حر .

٩- يُحَنِّط الميت بعد الغسل فيطيب أماكن السجود والمفاصل والمراق مثل العروس ويجعل في طبقات الكفن شيئاً من الخنوط ، ويجعل بين إلبتيه .

١٠- يكفن الرجل في ثلاث لفائف بثض يخالف بين أطرافها .

١١- وتكفن المرأة في خمسة أثواب : قميص ، ومئزر ، وخمار ، ولفافة تشد بها فخذها ولفافة يديها .

١٢- يضفر شعر المرأة ثلاثة قرون وتسدل من خلفها . ولا يمشط الشعر لئلا يسقط منه شيء وإنما ينفض ويغسل .

١٣- تربط اللفائف برباط من القماس ويوضع الميت على النعش ،

يرفع الغطاء عن جسمها مثل القفص .

١٤ - إذا كان الميت محرماً لم يتم نسكه فيجنب محظورات الإحرام . فلا يغطي رأسه ولا وجهه ولا يطيب ولا يجعل في كفنه طيباً ولا حنوطاً .

هذا ما تيسر . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآل وصحبه وسلم .

١١/١٠/١٤١٣هـ

رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة المساعد

عبدالله بن محمد بن زاحم

حديث عن الظلم

اعطيت لمدوب عكاظ في ٢٣/٧/١٤١٣ هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . . وبعد :

فإن الظل ظلمات يوم القيامة حرمه الخالق تعالى على نفسه وحرمه على خلقه فهو محرم في شريعة الإسلام وفي الشرائع السماوية كلها .

والظلم هو الجور وضده العدل والحكمة وهو معصية الله تعالى ومخالفة أمره سواء فيما بين العبد وبين ربه أو فيما بين خلق الله كله ظلم محرم .

قال تعالى ﴿ وأما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاب نكراً ﴾ ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ . ﴿ لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ﴾ .

وعن جندب بن جنادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) .

وإن شر الظلم وأقبحه بعد الشرك بالله اعتداء جار على جاره يسفك دمه و وينهب أمواله وهتك حرماته وتشريد أطفاله ونسائه ، كما فعل صدام حاكم العراق بجارته الكويت فكان اعتداؤه مع غفلة

على غرة في ظلمة الليل رغم ما بينهما من عهود ومواثيق ورغم ما أعطى من وعود فنقض الميثاق وأخلف الوعد وخان العهد. وأدعى بأن الكويت جزء من العراق وهي دعوى كاذبة يردها التاريخ فإن الكويت مملكة آل صباح من مئات السنين.

إن فعل صدام بالكويت ظلم كبير وعدوان سافر أغاظ قلوب المؤمنين الصادقين وجرح قلوبهم وامتدت آثاره إلى البشر. كنا نعد صدام أخاً في الإسلام وابن عم في اللغة وصديقاً صادقاً وجاراً أميناً فوقف معه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وأمير الكويت مواقف مشرفة في محنته مع إيران وشدا عضديه وأقاماه على ساقيه وبذلاً له متطلباته بنصح وصدق وسخاء وطيب نفس. (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان).

إلا أن صدام مع الأسف أخلف الظن وخاب فيه الأمل لقد كشف صدام نفسه بأفعاله في الكويت وحديث خادم الحرمين الشريفين مع علماء الإسلام كشف القناع عن وجه صدام وشرقه بريقه وأما خطاب الملك فهد الذي أجاب به صدام فالقمة حجراً عض به

ومع هذا فلم يدخر الملك فهد وسعاً في إنهاء الأزمة بسلام ومطالبة صدام بسحب قواته ورد المظالم إلى أهلها وإعادة البلاد إلى حكامها الشرعيين وعلماء المسلمين الذين يعتد بهم أجمعوا على أن اعتدائه على الكويت ظلم وطالبوه وناشدوه الإنسحاب من

الكويت فأبى وبينوا له الاحكام والنصوص فرفضها .

والذي يظهر أن صدام أخذ هذه الاعجاب بالنفس والغرور وقصر النظر ودنوا التفكير فلم يستجب وبذلت هيئة الأمم جهدها لحل أزمة الخليج بسلام فأبى صدام إلا الاستمرار في الظلم والعدوان وانتهاك المواثيق والعهود واتباع نظام الغاب القوي يأكل الضعيف .

وإنما جعلت هيئة الأمم المتحدة لتمنع الظالم عن ظلمه بالقوة ولتكون في صف المظلوم حتى يعاد إليه حقه فلما أعياها صدام بالسلم لم يبق إلا الحرب فلا يمكن أن يسمح أحد لصدام أن ينفذ طيشه وغروره وينفذ إرادته الشاذة واطماعه المتكررة فقامت الحرب بين العدل وأعدائه ضد الظلم والطغيان والذي أقام الحرب هو صدام وهو المسئول عن كل ما ينتج عنها . سياسياً وادبياً واقتصادياً واجتماعياً .

صدام هو المسئول عن كل ما ينتج عن تصرفاته ولا أرى هذه الحرب إلا عقوبة من الله على صدام فكان اعتداؤه على الكويت الساعة الثانية يوم الخميس أول الشهر .

فكان عقابه مقابلته بمثل ما عمل صارت الغارة عليه في نفس الأوقات التي اعتدى فيها على الكويت إن عاقبة الظلم وخيمة وما أسرع عقوبة الظالم فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب حتى لو كان المظلوم غير مسلم فما بالك أخى المسلم بظلم المسلم والظالم

دائماً مخذول مدحور مهزوم يبعضه الله ويبغضه عباد الله ،
ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . وماللظالمين من نصير .

ولهذا حذر منه الرسول ﷺ فعن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه أن رسول الله ﷺ قال : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم
القيامة (رواه مسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم
القيامة) إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته (متفق عليه
وقال لمعاذ رضي الله عنه (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله
حجاب) متفق عليه

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى صحبه أجمعين .

عبد الله بن محمد بن زاحم

إلى إخواني المسلمين في كل مكان

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . . . وبعد :

فقد اطلعت على نسخة من الأوراق التي توزع المشتملة على قصة مزعومة ، بأن فتاة عمرها « ١٢ » سنة كانت مريضة مرضاً شديداً أغيا الأطباء علاجها ، وفي ذات ليلة اشتد المرض عليها وبكت المسكينة حتى غلبها النوم ورأت وهي في منامها السيدة زينب أنها وضعت في فمها قطران ، وبعد أن استيقظت من النوم وجدت نفسها قد شفيت من مرضها تماماً ، وطلبت منها السيدة زينب : أن تكتب هذه الرواية « ١٢ » مرة وتقوم بتوزيعها على المسلمين والمسلمات لينظروا إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ، وأن الورقة الأولى وقعت في يد فقير فكتبها ووزعها على الناس ، وبعد مضي أيام قليلة شاء الله أن يغتني هذا الفقير ، والنسخة الثانية وقعت في يد عامل أهمل كتابتها وبعد مضي اثني عشر يوماً « ١٢ » فقد كل ما يملك من ثروة ، ثم دعا زاعم القصة إخوانه المسلمين إلى كتابتها « ١٢ » نسخة وتوزيعها على الناس لينال كل ما يتمناه بإرادة

الله . أ . هـ .

وأنبه إخواني من المسلمين والمسلمات أن هذه القصة يرد آخرها على أولها ويبين أنها قصة مختلفة لا أصل لها ، ولعل المراد من اختلاق هذه وأمثالها اختبار عقول المسلمين ، وفحص إيمانهم وهل لديهم عقول واعية تدرك الحقائق وتعرف دينها وقواعده وتعرف الدسائس والخرافات والدجل والترهات ؟ وهل لديهم إيمان قوي بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسول الله ﷺ ؟ أم أنهم أصبحوا كلهم رعاعا مع كل صاعق وناعق ، ول مناقشة القصة المزعومة وأخذ الرد عليها من بعضها ، أقول :

من هي السيدة زينب هذه رحمها الله ؟ أهى بنت علي رضي الله عنهما أخت الحسين . فقد ذكر نصر الدين الزركلي أن زينب بنت علي رضي الله عنهما كانت مع أخيها الحسين حينما قتل ونقلت إلى الشام ولم يذكر في كتب التاريخ أنها جاءت إلى مصر لا في الحياة ولا بعد الممات ، وذكر في الإصابة بأن زينب بنت علي رضي الله عنهما ولدت في عهد رسول الله ﷺ وتوفيت سنة ٦٢ هـ ، وأنها كانت مع أخيها الحسين ، ثم نقلت إلى دمشق مع أختيها فاطمة وسكينة رضي الله عنهم .

أم أن السيدة زينب المعروف قبرها في القاهرة هي زينب بنت يحيى بن زيد بن الحسين رضي الله عنه ورحم الله من بعده ، فقد ذكر خير الدين الزركلي في الأعلام أنها توفيت سنة ٢٤٠ هـ ،

بعض الناس وإنَّما الدولة الفاطمية هي التي أنشأت هذا الضريح وعظمته وجعلت عليه قبة وحثَّت الناس على تقديسه كسائر الأضرحة الموجودة هناك لتعليق قلوب المؤمنين بغير الله ، فالله حسبنا وحسب كل مؤمن وهو نعم الوكيل .

وعلى كل حال تأمل أخي المسلم هذه القصة المزعومة ليظهر لك كذبها فلا يخفى على من له عقل فطن ونظر في قواعد الشريعة لا يخفى عليه أن ذلك كذب من وحي الشيطان لما يأتي :

أولاً : من المعلوم من الشرع والعقل والعرف أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، كما قال ذلك ﷺ في الحديث الصحيح : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

وأما العرف : فمن أول الدنيا إلى الآن ما عرف حقاً أن ميتاً نفع أحداً من الخلق ، وما يقال عن الأموات واتصالهم بالأحياء فإنَّما هي أوهام دعاة القبور الذين يتعلقون بغير الله لإيهام العامة وتضليلهم والسيطرة عليهم .

ثانياً : قارن بين عمر الفتاة المزعومة وعدد النسخ المطلوبة وعدد الأيام المزعومة لتعلم أنها رواية مفتعلة مكذوبة .

ثالثاً : المعروف أن القطران مادة سامة لا يؤخذ عن طريق

الفم ، وإنما يُطَلَّى به الجرب الذي يصيب الحيوان ويُطَهَّرُ بها بعض الجروح وهي في يوم القيامة من أنواع العذاب . قال تعالى : ﴿ سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ۖ ﴾ [إبراهيم : ٥٠] .

رابعاً : قد وصلت هذه القصة المزعومة إلى أناس مزقوها وردوا عليها ولم يزدادوا إلا القوة والتوفيق والخير الكثير ، ووصلت إلى آخرين سذج مخدوعين ووزعوها فلم يصبهم خير بل حصل لهم ضعف اليقين ، وتصديق الكذابين والتعلق بغير الله .

فيا أخي المسلم : أنت في زمن قل فيه الوازع والرادع فستري من أعدائك وأعداء عقيدتك ومن دعاة الضلال اختلافاً كثيراً فعليك بكتاب الله وسنة نبيك وسنة الخلفاء الراشدين وسلف الأمة وكن ثابت الإيمان قوي الشكيمة ذكياً فطناً ولا يلدغ مؤمن من جحر مرتين .

وصلّى الله وسلم على البشير النذير وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

أخوكم/عبدالله بن محمد بن زاحم

من أحكام سورة النور

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

يقول الله تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سُورَةُ
أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾
[النور].

هذه هي سورة النور تشتمل على كثير من الأحكام التشريعية
الواضحة الجلية . ألزم المشرع سبحانه خلقه العمل بها .

إنها تشتمل على أحكام اجتماعية وتربوية لإصلاح المجتمع
المسلم والفرد المسلم والأسرة المسلمة . فالإسلام يهتم كل الاهتمام
بالأخلاق ونظافتها وطهارتها ؛ لأن الأخلاق الرفيعة العالية الطيبة
تنير القلب وتنير الحياة وتربط بين الإنسان وبين النور الإلهي الشامل
نور السموات والأرض ونور الإيمان وقلب المؤمن ، أما انحطاط
الأخلاق فهو غشاوة على القلب تحجب عنه النور .

وهذه السورة الكريمة سورة النور تدور على نظام التربية

والتعليم تربية الأخلاق وتربية السلوك ، وتربية التواصل . في البيت ، وخارج البيت . ووضع الحلول التي تعالج الانحراف عن السلوك الصحيح . وسأشير - إن شاء الله تعالى - بصفة إجمالية إلى هذه الأحكام ؛ تقريباً للفائدة ولعلي أتحدث عنها بالتفصيل في أحاديث أخرى .

١ - الحكم الأول : حد الزنا في قوله تبارك وتعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢] .

٢ - الحكم الثاني : انفصال الزاني من المجتمع المسلم المؤمن وبراءة المؤمنين من حاله في قوله تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣] .

٣ - الحكم الثالث : حد القذف وحكم القاذف في السلوك الاجتماعي في هذه الدنيا في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥) [النور: ٤ ، ٥] .

٤ - حكم اللعان : إذا أصر الزوج على قذف زوجته بالزنا أو

نفي الولد منها في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) ﴾ [النور] .

٥ - الحكم الخامس : قصّة الإفك ، وبيان عاقبة القاذف عند الله تعالى يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) ﴾ [النور] .

وما بعدها من الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) ﴾ [النور] .

٦ - الحكم السادس : في آداب دخول البيوت سواء كانت عمائر أو فلل أو شققاً أو خيام أو بيوت شعر في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) ﴾ [النور] .

٧- الحكم السابع : بيان أسباب الوقاية من الوقوع في المحرم .

وأسباب النظافة والطهارة في السلوك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ
لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى
جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ
أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ
يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ
وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور] .

٨- الحكم الثامن : الحث على الزواج والترغيب فيه وبيان أنه

سبب للرزق بإذن الله في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢] . والآية بعدها .

ثم عقب على هذه الأحكام بتأكيد ما سبق في أول السورة بأن
هذه الآيات البينات منزلة من عند الله يجب العمل بها فلا لبس فيها
ولا غموض . إنما أنزلت للناس لإصلاحهم وما ينتفع بها إلا
المتقون . فهم الذين يهتدون بنور الله الذي أشرق له السموات
والأرض وصلاح به أمر الدنيا والآخرة . واستضاء به قلب المؤمن .

أما غير المؤمنين فهم في ظلمات ومتاهات ، تحيط بهم من كل

جانب أينما توجهوا . والكل خلق لله وملك لله . وكل ما في السموات والأرض خلقه وملكه الكل يمجده ويعظمه ويقده أما بلسان المقال أو بلسان الحال . فمن اهتدى فإنما يهتدي بفضل الله وكرمه . ومن ضل فإنما يضل بعلم الله وعدله .

ثم بين سلوك المؤمنين مع القيادة المسلمة والانقياد لأحكام الله ، وسلوك المنافقين الذين يظهرون الإيمان بالسنتهم ويكون الكفر في نفوسهم . وبين أن العاقبة الحسنة والفعلية والتمكين تكون للمؤمنين لإقامة العدل والإصلاح لا لمجرد السلطة والقهر .

٩ - الحكم التاسع : في آداب الأسرة في داخل البيت وفي تواصل الأسرة والقربة والصلة بالقيادة العامة . فالحكم السادس المتقدم في آداب دخول البيوت . وهذا الحكم في آداب دخول الحجرات في البيوت والتواصل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفَوْا الْحِلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ [النور: ٥٨] . إلى خاتمة السورة التي يختتمها بالترغيب والترهيب والحث على التقوى ومراقبة الله تعالى في السر والعلن ، لأنه مالكمهم ويطلع على ما هم فيه . ومآلهم إليه .

وإلى اللقاءات في حديث آخر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

حكم الزاني

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) [النور] .

الزنا جريمة شنيعة وفاحشة كبيرة فيها الخنا والردى ، والزنا هو أخطر المعاصي على المجتمع . وأكثرها فساداً في الأرض ، فيه جرأة على رب العالمين بانتهاك محارمه والتعدي على حدوده ، وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على أخلاقه وفضائله وباختلاط أنسابه . وفيه خيانة للفراش والأسرة بانتهاك حرمة والتعدي على حقوقه . وفيه خيانة للمرأة وغدرٌ لها بإراقة ماء الحياء من وجهها وتمزيق كساء العفة عنها . وفيه هدم مستقبل المرأة والقضاء على حياتها الزوجية ، وفيه كسرٌ لشرف أسرتها وإرخاء لرؤوسهم وتحطيمٌ لمعنوياتهم .

والزنا جريمة على النطفة بوضعها في رحم حرام ، تنسب لغير نسبها وترث غير مورثها ، ويحرم عليها غير محارمها ، ويحل لها ما لا يحل لها والنطفة ما خلقت للعبث بها وما جعلت الغرائز الجنسية للعب بها ، إنما خلقت لقصد شريف وحكمة بالغة . لتكثير النسل وإبقاء الخلافة الطيبة الطاهرة في أرض الله ، والزنا جناية على الجنين . إما أن يواد في أول أطواره ظلماً وعدواناً أو يوضع في

دور الحضانة لا أم ولا أب . يفقد حنان الأم وعطف الأبوة ، ثم يكون حسيراً في حياته لا عشيرة له ولا قرابة .

الزنا عقوبته عاجلة وآجلة ، فإن كان خفياً كانت عقوبته العاجلة حسرة الضمير وضيق النفس . والنكد والهم . خشية أن يطلع عليه أحد ويعرف سره يسلب على نسائه من ينتهك حرمة كما انتهك حرمة الناس ، وإن كان الزنا ظاهراً في المجتمع فلم ينكر سلط الله عليهم ذلاً وهواناً وابتلاهم بالأمراض والأسقام ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ونزع البركات ، والخوف والاضطراب ورفع الأمن والاستقرار . وجور السلطان ، وهذا مشاهد بالعيان ، ومن أجل ذلك حرم الإسلام الزنا وقاومه أشد مقاومة . ورتب عليه عقوبة تربوية إصلاحية رادعة .

ولعظم جريمة الزنا قرنه الخالق تبارك وتعالى بالشرك وقتل النفس فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠] .

إن في اتباع الزناة في قضاء وطر النفس ورغبتها طريق شيء وعمل فحش ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) ﴾ [الإسراء] .

قال ﷺ : « يا معشر الشباب اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال :
ثلاث في الدنيا ، وثلاث في الآخرة . أما التي في الدنيا : فيذهب
البهاء ، ويورث الفقر وينقص من العمر . وأما التي في الآخرة :
فسخط الله سبحانه وتعالى ، وسوء السحاب ، وعذاب النار . »

وأما حد الزنا وعقوبته ، فإن كان الزاني بكرًا لم يسبق أن
تزوج في عقد صحيح فحده جلد مائة جلدة ، وتغريب عام وأما
المحصن فحده الرجم بالحجارة حتى يموت ، وكان الحكم في أول
الإسلام تعاقب المرأة الزانية بالحبس في البيت إلى الممات ﴿اللاتي
يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا
فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً
(١٥)﴾ [النساء] .

ويعاقب الرجل الزاني بالإيذاء وبالتعيير واللوم . فنسخ ذلك
بهذه الآية : ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا
تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين (٢)﴾ [النور: ٢] .

كما روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنا نقرأ :
(والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) .

ورجم ﷺ ماعز والغامدية .

وفي قصة العسيف أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا
رسول الله : إن ابني كان عسيفاً (أي أجيراً) عند هذا - رجل من

اليهود - وزنى بامرأته فافتديت منه بوليدة ومائة شاة ، ثم أخبرني أهل العلم أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا ، الرجم فاقض بيننا ، فقال عليه الصلاة والسلام : «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله أما الغنم والوليدة فرد عليك ، وأما ابنك فإن عليه جلد مائة ، وتغريب عام . ثم قال لرجل من أسلم اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ، وروي في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله قال وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ : إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق . وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله .

وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف . وتأمل في المسألة قول الله تعالى : ﴿... وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) [النور] .

أي لا تحملنكم الرحمة والشفقة إلى تعطيل حدود الله إذا بلغت السلطان أي لا تساهلوا في إقامة الحدود ولا تنقصوها في العد أو الكيفية وقوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر تحريك لاهمهم والمشاعر للحث على إقامة حدود الله دون أخذ لومة لائم في

حق الله كما أمر بأشهار الحدود وأمام طائفة من المؤمنين لأنه ابلغ في التأديب وانكى في الزجر فيرتدع من تسول له نفسه الوقوع في مثل هذه الجريمة .

ويشترط في إقامة الحد : العقل والبلوغ .

وأما اللواط : وهو فعل الفاحشة بين ذكرين ، فقال بعض العلماء : إنه زنى وحده حد الزنا ، وقال بعضهم : ليس بزنا وإنما حكم أغلظ وأشد فيفعل باللوطي كما فعل الله بقوم لوط يلقي من أعلى شاهق ويرجم بالحجارة . وإتيان البهائم محرم ، والمساحقة بين النساء والاستمناء باليد لا يجوز وفيه التعزيز فيجب على المسلم أن يتجنب أسباب الرذائل وأن يأخذ بأسباب العفة والكرامة فقد أمرنا إسلامنا بذلك . عَفَّوْا تَعَفَّ نَسَائِكُمْ . « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء » أي وقاية . وينبغي تيسير الزواج وتسهيل تكاليفه وحفلاته « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » . نسأل الله تعالى أن يحفظنا جميعاً من كل سوء وأن يصلح بناتنا وذرياتنا وأن يصلح جميع المسلمين . إنه جواد كريم .

وإلى اللقاء إن شاء الله تعالى في حديث آخر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

زواج العفيفة بغير عفيف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

قال تبارك وتعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) [النور: ٢] .

لما كان الزنا صفة سوء وخلقاً مذموماً محقوتاً ، فيه ما فيه من الأخطار الاجتماعية ، والدينية واختلاط الأنساب وفساد البيت والأسرة حرم على العفيف أن يتزوج بزانية ، وحرم على العفيفة أن تتزوج بزانياً وفي اقتران الزاني والزانية بالمشرك والمشاركة في هذه الآية لفظة لطيفة تدل على أن المؤمن العفيف والمؤمنة العفيفة ، لا يرتبط أحدهما مع الزاني لا في زواج ولا في وطء ولا في غيرهما وإنما ذلك من صفات الزناة والمشركين ولا يوافق عليه إلا البغايا والمشركون . فكما أنه لا يجتمع مؤمن ومشاركة في نكاح ولا مؤمنة مع مشرك في نكاح فكذلك لا ينكح العفيف زانية ولا تنكح العفيفة زانياً . وفيه أيضاً تقبيح للزنا وتنفير منه فالرجل المؤمن العفيف لا يرضى أن يكون فراشه قدراً موبوءاً ولا يرضى أن تشاركه في حياته وفي عاطفته امرأة لا تردُّ يدَ لأمس . ولا يرضى باختلاط نسله مع غيره . وكذلك المرأة المسلمة العفيفة لا ترضى أن تكون تحت رجل

زانٍ يعبث بالقيم والأخلاق . ويتجرأ على حدود الله ومحارم الناس .

وإنما المؤمن العفيف والمؤمنة العفيفة يريدان حياة زوجية طاهرة نظيفة متكافئة في الأخلاق والسلوك والديانة يريدان حياة زوجية كريمة شريفة وحياة مشتركة مبنية على أساس الدين والأخلاق والمشاعر الراقية .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره في سبب نزول هذه الآية :

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال : (كان رجل يُقال له مرثد بن أبي مرثد كان يحمل الأساري من مكة يأتي بهم إلى المدينة . قال وكانت امرأة بغية بمكة يُقال لها عناق وكانت صديقة له . وأنه واعد رجلاً من الأسارى في مكة يحمله . قال فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة . قال فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت إليّ عرفتني فقالت : مرثد . فقلت : مرثد . فقالت : مرحباً وأهلاً هلم فبت عندنا الليلة . قال : فقلت يا عناق حرم الله الزنا . فقالت : يا أهل الخيام : هذا الرجل يحمل أسراكم ، قال : فتبعني ثمانية ودخلت الحديقة فأنتهيت إلى غار أو كهف فدخلت فيه فجأؤوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي فأعماهم الله عني . قال : ثم رجعوا فرجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً

ثقيلاً حتى انتهيت حتى انتهيت إلى الإذخر . ففككت عنه حبله فجعلت أحمله ويعينني حتى أتيت به المدينة فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله : أنكح عناقاً أنكح عناقاً مرتين فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد على شيئاً حتى نزلت : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور] فقال رسول الله ﷺ يا مرثد : الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فلا تنكحها . رواه الترمذي والنسائي .

فالمرأة المعروفة بالفحش والفجور لا يحل للعفيف أن يتزوجها والرجل المعروف بالخبث والبغاء لا يجوز للمرأة العفيفة أن تتزوجه ولا يفعل ذلك إلا ديوث يرضى بالردى والخنأ في أهله .

والديانة كبيرة من الكبائر وبليّة من البلايا محرمة في دين الله . روى الإمام أحمد والنسائي رحمهما الله بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق بوالديه ؛ والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال ، والديوث » .

وعن ابن عمر أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر ؛ والعاق بوالديه ، والذي يقر في أهله الخبث » .

وفي حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول

الله ﷺ: « لا يدخل الجنة ديوث » . . ولهذا فالله سبحانه وتعالى حرم ذلك على المؤمنين .

فالذين يرتكبون الزنا لا يأتونه وهم مؤمنون حقاً ، إنما يكونون في حالة شهوانية أبعدتهم عن الإيمان ومشاعر الإيمان كما قال ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » . فالذي هذه حاله لا ترضى النفس المؤمنة . أن ترتبط معه لا في نكاح ولا في وصال . حتى يتوب . وهكذا الإسلام يعالج القضايا الاجتماعية ، وينظم الحياة للمجتمع ، ويحافظ على أخلاقه ومقومات عزه وكرامته .

وفيه تأديب وتربية تأديب للبغايا لعلمهم يتوبون إذا عرفوا أن المجتمع المسلم يمتهم . ولا يرتبط معهم بحال من الأحوال .

وفيه تربية للأهل العفة والحصانة وبيان أن حالهم أعلى وأشرف من أن ينزلوا إلى مستوى أولئك الزناة الذين انحطت أخلاقهم وانحرفوا عن الصراط السوي . وانحرفوا عن النظام الإسلامي في الأخلاق والسلوك .

وهكذا يربي الإسلام الأمة المسلمة ويجعل العفة والحصانة وحسن الأخلاق هو الأساس للحياة الزوجية المسلمة . والدين هو قوام كل شيء وصلاحه ولذلك أوصى النبي ﷺ أمته باختيار الزوجة الدينية في قوله عليه الصلاة والسلام : « تنكح المرأة لمالهها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه

البخاري ومسلم .

وروى ابن ماجه ، والبزار ، والبيهقي من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً : « لا تنكحوا النساء لحسنهن فلعله يُرديهن - أي حسنهن - ، ولا لمالهن فلعله يطغيهن وانكحوهن للدين ولأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل » أي : أفضل من امرأة جميلة حسية غنية لا دين لها .

أما إذا اجتمع الدين والجمال والمال والحسب والنسب . فذلك خير وأفضل وهذه هي خير النساء .

سُئِلَ الرسول ﷺ : أي النساء أفضل ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره » .

فينبغي لمن أراد أن يتزوج أن يتحرى ذات الدين فالدين هو العنصر الأساس لبناء الأسرة وتنظيم الأسرة وباقي الصفات مكملات .

وعلى هذا فإن الذين يذهبون إلى البلاد المعروفة بالفحش وعدم العفة أهلها ويتزوجون بنساء معروفات بالزنا ، قد دخلوا تحت إطار النهي المذكور في الآية قد غلبته نفسه على دينه ، وغلبته شهوته على تفكيره .

وأما الذي يذهب إلى بلاد موبوءة بالأمراض الاجتماعية

والأمراض الدينية . فيتعرف على امرأة في الشارع أو في المقهى أو في غيرهما . ويتزوجها قبل أن يعرف دينها وأخلاقها الحقيقة هذا قد أخطأ وأساء التصرف . . ومثله كمثل مدخل يده في جحر في غابة فيها أنواع من الهوام . أو كغاطس في بحر لا يدرى ماذا يلاقه هل يجد درا أو شاذ وبا . وبهؤلاء قد غصت المحاكم لحل منازعاتهم . وبعد هذا كله يجب أن نعلم أن التوبة النصوح مطهرة ومأخية للآثام . ومصفية لآثار الخطأ والتصرف السيء . فإذا تاب الزاني أو الزانية ، وطاب عمله وحسن سلوكه . وطهر أخلاقه . وأحصن فرجه . قد زال عنه وصف الزنا .

نسأل الله تعالى : أن يحفظنا وجميع المسلمين من كل سوء . وأن يحفظ مجتمعنا من جميع الشرور . وأن يفتح بصائر المسلمين للتمييز بين الحق والباطل والطيب والرديء . وأن ينصر دينه ويعلي كلمته . وإلى حديث آخر إن شاء الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

حكم القذف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد سبق الكلام على الحكم الأول والحكم الثاني من أحكام سورة النور المباركة . وفي هذا الحديث سأتكلم إن شاء الله تعالى عن الحكم الثالث والحكم الرابع .

حكم القذف وما يترتب عليه . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ [النور: ٤، ٥] .

لما كانت سمعة الزنا جارحة مؤلمة تجرح العرض وتخدش الشعور العفيف وتثير الضغائن وتؤثر في الحالة الاجتماعية تخفض الرأس وتغمض العيون تفرق الأسرة وتشتت الشمل . فقد يتجرأ من لا خلاق له بقذف البرئاء المتعفين . ويشيعون الفاحشة في الذين آمنوا لأي سبب من الأسباب ولطمع من الأطماع . والإسلام هو نظام العدالة والحماية والحصانة وهو دستور الحق لا يرضى بالفوضى والعبث . ولا يرضى أن تُخدش كرامة مسلم بدون حق . ولا يرضى أن يجرح عرض أحد بلا أمر ثابت شرعاً .

لذلك وضع حدا يحمي أعراض الناس ، ويمنع الألسن من الإقدام على إلقاء التهم ضد المحصنين العفيفين .

فالرمي المذكور في الآية الكريمة : هو القذف بالزنا ، والمحصنات في هذه الآية هن العفيفات اللاتي حفظن فروجهن من الحرام . وبطلق الإحصان على ثلاثة معان :

أحدها : بمعنى العفيفات كما هذا الحكم ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ .

والثاني : بمعنى المتزوجات اللاتي في عصمة الأزواج . كما في سورة النساء ﴿وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ .

والثالث : بمعنى الحرائر ضد الإماء المملوكات . كما في قوله تعالى في سورة النساء : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٥) ﴿[النساء] .

فالقذف محرم وكبيرة من الكبائر ، قال ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا ما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ،

وقتل النفس التي حرم الله، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات
المؤمنات الغافلات « متفق عليه .

ويترتب على القذف في هذه الدنيا ثلاث عقوبات ، عقوبة
بدنية ، وعقوبة اجتماعية ، وعقوبة دينية ، جزاءً وفاقاً ، إيلام
بإيلام وتشويه بتشويه ، واستنقاص في الدين بمثله .

فالعقوبة البدنية يجلد القاذف إذا لم يثبت دعواه بأربعة شهود
عدول ، يضرب ثمانين جلدة ، إيلاماً لجسمه مقابل ما آلم به
المقذوف في نفسه وعرضه .

والعقوبة الاجتماعية ، ترد شهادته وتسقط عدالته ويلغى
اعتباره فيمشي بين الناس مهيناً ذليلاً لا يوثق بقوله ولا يعتبر خبره
وذلك في مقابل ما أشاع على المقذوف من بهتان وكذب .

وأما العقوبة الاجتماعية فهي اعتبار القاذف فاسقاً خارجاً عن
الصراط السوي والإيمان الحقيقي مقابل قدحه في دين المقذوف .

وهكذا الإسلام ينشر العدل ويسير بالأمة المسلمة في طريق
وسط قويم فكما أنه قاوم الجريمة وعاقب عليها . فهو كذلك يحفظ
الحقوق ويصون الأعراض .

ورحمة رب العالمين واسعة وأبواب التوبة مفتوحة على
مصاريعها دائماً وأبداً فمن رحمته شرع الحدود : ومن رحمته جعل
أنظمة لكل مرافق الحياة .

فهو سبحانه أعلم بطبائع خلفه وهو أعلم بما يصلحهم .

فليس لجاهل بشرائع الإسلام وأهدافه ومقاصده أن يقول إن الحدود فيها قسوة ، وليس لعدو حاقداً أن يستنقص شرائع الله باسم الحرية والمدنية تلك الحرية الكاذبة وإنما عبودية للهوى والشيطان . وتلك المدنية الماجنة فلا تعرف الفضل لمعطيه ولا الحق لمستحقه .

والتوبة هي طريق تصحيح الأخطاء وطريق الإصلاح . وهي سهلة ميسرة على أن من أراد الله به خيراً ، وشروط التوبة ثلاثة ، الندم على ما مضى والإقلاع عما أتى ، والعزم على ألا يعود . وإذا كانت المعصية فيها مظلمة لا حد كالقذف فلا بد من استحلال المظلوم فإذا تاب القاذف وأصلح من شأنه وعمل صالحاً زال عنه وصف الفسق ورفع عنه الخطر في شهادته وذلك من سعة الله تعالى بعباده وعظيم مغفرته لذنوبهم وأخطائهم .

أما الحكم الرابع من أحكام سورة النور فهو حكم اللعان كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠) ﴾ [النور: ٦ - ١٠] .

حكم اللعان مستثنى من حكم القذف ؛ لاعتبارات خاصة
وأحوال اقتضت الحكمة الإلهية استثناءه .

وسبب نزول آية اللعان يوضح ذلك .

روى الإمام أحمد من طريق سعيد بن جبير . والنسائي من
طريق عبد المحسن بن أبي سليمان . وروى البخاري ومسلم من
طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس . بأن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال
يا رسول الله : أرأيت الرجل يرى امرأته على فاحشة ؟ فإن تكلم
تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك . فسكت النبي
ﷺ فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال الذي سألتك قد ابتليت
به . فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...﴾ حتي
بلغ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فبدأ بالرجل فوعظه
وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . فقال :
والذي بعثك بالحق ما كذبت ثم ثنى بالمرأة فوعظها وذكرها .
وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . فقالت : والذي
بعثك بالحق إنه لكاذب . قال : فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات
بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من
الكاذبين . ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن
الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين .

فآية اللعان تيسر للأزواج صعوبة ما يناسب ذلك الموقف
الخرج فهو قبل نزول آية اللعان في مأزق ضيق ، بين السكوت لعدم

البينة خشية من حد القذف . فبقي يتجرع آلامه ويسف مله لقبح ما رأى وصعوبة ما شاهد . . وبين أن يجهر بما رأى وييوح بما يعلم فيطالب بالبينة أربعة شهداء وإلا فالحد .

فجاءت آية اللعان معالجة للموقف ، وفاتحة الطريق أمام الزوج المسكين وهناك فرق بين سكوت الإنسان على ما يراه من أجنبي فيستر عليه فإنه لا تلحقه به معرة ، وأما زوجته فيلحقه العار والنسب فالصبر صعب ولكن الله ذو فضل ورحمة واسعة والله سبحانه يعلم ما كان وما سيكون ويعلم أن قصة قذف الرجل لامرأته ستحصل ، وإنما أخر نزول الحكم ، حتى وقع ليكون أمكن في النفوس فتلقاه الناس بالقبول والعمل والاشتياق .

نسأل الله تعالى أن يصلح بناتنا وذرياتنا وأزواجنا ، المسلمين وأن يحفظنا وجميع المسلمين من كل سوء ومكروه ، وأن يعصمنا جميعاً بمرحمته . وأن يجعل لنا من رحمته ما يحول بيننا وبين معصيته إنه جواد كريم .

وإلى اللقاء في حديث آخر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

بسم الله الرحمن الرحيم

الناس فريقان

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فيقول
الخالق تبارك وتعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
(٢) [التغابن : ٢] .

الإنسان أعطي عقلاً وفهماً يميز بهما بين الطيب والخبيث .
وبين النافع والضار ، وأعطي حرية الاختيار فبرغبته يختار وبإرادته
يميز ، والزمن الذي يعيش فيه الإنسان إما ليل أو نهار . والطريق
الذي يسير عليه ؛ إما مستقيم الاتجاه أو منحرف . والسلوك الذي
يسلكه إما طيب أو خبيث . وقد بعث الله رسله يهدون عباده
ويدلونهم على الطريق المستقيم النير ويوجهونهم إلى عمل الخير ،
ويصفون لهم طريق الإيمان ويرغبونهم فيه ، ويحذرونهم عما
سواه ، وكله طريق كفر وضلال .

فكل إنسان يختار بقدرته ورغبته الطريق الذي يسلكه وكل
إنسان يسير على الاتجاه الذي يوافق رغبته وميوله .

وكل شيء بعلم الله واطلاعه وإرادته .

فليس أمام الإنسان إلا قاعدتان : قاعدة الخير أو قاعدة الشر .

طريق النجاة ، أو طريق الهلاك . سبيل المؤمنين ، أو غير المؤمنين ، وإذا أراد الإنسان أن يطبق الجزئيات على قواعدها فلينظر إلى الأقول ، والأفعال فإنها تعبر عن سريرة المرء واتجاهه .

وقد يحاول المنافق إخفاء سريرته لأي مقصد دنيوي فيظهر الإسلام ويبطن الكفر ، ولكنه لم يخرج بنفاقه عن طريق الكافرين بل النفاق من أشد أبواب الكفر .

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) ﴾ [التوبة: ٦٧ ، ٦٨] .

هذا فريق ، وهذه صفتهم ، وهذه عاقبتهم .

أما الفريق الآخر ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ [التوبة: ٧١ - ٧٢] .

فريقان متغايران متباعدان ؛ (فريق في الجنة وفريق في السعير)

لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم
الفائزون .

وإذا تأملنا جميع العالم بكامل قواه وعقلياته ، وبجميع أهدافه
وغاياته وجدناه لا يخرج عن إحدى القاعدتين ، ولا عن أحد
الفريقين والله سبحانه بإرادته الشرعية يريد أن يكون جميع خلقه
من أصحاب الجنة ويريد لهم السعادة والكرامة والنجاة . فبعث
إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب . ولكن الشياطين تضلهم
وتصددهم عن رسالة السماء وتؤزهم أزا . فالمعركة قائمة بين بني آدم
وبين إبليس وجنوده . لا تنفك أبداً حتى تقوم الساعة . فمن بني
ادم من هو مجاهد مكافح متبصر منتصر . ومنهم من مستسلم
مهزوم .

وواجب المنتصرين في المعركة أن يساعدوا المغلوبين ،
يساعدونهم على عدوهم المبين . إن المعركة لا تحتاج إلى صواريخ
وطائرات ودبابات وقوة نووية . إنما تحتاج إلى إيصال رسالة السماء
وهدي محمد ﷺ إلى أسماع هؤلاء كما وردت نقية صافية بصورة
يظهر فيها جمالها وبهاؤها ويسطع نورها .

وإن أعظم دعوة للإسلام الدعوة إليه بالعمل مع القول الصدق
في المعاملات ، في الأحكام ، في السلوك . إظهار محاسن
الإسلام على حقيقتها ، تعاطف وتراحم وتآخي . .

وهل تظنون أن إبليس وجنوده من الجن والإنس سيفسحون الطريق أمام الدعوة ؟ لا بل سيقفون أمامها وسيسدون الطرق في وجهها بكل ما استطاعوا . ولكن واجب المسلم الصبر والجهد والكفاح .

والمسئولية لا تقع على السلطات الرسمية وحدها . وإنما تقع على المجموعة فالأمانة محملة على الجميع والإسلام عقيدة الجميع ، والمصالح تعود على الجميع . والمضار مثل ذلك : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران] .

فإذا كان صفوة الخلق رسول الله ﷺ وجد معاندين ومكابرين للدعوة يقفون ضدها . ويعرقلون مسيرتها مع أن الوحي ينزل ، وجبريل يؤيده وجنود الله تنصره . ومع ذلك مكث ثلاثة عشر عاماً يدعو ويبشر وينذر ويكافح فلم يتسحب له إلا قليل . ولله في ذلك حكم وأسرار . يريد أن الدعوة تشق طريقها النظامي الكوني بالحجة والإقناع ؛ وأن يكون القبول لها بالاختيار والاقتناع لتكون أمكن في القلب وأثبت ، ولتكون المحبة لها والجهد كله في سبيلها مبني على الإخلاص والاحتساب ولايتها في يد حكومة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر . وتؤمن بالثواب والعقاب . تخاف من الله وترجوه إذا قيل لها اتق الله تذكرت عظمته وقدرته ، فتقيم العدل بين الرعية وتحكم بينهم بحكم الله فيحصل التعاون على البر

والتقوى ويحصل الأمن والاستقرار . ويحصل الرخاء والخيرات والبركات : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) [البقرة] .

إن المسلم منهجه واحد هو المنهج الموصل إلى الله . فيجب عليه أن يعمل بجميع شرائع الإسلام لا يجوز له أن يأخذ بعضها ويترك بعضها الآخر .

فإذا أقام الصلاة فليؤتي الزكاة ، وإذا صام رمضان فليؤد فريضة الحج إلى بيت الله الحرام ، وقد فرض في العمر مرة واحدة . وإذا أخذ بقول الله ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ فليأخذ بقوله : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وإذا أخذ بقوله ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ فليأخذ بقوله ، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ وإذا أخذ بقوله ﴿ يَحِلُّ لَكُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ فليأخذ بقوله : ﴿ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْخَبَائِثَ ﴾ وإذا آمن بالقرآن فليؤمن بقوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿ وَمَن لَّمْ

يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴿١٥٠﴾ . . إلى غير ذلك من
نصوص الأمر والنهي ، والإباحة والتحريم ليس أمام المسلم طرق
متعددة يختار منها ما يشاء . أو يخلط بعضها ببعض ، أو يسلك
هذا زمنا ثم يتركه ويسلك آخر .

ولا أن يتأرجح بين الطريقين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) ﴾ [النساء : ١٥٠] .

نسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين ، وأن ينصر دينه وأن
يعلي كلمته . إنه على كل شيء قدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

التجارة في الإسلام

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

تعريف التجارة في اللغة : البيع والشراء .

قال في القاموس : يقال تاجر للذي يبيع ويشترى ، والاسم تاجر ، وجمع التاجر : (تَجَارٌ) على وزن كتاب . وَتُجَارُ على وزن عُمَالٍ وَتَجْرُ على وزن صَحْبٍ ، وَتُجْرُ على وزن كُتِبَ .

ويطلق اسم التاجر في اللغة أيضاً على الرجل الحاذق في الأمر .

والتجارة مصدر (تَجَرَ) على وزن دَخَلَ والمصدر الآخر (تَجَرَّ) على وزن فجر وصحب .

وأما التجارة في اصطلاح العلماء فهي : التصرف في المال لطلب الربح الحلال كما ذكره الفخر الرازي (١٢٦/٧) سواء كان حاضراً أو في الذمة وسواء كانت المبايعة بدين أو بعين .

وفي عرف الناس الآن التجارة أخص من البيع والشراء . والبيع أعم ، فالتجارة لما يعد للكسب وتنمية المال ، والبيع : قد يكون للحاجة كدار للسكن .

والأموال قوة في وجه الأعداء ، تؤسس بها المصانع وتشتري

بها الآليات ويواسى منها المحتاج ، ويشتري بها آلات الجهاد .
ويتقوى بها على طاعة الله ؛ لذلك أمر الإسلام بحفظ الأموال
فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا
وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء] .

وقال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا
تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ
كَفُورًا ﴾ (٢٧) [الإسراء] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٢٩) [الإسراء] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ
إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴾ (٢٩) [النساء] .

وأمر بكتابة الدين للندب ، وبالإشهادات على البيع ؛ من
أجل حفظ الأموال وسد مداخل الشقاق والخلاف ، كما في آية
الدين في سورة البقرة .

كما أقر بالإنفاق من المال ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ
وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٥٤) [البقرة] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ... ﴿آل عمران: ١٨٠﴾ .

وقال تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ... ﴾ [محمد: ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿.. وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

﴿٩﴾ [الحشر]

فالإسلام في التجارة وسط لا يرضى بالكسل والخمول ، ولا يحل المكاسب المحرمة التي تعود بالضرر ولا يرضى بالتخزين والكنز والشح والبخل .

وكانت التجارة في الجاهلية الأولى تبنى على قاعدة واحدة هي : تكثير المال وجمعه من أي طريق دون مراعاة لقواعد التجارة الشرعية ما يحل وما يحرم ، وما هو طيب وما هو خبيث وما هو نافع أو ضار . ودون مراعاة لشعور أحد . ودون لفتة إلى فقير أو معسر يقولون : (إما أن تقضي وإما أن تربى) . وكانوا يسلفون على الماذيانات وقبل الجداول ، فجاء الإسلام فجعل لها نظاماً تسير عليه يحفظ المصالح ويدفع المفسد .

ومن مقاصد الشريعة الأساسية إبقاء المودة بين المؤمنين والتعاطف والتراحم والتعاون . ودفع كل ما يثير الشقاق والخلاف ، فنهى عن كل ما فيه جهالة وغرر . فنهى عن الغش والغرر والجهالة في البيع وأمر بإنظار المعسر إلى ميسرة .

وبالإحسان على الفقير واليتيم ومراعاة أحواله . فحثَّ على
القرض والعارية وتفريج الكربات .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا
خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨٠) ﴿ [البقرة: ٢٨٠] . وقال ﷺ : «من نفس
عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم
القيامة» .

حكم التجارة في الإسلام :

إنها جائزة بالكتاب والسنة والإجماع :

فمن الكتاب :

قال تبارك وتعالى : ﴿ ... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ... ﴾
[البقرة: ٢٧٥] .

وقوال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم
بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٢٩) ﴿ [النساء] .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن
رَّبِّكُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٩٨] .

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان
عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية . فلما جاء الإسلام
تأثموا فيها - أي تخرجوا أن يفعلوا ما كانوا يفعلونه في الجاهلية -

فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ [البقرة: ١٩٨] يعني في موسم الحج .

وأما السنة :

فكان الناس يبيعون ويشترون ويتجرون في عهد رسول الله ﷺ فأقرهم على التجارة وأوصاهم بالصدق والنصح والسماحة ، والمكاسب الحلال ونهاهم عن الغش والأيمان والكذب ، والعقود الربوية والمحرمة التي تؤدي إلى غرر ، وإلى شقاق ونزاع .

ونهاهم أن تشغلهم أموالهم وتجارتهم عن أداء الواجب وعن ذكر الله .

قال تعالى : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام : «التاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يوم القيامة» .

وقد رخص القرآن لمن يسعى في الأرض للتجارة في ترك قيام الليل ، كما رخص للمريض والمجاهد في سبيل الله وأمر بقراءة ما تيسر من القرآن ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نَّحْصُوهُ

فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ
وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ
أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ [المزمل] .

وقد أجمع علماء الأمة على جواز البيع والتجارة بالطرق
المباحة وبالصيغ المباحة ، وفي الأوقات المباحة ، كل العقود مباحة
إلا ما نصَّ الشرع علي تحريمه أو كراهيته .

وأما العقود المباحة ، فهو ما وافق الشريعة ، ولم يخالف ولم
ينه عنه .

وأما الأوقات المباحة فهو ما عدا الممنوعة منها التجارة مثل بعد
النداء الثاني يوم الجمعة ، فإن التجارة والبيع والشراء بعد الأذان
محرمة والعقد باطل ، لقوله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الجمعة] .

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون] .

فالتجارة والبيع والشراء لا غنى للإنسان عنها ، فلا بد له من
مأكول ومشروب وملبوس ، فلا يخلو مكلف غالباً من بيع وشراء .

والواجب على المسلم أن يعرف أحكام التجارة أي : البيع والشراء لئلا يقدم على فعل لا يعرف حكمه في الشرع . فيقع في المحذور .

وكانت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث من يقيم من الأسواق من ليس بفقيه . ويقول : لا تفسدوا علينا معائشنا .

ومكاسب التجارة من الطيبات التي أمر الله بها المؤمنين كما أمر المرسلين فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٥١) ﴿ [المؤمنون] .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١٧٢) ﴿ [البقرة] .

قال مجاهد : المراد بالطيبات هنا : التجارة .

وقال قتادة : من الطيبات ، أي : من التجارة .

التجارة رزق من رزق الله حلال من حلال لمن قصدها ، بصدقها وبرها .

وسئل رسول الله ﷺ : أي الكسب أطيب أو أفضل ؟ قال : «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور» .

وكان الخلقاء الراشدون وأصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من المسلمين يبيعون ويشتررون ما يحتاجون إليه .

هناك تجارة واضحة الصحة والإباحة .

وهناك تجارة واضحة الحرمة والمنع ، مثل : الربا والسلع المحرمة كالخمر والخنزير والميتة .

وهناك أمور مشتبّهات . فالواجب على المسلم أن يسلك الطريق الواضح وأن يتجنب الطريق الخبيث .

وأن يتحرّج من المشتبهات ، وأن يتركها ، من أجل الله لأن التماسي في المشتبهات يوقعه في المحرمات . «الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس» .

قال عليه الصلاة والسلام في حديث النعمان بن بشير :
«الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبّهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ^(١) ، ثم إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب» .

فإذا ترك الإنسان ما يشته فيه فهو لما تبين من الحرام أشد تركاً ، ومن تجرأ على ما يشك فيه يوشك أن يقع فيما استبان له . أي : استبان له أنه حرام .

(١) وفي روايه يوشك أن يرتع فيه ، ألا إن لكل ملك حمى .

هذه تجارة الإنسان مع الناس .

وهناك تجارة هي أرباح التجارات وبيع هو أرباح البيوع وهو التجارة مع رب الناس .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) ﴾ [الصف] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة] .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) ﴾ [البقرة] .

وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

وأما فائدة التجارة فهي تنمية المال وحفظه من التلف بسبب النفقات ، والصدقات . روى الإمام مالك رحمه الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : (اتجروا في أموال اليتامى فلا تأكلها الزكاة) .

والأموال من حيث هي : محبة للنفوس بطبيعتها من أجل
عمارة هذه الدنيا ومن أجل العمل وبذل الجهد في تحصيلها كما قال
تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [آل عمران] .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى
طَعَامِ الْمَسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا
(٢٠) ﴾ [الفجر] .

والإسلام ينظم حياة الناس وينظم معاملاتهم وتجاراتهم
ومكاسبهم لتحقيق المصالح لجميع الطبقات ، ودفع المفسدات عن
الجميع وإبقاء للإخوة والمودة بينهم . ودفع كل ما ينغص القلوب .
أو يفرق الشمل ويكدر الصفو ، فجعل نظاماً للتجارة . ويعرف
بنظام المعاملات ، أو البيوع .

والإنسان لا يحصل له إلا ما قدر له من المكاسب والأرزاق ،
وإنما الأسباب مطلوب فعلها ، والعمل مطلوب قال تعالى ﴿ نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ انظر كيف فضل بعضهم على
بعض ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ . « احرص على ما ينفعك
ولا تعجز » .

« لو أنكم توكلتُم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق

الطير.. الحديث» .

والأموال فيها قوام حياة الناس ، وفيها رفعة وعزة واستغناء
بها عن حاجة الإنسان إلى الذلة والمسكنة ومسألة الناس .
وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التفكر في ملكوت السموات والأرض

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

فيقول الله جل شأنه ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُوقِنُونَ﴾ إذا سمع الناس بمتحف يعرض فيه أنواع من الصناعات وبقايا من الآثار التي لها بضعة قرون تراهم يسارعون إليه للاستطلاع والاعتبار فإذا رأوا صنعة متقناً أو صنعة جميلة لطيفاً أو اثر قديماً اخذتهم الدهشة والإعجاب فيأخذون في الثناء على صانعها ويكبرونه ويعظمونه لمقدرته ومهارته وقوة صنعته ويتشوقون لرؤيته ولكنهم في الوقت نفسه يغفلون عن أعظم متحف فيه أنواع من الصناعات وأشكال من الموجودات فيه من الآثار القديمة التي يزيد تاريخ صنعتها على آلاف القرون فيه من المشاهد ما يدهش الإنسان ويذهل العقول فيه ما يسر الناظرين ويعجب المشتاقين وأبوابه مفتوحة ومالكه يدعو الناس لمشاهدته والانتفاع به لا يحتاج إلى بطاقات وليس عليه موانع أمر عظيم عجيب اشياء تعرض في الليل واشياء تعرض في النهار فتعال إليها المسلم تعال أيها الإنسان لننظر إليه ونتجول في ارجائه فسنجد كل ما يطلبه الإنسان وكل ما يحتاج إليه والأرض هذه الأرض نعيش عليها وما فيها من بحار وأنهار وجبال وأودية وسهول ورمال واشجار وما يحصل فيها من حبوب وثمار مختلفة ألوانها

واحجامها وطعمها مع أنها تسقى بماء واحد وتنبت في مكان واحد . وما أودع الله فيها من كنوز الذهب والفضة والاماس والياقوت والمعادن على اختلاف طبائعها وتفاوت منافعها ومضارها كلها قد اخرجها الإنسان واستخدمها في البناء والتطوير وفي الهدم والتدمير ﴿إن في ذلك لآيات لأولي الألباب﴾ ثم انظر أيها الإنسان ما على الأرض من الأناسي والحيوانات والحشرات فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ منها أنيس ومنها متوحش ، ومنها طيب ومنها خبيث . منها مباح كله ومنها محرم فيها عدو للإنسان وفيها صديق ثم انظر أيها الإنسان في نفسك فأنت معرض متكامل لصنع الله وآية عظيمه من آيات الله ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسهم أفلا تبصرون﴾ انظر في نفسك أيها الإنسان وتأمل في ذاتك تأمل الأجهزة العاملة في جسمك أوتوماتيكياً لا تطلب منك عناءً ولا جهداً انظر إلى حركات الأعضاء الاختيارية وغير الاختيارية تأمل في اصلك تراب ثم ماء وطين ثم دم نجس ثم قطعة لحم ثم جنينا ثم طفلاً وبشراً سوياً ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ومنكم يرد إلى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً مثلك يا ابن آدم كمثل النبات سواء بسواء يبدأ ضعيفاً ثم يقوى ويثمر ثم يعود هشماً تذروه الرياح

ثم إذا شاء الله نبت مرة أخرى كذلك النشور والبعث من القبور ﴿قُلْ يحييها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ .

انظر أيها الإنسان في موجودات البحار من حيوانات على اختلاف أشكالها والوانها واحجامها فمنها ما يعيش في الماء ولو خرجت لما تت كما أن الحيوانات البرية لو وقعت في الماء لغرقت ومنها ما يعيش في البحر والبر فسبحان الله خالق كل شيء ومتقنه ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ . ﴿يُخْرِجُ مِنْهَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾ ﴿اَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَالسَّمَاءَ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَالْأَرْضَ كَيْفَ سَطَحَتْ﴾ ثم انظر أيها الإنسان إلى السماء وما فيها من الأفلاك والكواكب لها ملايين السنين وهي مخلوقة تسير بانتظام ولم تتغير ولم تتأثر مع طول الزمن واستمرار الحركة هذه الشمس النيرة وما فيها من المنافع والمصالح للإنسان والحيوان والنبات وهذا القمر يبدأ صغيراً ثم يكبر شيئاً فشيئاً يوماً بعد يوم حتي يبدو بديراً ثم يعود في النقص حتي يختفي وانبساط تلك الأفلاك وتأثيرها بإذن الله في بعض الحركات في الأرض فالبحر يمد ويجزر تبعاً لزيادة القمر ونقصانه وتأثير القمر والشمس في إنضاج الثمار والحبوب وما فيها من منافع لمعرفة الأيام والشهور والسنين إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ثم انظروا إلى السحاب المسخر بين السماء والأرض كيف يتكون بمشيئة الله وقدرته ثم يتراكم كالجبال وإن شاء الله

امطر على هذا البلد وإن شاء ارسله إلى غيره وإن شاء الله أمسكه
وهذا الرعد القاصف والبرق الخاطف ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً
وطمعاً وينشيء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته
ويرسل الصواعق يصيب بهامن يشاء وهم يجادلون في الله شديد
المحال﴾ .

انظر أيها الإنسان إلى الطائر يحلق في جو السماء سواء كان
حيواناً أو صناعياً ما يمسكهن إلا الرحمن بقدرته وإرادته ولو
امسك عنها الطبقة الهوائية لسقطت ولو شاء الله أمرها فهوت .

فيا أيها الإنسان أيها المسلم تفكر في خلق السموات والأرض
وماتراه من مخلوقات الله وتأمل فيها فبذلك تحيا القلوب وبه تستنير
البصائر وتعرف الحق من الباطل وتعترف بالحق الواجب عليها لله
تعالى .

اللهم نور قلوبنا بالإيمان وافتح بصائرنا للتفكر في مخلوقاتك
وانفعنا بما وهبتنا من عقول ومدارك وأحينا مسلمين وتوفنا مسلمين
غير خزايا ولا مفتونين وصلى الله وسلم على نبينا محمداً وعلى
آله وصحبه وسلم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تسهيل المهود

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

فإنه من نعم الله على البلاد وأهلها أن تكون ولايتهم في إمام عادل يخاف الله ويرجوه ويتأثر بتأثرات رعيته يتحسس مشاكلهم الاجتماعية ويعيش في الجو الذي يعيشون فيه . ويعمل على حل المشاكل التي تواجه رعيته سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة .

وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله حينما يوجه عنايته لحل المشاكل التي تواجه هذا الشعب المؤمن السامع المطيع فإنما هو بدافع الإيمان بقواعد شريعة الإسلام التي تحث على الإخاء والتعاطف والتراحم وبعاطفة الأبوة والنصح والإخلاص لرعيته . أثابه الله وأدام توفيقه .

والدور الكبير والجهد العظيم الذي يقوم به أميرنا المحبوب أمير منطقة المدينة المنورة الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز والعمل المتواصل لرفع مستوى هذا البلد المقدس والتماس الحلول المناسبة للمشاكل التي تواجه المواطنين في هذه المنطقة ، إنما يدفعه إلى ذلك الإحساس بالمسؤولية وبِعَظَم الأمانة التي حمّله إياها خادم الحرمين الشريفين . والشعور بحق المواطنين . ومصدر ذلك كله القلب

الطيب الناصح والحيوية المتحركة والرغبة في الخير والإصلاح .

وإلا فنحن نعرف أنه ليس له من ذلك إلا التعب النفسي والبدني وصرف الطاقة الفكرية والزمنية . ومع هذا فهو يراها راحة له وأنساً ، فجزاه الله عن الجميع خيراً .

وإن هذا الاجتماع المبارك الذي ضم تحته خيرة من المسؤولين والمواطنين في هذه المنطقة نموذجاً لما أشرت إليه .

والشريعة الإسلامية حثت على الزواج وإحصان الفرج وتكثير النسل ورغبت في ذلك وجعلته عمل خير يثاب عليه . ولكن هناك مشكلة تقف أمام كثير من راغبي الزواج وهي مشكلة المغالاة في المهور والحفلات . فهي لازالت تتصاعد وتتعدد ، ولا زالت تشعب وتتوسع . فبعض الناس إذا كانت عنده مناسبة انتفخت رثته وأراد أن يأتي بشيء لم يسبق إليه ، وأن يكسب ثناء المدعوين . وأن يكون حفله أحسن من فلان وفلان . والواقع بالعكس يحصل على ذم العقلاء من الناس .

ولكي نعرف الوجهة الشرعية في المهور والحفلات . ينبغي أن نعرف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

فقد روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان صداق رسول الله لأزواجه اثني عشر أوقية ونشأً ، أي نصفاً .

وروى النسائي عنها أيضاً أنها قالت : ما أصدق رسول الله ﷺ أحداً من نسائه ولا بناته فوق اثني عشر أوقية .

وذكر الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تزوج امرأة من الأنصار وأصدقها وزن نواة من ذهب .

وتزوج علي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأصدقها درعاً قديماً من حديد .

وزوج النبي ﷺ امرأة من رجل على ما معه من القرآن . وتزوجت امرأة مسلمة رجلاً على أن يسلم . فأسلم فتزوجته .

وروى البيهقي عن أم العجفاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إياكم والمغالات في مهر النساء ، فإنها لو كانت تقوى عند الله أو مكرمة عند الناس لكان رسول الله ﷺ أولاكم بها . ما نكح رسول الله ﷺ شيئاً من نسائه ولا أنكح واحدة من بناته بأكثر من اثني عشر أوقية . وهي أربعمئة درهم وثمانون درهماً .

وإن أحدكم ليغالي بمهر امرأته حتى تبقى عداوة في نفسه فيقول لقد كلفت لك علق القربة .

وجاء أبو حذرر يستعين النبي ﷺ في مهر زوجته فقال : كم أصدقتها ؟ قال : مائتي درهم . فغضب عليه الصلاة والسلام وقال : كأنكم تقطعون الذهب والفضة من عرض الحرة أو جبل .

ذكره القرطبي . وفي رواية للنسائي : «لو كنتم تغرفون من بطحان ما زدتم» .

وحدث رسول الله ﷺ على القصد في الصداق . فروى النسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «من أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً» . وفي رواية : «أيسرهن مؤنة» .

وعنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «من يُمّن المرأة أن تيسر خطبتها وأن ييسر صداقها وأن ييسر وحماها» . وقال الراوي عروة ابن الزبير وعندي من أول شؤمها أن يكثر صداقها .

وقد أجمع العلماء على أن يستحب القصد في الصداق وتخفيفه ؛ للأحاديث المتقدمة . وكره بعض العلماء الزيادة على صداق النبي ﷺ لأزواجه أربعمائة إلى خمسمائة درهم أي : اثني عشر أوقية ونصف ، وإنما الخلاف بينهم : هل تجوز المغالاة أو لا تجوز؟

فقال القرطبي والرازي في تفسيريهما عن بعض العلماء أنه لا يجوز المغالاة ، وليس على جوازها دليل .

وآية النساء : ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠)﴾ [النساء] . قالوا : ليس فيها دليل على الجواز ؛ لأنه لا يلزم من جعل

الشيء شرطاً لشيء آخر كون ذلك الشرط في نفسه جائز الوقوع ؛
كقوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فلا يدل على
حصول الآلهة . وقوله ﷺ : «من قتل له قتيل فأهله بين خيرتين» .
ولا يلزم منه جواز القتل . وقوله ﷺ : «من بنى لله مسجداً ولو
كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة» . لا يلزم منه جواز بناء
مسجد كمفحص قطاة ، وإنما هذه عادة العرب في كلامها .
تضرب المثل بالكثرة والقلة ولا يلزم من ذلك جوازه .

وإذا تأملنا حال الناس الآن ، نجد كل واحد متذمر من الوضع
ولا نجد أحداً مسروراً بالحالة الراهنة .

لكن الناس يحتاجون إلى قيادة يتبعونها ويقتدون بها . وإلى
نظام يسرون عليه . فلو اتفق كل أهل بلد على جعل عرف بينهم
يبنى على اليسر والسماحة في المهور والحفلات ويلتزمون باتباعه
ويعييون من يخالفه .

وأرجو أن تكون هذه الدعوة التي وجهها الأمير عبد المجيد بن
عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة بناء على توجيهات خادم
الحرمين الشريفين إلى عقد هذا الاجتماع وأمثاله فيها خير وسداد .

وأن يوفق الإخوة الحضور إلى اتخاذ حلول مناسبة للحد من
هذا التصاعد والمباهاة والمغالاة ، وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه
من السماحة واليسر .

وصلی اللہ وسلم علی نبینا محمد وعلی آلہ وصحبہ وسلم .
والسلام علیکم ورحمة اللہ وبرکاته .

عبدالله بن محمد بن زاحم

الهجرة النبوية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

بمناسبة العام الهجري ، يطيب الكلام عن التاريخ الهجري وأسبابه وهجرة النبي ﷺ وأسبابها :

لم يكن للعرب قبل الهجرة النبوية تاريخ ثابت يتحدثون عليه ، فكانت كل قبيلة ، وكل أهل جهة يؤرخون بأهم الأحداث الطارئة على حياتهم مثل الخصب والجذب والحروب المشهورة وتحولهم من جهة إلى أخرى ، وبناء الكعبة ، فكان بنو إسماعيل يؤرخون بنار إبراهيم عليه السلام التي نجاه الله منها ، حتى بنى إبراهيم وإسماعيل البيت فكانوا يؤرخون به ، حتى عام الفيل فكانوا يؤرخون بعام الفيل ، حتى بنت قريش الكعبة فكانوا يؤرخون به ، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة ، فكانوا يؤرخون بالهجرة .

وكان خروج رسول الله ﷺ على ما ذكره المؤرخون من مكة إلى المدينة في شهر ربيع الأول ، ووصل المدينة في يوم الاثنين الثاني عشر خلت من الشهر المذكور . فلما أحس المسلمون بحاجتهم إلى تاريخ رسائلهم وكتاباتهم جمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس ، وتشاوروا فاتفقوا على أن يكون التاريخ بمهاجر رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان فرقاً بين الحق والباطل

وتحولاً كبيراً في الدعوة الإسلامية وتبليغ الرسالة .

ولما كانت الشهور اثني عشر شهراً كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٦) [التوبة : ٣٦] . فكل السنين في جميع التواريخ اثنا عشر شهراً وإن اختلفت في عدد الأيام .

والأشهر العربية لها علامة واضحة وهي الأهلة وأيامها ، إما تسع وعشرون يوماً أو ثلاثون يوماً . كما قال ﷺ : « الشهر هكذا وهكذا يشير بيديه مرة تسعا وعشرين ومرة ثلاثين يوماً . كما الواقع المحسوس .

فتشاور المسلمون بأي الشهور يبدؤون ، ثم اتفقوا على أن يكون شهر المحرم هو أول السنة الهجرية ؛ لأنه منصرف الناس من حجّهم ، وهو شهر حرام يأمن فيه الناس تأكيداً لحرمة ومخالفة لمن كان يُحلّه من المشركين . وعلى هذا أدرج تاريخ المسلمين .

أما هجرة النبي ﷺ وسببها :

فمن المعلوم لدى كل مسلم من واقع دراسات السيرة النبوية المقررة في المدارس الإسلامية . ما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي رواه البخاري رحمه الله : « أنه لما جاء جبريل إلى النبي ﷺ بأول الوحي فقال له : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ .

إلى المرة الثالثة . قال له جبريل ﴿﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)
 عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾﴾ [العلق: ١ - ٥] ﴿﴾ فجاء إلى زوجته
 خديجة بنت خويلد بن أسد ترجف بوادره ، فقال : زملوني ، فلما
 ذهب عنه الروح أخبرها الخبر ، فقال : وخشيت على نفسي ،
 قالت : لا والله لا يخزيك الله أبداً ، فوالله إنك لتصل الرحم
 وتصدق الكلام وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف
 وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة رضي الله عنها إلى
 ورقة بن نوفل بن أسد فقصّت عليه الخبر ، فقال : هذا هو الناموس
 الذي أنزل على موسى ، ليتني كنت فيها جذعاً ، ليتني أكون حيا
 حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أومخرجي هم ؟ قال
 ورقة : نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا أودي ، وإن يدركني
 يومك حيا أنصرك نصراً مؤزراً ، ولم يلبث ورقة أن توفي .

وكما قال ورقة بن نوفل ، لما أمر رسول الله ﷺ بتبليغ الدعوة
 وإظهارها بقوله تعالى : ﴿﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) ﴾﴾ [المدثر:
 ١ ، ٢] ﴿﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾﴾ وأخذ يدعو
 قومه ، فلم يستجب له إلا أفراد على خوف من ملائمتهم فكانوا
 يخفون إسلامهم ، فلما أيس من عشيرته ذهب إلى ثقيف فأنكروه
 وآذوه وسلطوا عليه سفهاءهم فرجموه بالحجارة . وأخذ يعرض
 نفسه على القبائل في مواسم الحج . فيقف على القبيلة فيقول يا بني
 فلان : إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً

وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من الأنداد . فهل لكم أن تؤمنوا بي
وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به ؟

فعادته قريش ورموه بالسحر والجنون ، وأتوا إلى عمه أبي
طالب وكلموه فيه ، فدعاه عمه وأخبره بخبر قريش ، فقال عليه
الصلاة والسلام : «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في
شمالتي على أن أدع هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك
دونه » . وكأنه ظن أن عمه سيتخلى عنه وعبر رسول الله ﷺ ،
فناداه عمه فقال : يا ابن أخي افعل ما شئت فوالله لا يخلص أحد
إليك . ووجد ﷺ وأصحابه من المشركين أذى ومضايقة ، فوضعوا
سلا الناقة على ظهره وهو ساجد ولم يتحرك عند القوم ساكن ولم
يجرؤ أحد على إزالة الأذى عن رسول الله ﷺ حتى جاءت فاطمة
الزهراء رضي الله عنها فأزالت الأذى عن أبيها ﷺ وأخذ المشركون
يؤذون المستضعفين من المسلمين فوثبت كل قبيلة على من أسلم منها
يعذبونهم بالضرب والحبس والجوع والعطش وتجريدتهم في
الرمضاء إذا اشتد الحر ، وبالحجارة الحامية من الشمس ، يريدون
أن يفتنوه عن دينهم . وأخذ أبو بكر رضي الله عنه يشتري الأرقاء
من المسلمين الذين كانوا يستعبدون ويخلصهم من العذاب فأعتق
قبل الهجرة ست رقاب فأنزل الله فيه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ
بِالْحَسَنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ .

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية والمنعة من الله ، ثم من عمه أبي طالب ، قال لهم : لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد . فتتابع المهاجرون إلى الحبشة . فأرسلت قريش إلى النجاشي ملك الحبشة تؤلبه على المسلمين المهاجرين إليه ، فلم يقبل منهم قولاً ولم يعط قريشاً شيئاً مما طمعت فيه .

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا فيه أمناً ومنعة عند النجاشي . وقد أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما . وجعل الإسلام ينتشر في القبائل اجتمعت قريش وائتمروا ضد بني هاشم عشيرة النبي ﷺ الأقربين وكتبوا بينهم صحيفة على ألا يناكحوهم ولا يبايعونهم ولا يتأعون منهم شيئاً . واشتدّ أذى المشركين لرسول الله ﷺ يهمزونه ويستهزؤون به ويخاصمونهم ويضعون عليه القدر ، وفي طريقه الشوك . كما قص تعالى عن أبي لهب وهو عبد العزى بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وزوجته أم جميل بنت حرب .

مثل قوله تبارك وتعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ وقوله : ﴿ وقالوا أساطير الأولين ﴾ وقوله عز وجل ﴿ ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا إني معكم من المتربصين ﴾ . وقوله : ﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً

ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴿١٠﴾ . وقوله : ﴿١١﴾ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴿١٢﴾ . وقوله : ﴿١٣﴾ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى آتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴿١٤﴾ .

ولم يؤثر ما لقيه عليه الصلاة والسلام من قومه في دعوته ولم يُثنيه عن عزمه ، فواصل دعوته ليل نهار سراً وجهراً مبادئاً بأمر الله لا يخاف فيه لومة لائم . وسعى بعض العقلاء من قريش في نقض الصحيفة ، فلما أخرجوها وجدوا دابة الأرض أكلتها إلا (باسمك اللهم) . أما كاتب الصحيفة فشلت يده .

فلما أراد الله إعزاز نبيه وإنجاز وعده له ، وأراد للإسلام عزاً وتمكيناً وبالخزرج والأوس خيراً وتآلفاً وبالمدينة عزاً ومجداً لقي ﷺ نفرًا من الخزرج في موسم الحج فسألهم فأخبروه عن شأنهم وكان بين الخزرج واليهود شقاق وكثير ما تتوعدهم اليهود بالنبي الذي قريب زمان خروجه وأنهم سيؤمنون به ويقاتلونهم معه ، فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن ، قالوا : هذا هو النبي الذي كان يهود يتوعدوننا به فلا يسبقنكم إليه ، فأجابوه وصدقوه وأسلموا ، وقالوا : سنقدم علي قومنا وندعوهم إلى أمرك وعسى الله أن يجمعهم بك ، فإن جمعهم الله إليك فلا رجل أعز منك .

فأخبروا قومهم وانتشر خبر الإسلام ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لرسول الله ﷺ . وفي العام القادم قابل

رسول الله ﷺ عدداً من الأنصار فبايعوه بيعة النساء وهي العقبة الأولى على ترك الشرك واجتناب الزنا والسرقة ولا يقتلوا أولادهم فإذا وفوا فلهم الجنة ، وبعث معهم مصعب بن عمير يقرؤهم القرآن . وفي السنة التي تليها وفد إلى رسول الله ﷺ عدد من الأنصار واجتمعوا عند العقبة وأخذ رسول الله ﷺ لنفسه وأخذ الأنصار لأنفسهم وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم ، وهي العقبة الثانية .

واشتد أذى المشركين للمستضعفين من المسلمين ، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : إن الله جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها فالحقوا بإخوانكم الأنصار فخرجوا إرسالاً ولم يؤذن لرسول الله ﷺ بالهجرة . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كثيراً ما يستأذن النبي ﷺ في الهجرة ، فيقول له : انتظر لعل الله أن يجعل لك صاحباً فطمع أن يكون هو الرسول عليه الصلاة والسلام فاشترى أبو بكر بعيرين وأعهدهما للهجرة ، فلما رأت قريش أن الرسول ﷺ صار له أنصار وصار للإسلام قوة في المدينة خافوا خروجه إليهم فيمتنع بهم ، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في حبسه أو إخراجة أو قتله وحضر معهم إبليس في صورة رجل من أهل الدهاء والحنكة ، واتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيلة شاباً جلدأ يضربون رسول الله ﷺ بالسيوف ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على قتالهم ويرضون بالدية . فجاء الخبر من السماء بما بيئت المشركون وأنزل الله على نبيه : ﴿ وَإِذْ

يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
 اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠] . وقال له جبريل : لا
 تنم في فراشك الليلة وأذن الله عز وجل له بالهجرة ، فأمر النبي
 عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب أن ينام في فراشه ويتغطى
 ببرده ، فاجتمعت عصابة الطغيان والظلم والكفر عند بابه ينتظرون
 خروجه ، ويرون علياً نائماً فيظنونونه النبي ﷺ وخرج عليه الصلاة
 من بينهم وهو يقرأ أول سورة يس إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ
 أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس] .

وأعمى الله أبصارهم عنه ، وأخذ حفنة من تراب وذرّها على
 رؤسهم وذهب حيث شاء الله ، ثم اختفى نبي الرحمة عليه الصلاة
 والسلام وصاحبه أبو بكر في غار في جبل النور ، فلحقتهما قريش
 حتى وصلوا إلى الغار فصرف الله أبصارهم عنه ، وقال أبو بكر :
 لو أن أحدهم نظر موضع قدميه لأبصرنا ، فقال نبي الله : ما ظنك
 باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا ، وأخرجت قريش مائة ناقة
 لمن يرد النبي ﷺ إليهم ، وبقي عليه الصلاة والسلام وصاحبه في
 الغار ثلاث ليال يأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخيار وأخته أسماء
 بالطعام ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر بالغنم ليشربا من ألبانها
 وليمسح أثر عبد الله وأسماء ، فلما كفّ الطلب ، أحضر عبد الله
 ابن أريقط راحلتيهما ، فأبى الرسول ﷺ أن يركب إلا بالثمن ،
 واشترى راحلته من أبي بكر ، وهاجرا إلى المدينة معهما الخادم
 والدليل ، فأخبر بهما سراقة بن مالك فطمع في المائة الناقة التي

أخرجتها قريش فلحق بهما فلما رأهما عثرت فرسه وذهبت يداها
في الأرض وسقط عنها فأصلح شأنه ولحق بهما فحال دونه إعصار
من دخان فعرف أن النبي ﷺ معصوم منه فنادى سراقة النبي ﷺ
وطلب منه منه كتاباً يكون آية بينهما فأعطاه أبو بكر كتاباً .

ولم تعلم قريش بوجهة رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من
الجن في أسواق مكة يسمع صوته ولا يرى يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلاً خيمتي أم معبد
هما نزلاً بالبر ثم تروحاً فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد
فعلموا وجهة رسول الله ﷺ . ولم يجد النبي ﷺ عند أم معبد
طعاماً ؛ لأن السنة كانت مجدبة فرأى شاة أقعدها الهزال عن الغنم
فاستأذنها في حلبها فمسح بيده المباركة ضرعها وسمى الله تعالى
ودعى فدرت واخترت فطلب إناء يكفي الرهط فحلب فيه حتى
ملأه فأسقى أم معبد وصاحبه ومن معه ، وشرب هو آخرهم عليه
الصلاة والسلام وكان الأنصار لما سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ
يخرجون كل يوم لاستقباله فإذا اشتد الحر دخلوا فقدم عليه الصلاة
والسلام وقد دخل الأنصار منازلهم في الظهيرة فرآه رجل يهودي
فصاح بالأنصار جاء جدكم فوجدوه في ظل نخلة مع أبي بكر ولم
يعرفوه حتى انقطع الظل وأخذ أبو بكر يظلمه بردائه وكان ذلك يوم
الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وأسس عليه

الصلاة والسلام مسجد قباء . وفي يوم الجمعة أمر بالرحيل إلى المدينة فكلما مرّ بحي من الأنصار طلبوا منه النزول عندهم ويأخذون بزمام ناقته فيقول : دعوها فإنها مأمورة ، وصلى الجمعة في بني سالم بن عوف من بني النجار ، وهي أول جمعة صلاها عليه الصلاة والسلام في المدينة ، فانطلقت الناقة برسول الله فبركت في مكان مسجده ، وكان يومئذ مربداً ليتيمين من بني النجار فاشتراه من وليهما وبني فيه المسجد ، عمل فيه بيده ومعه المهاجرون والأنصار ، ونزل عند أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري حتى بنى مساكنه .

ثم آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، فقال : تأخوا في الله أخوين أخوين ، فأخى كل رجل من المهاجرين أخاه من الأنصار . وكتب عليه الصلاة عهداً بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه اليهود وعاهدتهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم فلما اطمأن رسول الله بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار استحکم أمر الإسلام فقامت الصلاة وشرع الأذان وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتتابع التشريع وفرض الجهاد وتتابعت الغزوات والسرايا والفتوحات .

فبلغ رسول الله ﷺ رسالة ربه وهياً أصحابه لتحمل أمانتها وتبليغها للخلق في جميع المعمورة ثم اختاره الله إلى الرفيق

الأعلى بعد أن مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً وفي المدينة عشرة أعوام كلها دعوة وتبليغ وجد وجهاد وصبر وكفاح استمرت فيها الصلة بين الأرض والسماء وبين التصورات الصاعدة وبين الرسالة النازلة بين البشر وبين الملأ الأعلى تحولت فيها تصورات البشر وعاداتهم وعباداتهم وكون أمة في أعلى المستويات مهياً لقبض زمام القيادة وصالحة لأن تكون خير أمة أخرجت للناس أمة وسطاً شهداً على الناس في تلك الفترة القصيرة بثلاث وعشرين عاماً ما كان ذلك إلا بالرسالة التي تحيطها عناية الله وتمدها قدرة الله وترعاها عن الله وتحركها يد الله فكان دستورهم القرآن وأخلاقهم وسلوكهم هدي محمد ﷺ يستمدون نظم حياتهم من الوحي لا من الهوى وساروا على نظام السماء لا على نظام الجاهلية والغوى فقامت المعالم في الأرض واضحة جلية لا يغطيها هوى ولا ينقصها طول زمان ولا يعظمها طغيان والحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وصلّى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم
أجمعين .

عبدالله بن محمد بن زاحم

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة

بعون الله تبارك وتعالى ثم بمنه وكرمه وتوفيقه كان الفراغ من
تصحيح المجلد السادس من كتاب : خطب الجمع والأعياد القيت
على منبر خبر العباد ﷺ وذلك في المدينة النبوية المنورة في يوم
الأحد الثاني والعشرين من شهر الله المحرم من العام التاسع عشر
بعد الأربعمائة وألف من هجرة نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم
وبه تمت كتب الخطب والحمد لله رب العالمين على ماوفق ويسر
ونسأله حسن الختام لنا وللمسلمين^(١).

وكتب

عبد الله بن محمد بن زاحم

(١) صححه صلاح بن محمد كرنبه وكان الفراغ من تصحيحه النهائي يوم الأحد
الموافق الخامس عشر من شهر جمادى الأولى من العام التاسع عشر بعد الأربعمائة
والألف من هجرته صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نص كلمة فضيلة الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأمين العام لجمعية أهل الحديث بينغلاديش التي يرحب فيها بسماحة الشيخ عبد الله بن محمد الزاحم إمام المسجد النبوي ، ورئيس المحاكم الشرعية المساعد بالمدينة المنورة ^(١) بمناسبة زيارته للمدرسة المحمدية العربية بدكا ، التابعة لجمعية أهل الحديث بينغلاديش .

كلمة الترحيب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد :

فيسعدني كثيراً أن أرحب في هذه المناسبة الطيبة بضيفنا الكريم الفاضل على ما تجشم من مشاق السفر وأتاح لنا هذه الفرصة المباركة ، وأشكره شكراً جزيلاً مضاعفاً بالإخلاص والتقدير على ما تكرم به من تلبية دعوتنا الودية ، وتحقيق رغبتنا الصادقة في إطار الأخوة الإسلامية التي جاء بها نبينا محمد ﷺ ، وذلك مني ومن رئيس جمعية أهل الحديث وجميع المسؤولين ورجالها ، فأهلاً وسهلاً ومرحباً بكم !

ضيفنا الكريم :

(١) وهذه قبل أن يصبح الشيخ عبدالله رئيساً لمحاكم منطقة المدينة المنورة . ا.هـ صلاح

إن بنغلاديش أكبر دولة باعتبار عدد المسلمين بعد أندونيسيا ولكن كثيراً من الناس يتخبطون في متاهات الإلحاد والإباحية ، ويتدون إلى مهاوي الزيغ والضلال ويتعدون عن تعاليم الكتاب والسنة وينخدعون بالآراء والأقوال ، فمعظمهم يشد الرحال إلى القبور ويستعينها ويستمد من أهلها ، ويقدم إليها الهدايا والندور ، ويقيم عليها الحفلات والأعياد بمناسبة المولد والمات ، وأن سياسة الحكومة لا تتعرض بهم في عقيدتهم وعباداتهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد قيض لها رجالاً من أهل الحديث الذين بذلوا جهودهم المشكورة في الذب عن السنة النبوية وبقمع البدع والخرافات ضد المنحرفين الذين انحرفوا عن ديننا الحنيف .

ضيفنا الفاضل :

إن تاريخ أهل الحديث في شبه القارة الهندية من الناحية الدينية والثقافية تاريخ طويل مشرق ، فهم منذ أن وجدوا في هذه البقعة حافظوا على تراثهم الديني العلمي وسجلت هذه الجمعية أحسن الخدمات في صفحات التاريخ عبر القرون الماضية ، ولست أنا في هذه العجالة في مقام من يستقصي الدروس في خدمات هذه الجمعية وتاريخهم ، ولكن يجدر بي أن أذكر نبذة من أحوال الجمعية ، فإن أهل الحديث قد بدءوا دورهم في تنظيم هذه الجمعية أول مرة عام ١٩٠٦ م باسم «آل انديا أهل الحديث كانفرس» ، وبعد ذلك بذلوا جهودهم في مجال الدعوة والتعليم في أقطار الهند

ونشروا عقيدة سلفنا بمنهجهم كما قام الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب في زمانه ، ثم قام بعد ذلك بعض رجال أهل الحديث ، وذلك عام ١٩١٥ م ونظموا تنظيم أهل الحديث باسم «بنغله وآسام انجمن أهل الحديث» . فأمكن لهذا التنظيم نشر الكتب الدينية وإصدار جريدة شهرية اسمها «ماسيك أهل الحديث» كما صدر منها جريدة أسبوعية باسم «أهل الحديث» . وكل ذلك باللغة البنغالية ، وأهداف الجريدتين دفاع عن السنة النبوية وبث العقيدة الصحيحة الخالصة من شوائب البدع والخرافات ، وبعد ذلك جاء العلامة المحدث عبد الله الكافي القرشي وطلب مؤتمراً عام ١٩٤٦ م بمدينة رنغفور ، وحضر فيه كبار علماء أهل الحديث من جميع أنحاء الهند ، وأخص بالذكر المحدث الكبير الشيخ أبا القاسم البنارسي ، والشيخ إبراهيم السيالكوتي وأمثال هؤلاء . وذلك في أيام استعمار بريطانيا في القارة الهندية حتى يومنا هذا ، وبالحقيقة هذه الجمعية عبارة عن جهود هؤلاء العلماء الذين نافحوا عن الإسلام ، وألّفوا كتباً كثيرة لنشر العقيدة السلفية ، وقد كان المكتب الرئيسي للجمعية قبل استقلال الهند في كلكتا عاصمة ولاية البنغال ، ثم انتقل مكتبها بعد انقسام الهند بالباكستان إلى «فابنا» لعدم الاتصال مباشرة ، وأصدرت الجمعية مجلة شهرية باسم «ترجمان الحديث» باللغة البنغالية ، وكذلك تنشر كتباً كثيرة تخص بالعقيدة السلفية ، ثم انتقل مكتبها الرئيسي من «فابنا» إلى مدينة «داكا» عام ١٩٥٦ م

وذلك لاتساع نطاق عمل الجمعية ، وبعد انتقال مكتب الجمعية من «فابنا» إلى «داكا» بدأ العلامة الشيخ عبد الله الكافي القرشي يلعب دوراً هاماً في خدمة الإسلام والمسلمين وقضى قسطاً كبيراً من حياته في التأليف والتصنيف ، وأضاف العلامة القرشي إصدار مجلة أسبوعية باسم «عرفات» وهي لا تزال تخدم الأمة الإسلامية باللغة البنغالية مع غيرتها على العقيدة الصحيحة وذلك إلى عام ١٩٦٠م ، ثم انتقلت مسئولية هذا الأمر الجليل بعد أن توفي العلامة الشيخ عبد الله الكافي القرشي (تغمده الله بشآئيب رحمته) إلى ابن أخيه سعادة الدكتور عبد الباري ابن العلامة عبد الله الباقي ، وإلى يومنا هذا تتقدم الجمعية بإشراف الدكتور رويداً رويداً .

ضيفنا الأماثل :

إن جمعية أهل الحديث ببנגلاديش تهتم بأمور أربعة : تنظيم وتبليغ وتصنيف وتدريس :

١ - فالتنظيم : يكون بدايته من المساجد ، ثم على مستوى المنطقة ، ثم على مستوى المديرية . والرابطة وثيقة فيما بينها ، وقد أمكن للأمين العام ومساعديه جولة خاصة حول التنظيم إلى مديريات ومناطق ، فبمعظم المديریات يوجد هناك تنظيم خاص يرأس تنظيمات أخرى في مناطق مختلفة حسب اللائحة التنفيذية من قبل الجمعية .

٢- التبليغ : ولا شك أن الحاجة إلى الدعوة والإرشاد وتعريف الناس بما يتضمنه الدين الإسلامي من الخير والصلاح للبشرية وخاصة في العصر الذي طغت فيه المادية على الروحية وانتشرت الإباحية والفوضى بسبب الحضارة الغربية^(١) وأن عامة المسلمين يجهلون العقيدة الصحيحة للإسلام ، وكذلك تعاليمه الحققة . فنظراً إلى هذه الظروف قررت الجمعية اهتماماً عظيماً نحو الدعوة والتبليغ بالعلماء الأكفاء الذين يمكن لهم تعريف الناس بتعاليم الإسلام الصحيحة بطريقة ملائمة ومؤثرة في النفوس حتي يخرجوا من ظلمات البدع والأهواء إلى نور الشريعة السمحة الغراء ويتمسكوا بمبادئ التوحيد والسنة في الحياة . وهكذا علماء المدارس لأهل الحديث معظمها يقومون بأمور الدعوة والتوجيه فهم يمارسون في مسئولياتهم ووظائفهم ويرشدون الناس إلى تعاليم الدين ، والجمعية عينت عدة من الدعاة الذين يتمكنون من مواصلة العمل حسب الظروف والبيئات .

٣- التصنيف : وكذلك للجمعية شعبة خاصة حول تصنيف الكتب الدينية ، وقد تمكنت الجمعية بإصدار كتب دينية ولا تزال مستمرة بإصدارها . كما هي تهتم بترجمة كتب دينية تركها سلفنا حول العقيدة ، وللجمعية آلة مطبعية خاصة تصدر بها حوالي عشرة كتب في كل عام ، وأمامنا خطوة جادة بطبع تفسير القرآن الكريم

(١) الأولى أن يقال المدنية الغربية .

باللغة البنغالية والتي تصدرها مجلة «عرفات» في عددها، كما صدر فيها ترجمة بلوغ المرام وتفسير سورة الفاتحة للعلامة عبد الله الكافي القرشي الذي يبلغ عدد صفحاتها حوالي ١٥٠٠ صفحة، وكذلك ترجمة صحيح البخاري التي تصدرها مجلة «عرفات» وكذا تاريخ أهل الحديث، علماً بأن الجمعية سبق لها طبع كتاب «الكلمة الطيبة» و «نبوة محمدي» و «مبادئ السياسة الإسلامية» و «القوانين السياسية في الإسلام» لعلامة القريشي، ولهذه الكتب أبلغ الأثر في تصحيح العقيدة بتوحيد الألوهية وبرسالة سيدنا محمد ﷺ أنه خاتم المرسلين.

٤ - التدريس : رأت الجمعية ببصرتها النافذة ونظراتها الثاقبة أن خير وسيلة لمواجهة الظروف الجديدة، ولصد الهجمات الضاربة هو العناية بالتدريس والتوجيه حتى يمكن أعداد العلماء المضطلعين بالعلوم والمعارف اللازمة والمتمسكين بمبادئ الإسلام وعقائده الصافية ومن هنا بدأت حركة قوية لإنشاء المدارس الإسلامية في أقطار بنغلاديش على مختلف المستويات ونظمت فيها الدراسة وبما أن هذه المدارس كانت تعمل على مختلف المستويات ولم تكن فيها رابطة قوية وتنسيق تام، فلذا فكرت الجمعية مرة أخرى بإنشاء مجلس تعليمي للمدارس حتى يمكن توحيد صفوف المدارس على منهج واحد مع التعاون والتكاتف وشكلت لأجلها لجنة خاصة تدرس فيها حول إعداد المنهج الدراسي وهذه اللجنة من العلماء

المفكرين الذين لهم تجربة خاصة في حقل التعليم حتى يمكن لهم إعداد المنهج الدراسي بالمواد الدينية الأساسية من التفسير والحديث والعقيدة والتاريخ واللغة العربية ، كما يمكن لهم إعداد جيل مزود بكل ما يحتاج إليه الداعية في هذا العصر مع التمسك التام بالكتاب والسنة والاستناد إلى عقيدة السلف الصالح .

والجمعية تشعر منذ سنوات بضرورة إنشاء جامعة ممثلة في تجسيم هذه الفكرة ولكن مشكلة حصول الأراضي في المكان المناسب لم تحل إلا في الأيام الأخيرة ، فنحمد الله تعالى على أنه يسر لنا شراء أرض كبيرة تبلغ مساحتها حوالي ثمان وخمسين ألف متر مربع (أعني : أربعة عشر فدانا) على مسافة عشرين ميلاً من مدينة داكا ، على الشارع العام قرب جامعة جهانغير نغر الحكومية ، وفيها يتم بناء الكليات وقاعة المحاضرات والمكتبة العامة وإدارة البحوث العلمية والمسجد الجامع ومساكن الأساتذة ومساكن الطلاب ، والمكاتب الإدارية مع الملعب الرياضي والحديقة وغير ذلك من المشروعات .

والمدرسة التي ترونها هذه هي على مستوى الثانوية في بداية مراحلها تمهيداً للجامعة ، وقد ساعد في إنشائها رجال من المخلصين العاملين في سبيل الله من أهل داكا ، ولا تزال الجمعية تمارس نشاطها متقدمة بعون الله تعالى وتوفيقه وبمساهمة المخلصين الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا .

ونحن بإذن الله تعالى سنواصل مع إخواننا في الخارج ومع الجامعات الإسلامية في أنحاء العالم حول تعديل المجلس التعليمي للجمعية والجامعة التي نحن بوشيك افتتاحها .

وأخيراً ، لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل الوافر إلى فضيلتكم ؛ لما تبذلونه من جهود نحو الدعوة والإرشاد ونشر الثقافة الإسلامية ، من مهبط الوحي ومن جوار الحرمين الشريفين ، وما تقومون به من دوركم القيادي والإرشادي للعالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها ، وهو عمل جاد تشكرون عليه ، ونرجو الله المزيد من التوفيق والشرف لكم ولحكومتكم الرشيدة لخدمة الحرمين الشريفين ، ويجزيكم جزاء حسناً .

ومرة أخرى أكرر ترحيبي الحار وتمنياتى الطيبة والشكر الوافر .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

أخوكم

محمد عبدالرحمن حرر في ١٤٠٤/٦/٣ هـ

الأمين العام لجمعية أهل الحديث ببغلاڤيش

«مهدات»

إلى سماحة الشيخ الفاضل عبد الله بن محمد بن زاحم
الموقر . سلمه الله

يا قاضي القضاة يا شيخ الحرم	يا حاكماً بالشرع يا راعي الذمم
في طيبة تسعى لإنقاذ الأمم	وعظاً وإرشاداً بعز لم يضم
ورثت «عبد الله» ^(١) مجداً وشيم	وصرت في دار القضاء في القمم
وهكذا الإخلاص والعدل له	رايات عز وإباء وشمم
يا سائراً في درب حق بين	وللقري للضيف تسعى في كرم
كتبت في العلم وفي القضاء ^(٢) ما	يدعو إلى فخر ويشحذ الهمم
وخطب المنبر نبراس له	نور يضيء في دياجير الظلم
يا ليتني ممن يكون دائماً	مجاوراً في طيبة وفي الحرم
يدعو إلى الله بصدق راجياً	منه النجاة من مذلات النقم
ويحفظ العهد بدار المصطفى	وشاكراً لله واهب النعم

(١) هو سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وإمام وخطيب المسجد النبوي الشريف ورئيس مجلس الإشراف الديني على التدريس في المسجد النبوي الشريف .

(٢) من مؤلفاته الشيخ عبد الله : (كتاب فضل العلم والقضاء ، وكتاب قضاة المدينة المنورة من عام ٩٦٣ هـ - ١٤١٨ هـ وخطب الجمع والأعياد وهذا هو المجلد السادس الذي نقوم بتصحيحه ولله الحمد والمنة . ا . هـ . صلاح

يَهْنِكُمُوا فِي الدَّارِ وَالْإِيمَانِ مَا قَدْ كَانَ مِنْ دَعْوَةِ سَيِّدِ الْأُمَمِ
حَيَاتُنَا فِيهَا حَيَاةُ عِزَّةٍ وَأَهْلُهَا الْإِثَارُ عِنْدَهُمْ شَيْمٌ
لَأَنَّ رَبِّي فِي كِتَابٍ صَادِقٍ بِالْحُبِّ وَالْإِثَارِ جَمَعَهُمْ وَصَمٌ
وَفِي الْخَتَامِ لِلرَّسُولِ الْمُصْطَفَى صَلَاتُنَا مَعَ السَّلَامِ يُنْتَظَمُ

المدينة المنورة

حرر في ١٥/٧/١٤١٧ هـ

كتبه/صلاح بن محمد بن محمد بن إبراهيم كرنبة

الدمشقي - العربي - ثم المدني إمام مسجد الهداية والكاظم لدى
رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وبعد استقالته أيضاً

وبهذا المجلد تم الكتاب
والحمد لله رب العالمين

أحييت شرع الله

أحييت شرع الله يا بن زاحم
وغدوت رمزاً للعدالة والتقوى
ومنار إرشاد ، يشع بلاغة
فيحيله فجراً ، ترفّ به النهى
لله أنت ، ففي جبينك ومضة
مُزج الوقارُ بها ، فكانت آية
إني لأصغى والجلال يحيط بي
يهتزُّ منبر أحمد الهادي على
فيعود أدراج القرون ويرتوي
ومعالم للمجمد والعلياء ، لم
وتضوع في المحراب آيات الهدى
تندى رحاب الطهر في نفحاتها
فترفرفُ الأملاك في جنباتها
ومعارجاً قدسية لأولي التقى
لله أنت ، وأسرة قد زاحمت
كالنخلة المعطاء : أصل ثابتٌ

ورفعت صرح مآثر ، ومكارم
بجليل أعمال ، وصدق عزائم
في كل ليل مكفهرٌ ، فاحم
نشوى ، وتنهل من شذاه الفاغم
غراء ، تشرق كالصباح الباسم
للعبقرية في الأديب العالم
لفوه كالعيلم المتلاطم
نبضاته ، وحديثه المتناغم
بعبير تبيان ، وفيض ملاحم
تبرح مدى الأزمان خير معالم
متألقات بالخشوع الحالم
بصداح أبواب ، وآهة نادم
سبحات أشواق ، وسرب حمائم
تسمو بهم نحو النعيم الدائم !
بالعلم والآداب كل مزاحم
متمكن يروى بنبع ساجم

وفروعها السماء تحتضن الجنى
عرفتُ على مرّ العصورى بأنجم
فبكل كَفٍّ ، مشعلٌ ، متوهج
فإذا سَرَتْ بين الجوانح أصبحت
حتى تألق فجر (عبد الله) في
ومفجر العبرات في حرم الهدى
تُروى القلوب بفيضها فتحيلها
فاقبل مخدرة «أتتك حيّة»
عجزت عن الإفصاح وهي فصيحة
ولتبق للإسلام ، صرحاً شامخاً

كنزاً لمشتار ، وطمعة طاعم
وضاءة بين الورى وضراغم
تزري أشعته بوقع الصارم
همساتٍ مشتاق ، ولمسة راحم
افق الفخار ، فكان أعدل حاكم
ببلاغة ، تهمنى انسكاب غمائم
بعد اللظى والجذب حقل براعم
وعلى محياها مشاعر (هاشم)
لكنَّ قدرك فوق شأو الناظم
ومنار إرشاد ، لكل العالم

محمد هاشم رشيد

رئيس النادي الأدبي في المدينة المنورة

تم الكتاب

وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى

آله وصحبه والحمد لله رب العالمين ،،،

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	٥
التعريف بالمولف :	٦
الخطبة رقم (١) تفسير قوله تعالى (ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكریم) :	٢٢
الخطبة رقم (٢) الإيمان والأخوة :	٣١
الخطبة رقم (٣) موسى والخضر عليهما السلام والخضر نبی یوحى إليه :	٣٨
الخطبة رقم (٤) الحج - المقارنة بين الحاضر والماضي :	٤٦
الخطبة رقم (٥) الدعوة إلى الإسلام بالعمل والخلق الكریم :	٥٥
الخطبة رقم (٦) الأعمال الصالحة هي الوسيلة :	٦٣
الخطبة رقم (٧) الإنسان لم یخلق عبثاً :	٦٩
الخطبة رقم (٨) منطلق البشر :	٧٨
الخطبة رقم (٩) الصلاة تؤثر فی السلوك :	٨٦
الخطبة رقم (١٠) الزواج :	٩٤
الخطبة رقم (١١) كل من الجنسین موافق للآخر :	١٠١
الخطبة رقم (١٢) عناية الإسلام بالمرأة :	١٠٩
الخطبة رقم (١٣) أخذ الحذر من فتنة النساء :	١١٦
الخطبة رقم (١٤) الحدود :	١٢٣

- الخطبة رقم (١٥) خطبة عيد الأضحى : ١٣٣
- الخطبة رقم (١٦) خطبة عيد الفطر : ١٣٨
- الخطبة رقم (١٧) تذكّر الموت والبلى : ١٥٤
- الخطبة رقم (١٨) الإيمان بالقدر : ١٦٠
- الخطبة رقم (١٩) مسائل الصيام : ١٦٧
- الخطبة رقم (٢٠) الصيام : ١٧٦
- الخطبة رقم (٢١) تسبيح الله وذكره : ١٨١
- الخطبة رقم (٢٢) الحقوق في الشريعة الإسلامية : ١٨٩
- الخطبة رقم (٢٣) تفتّح السموات واستغفار الملائكة لمن في الأرض : ٢٠٠
- الخطبة رقم (٢٤) الإيمان والاستقامة : ٢٠٨
- الخطبة رقم (٢٥) القرآن ينظم حياة الناس : ٢١٥
- الخطبة رقم (٢٦) الاستسقاء : ٢٢٢
- الخطبة رقم (٢٧) إنما الحياة الدنيا لعب ولهو : ٢٢٩
- الخطبة رقم (٢٨) القيام للقادم : ٢٣٧
- الخطبة رقم (٢٩) وأما بنعمة ربك فحدث : ٢٤٤
- الخطبة رقم (٣٠) يحصل بالرفق ما لا يحصل بالعنف : ٢٥١
- الخطبة رقم (٣١) حكم المطلقة إذا مات زوجها وهي في العدة : ٢٦٠
- الخطبة رقم (٣٢) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون : ٢٦٨

- ٢٧٨ الخطبة رقم (٣٣) المحرمات في النكاح :
- الخطبة رقم (٣٤) حفظ الحقوق وضمنان المصالح في الإسلام :
- ٢٩٦ الخطبة رقم (٣٥) عناية الإسلام بالإنسان :
- ٣٠٥ الخطبة رقم (٣٦) نعمة الإسلام وخطط الاعداء لمقاومتها :
- ٣١٤ الخطبة رقم (٣٧) صلح الحديبية
- ٣٢٣ الخطبة رقم (٣٨) صلح الحديبية والفتح المبين :
- ٣٣٢ الخطبة رقم (٣٩) الإسلام وتنظيم الاسرة :
- ٣٤٠ الخطبة رقم (٤٠) غزوة أحد :
- ٣٤٧ الخطبة رقم (٤١) الكعبة بنيت للتوحيد وحاضر المسلمين :
- ٣٥٥ الخطبة رقم (٤٢) الساعة والنفخة الأولى :
- ٣٦٤ الخطبة رقم (٤٣) الحج قاعدة من قواعد الإسلام :
- ٣٧٢ الخطبة رقم (٤٤) الايمان الصادق والمنافقين :
- ٣٨١ الخطبة رقم (٤٥) القَسَمُ والايمان المشروعة :
- ٣٨٩ الخطبة رقم (٤٦) العام الهجري والخصال يتم بها العمل :
- ٣٩٧ الخطبة رقم (٤٧) حرمة الأشهر الحرم :
- ٤٠٥ الخطبة رقم (٤٨) القرآن الكريم هو كتاب الدعوة :
- ٤١٠ الخطبة رقم (٤٩) حديث جابر رضي الله وحجة النبي ﷺ :
- ٤٢١ محاضرة في المعهد العالي للدعوة (الربا والصرف :
- ٤٣٢ مشروعة الصيام :
- ٤٤٤ فضل ليلة القدر :

- ٤٥٣ تتمة في الصيام :
- ٤٥٨ حديث عن كلمة خادم الحرمين الشريفين :
- ٤٦١ العام الهجري :
- ٤٦٤ التكافل الاجتماعي :
- ٤٧٢ الحديث الأول يوم عرفة :
- ٤٨٠ الحديث الثاني عن ليلة جمع :
- ٤٨٨ الحديث الثالث أيام منى :
- ٤٩٥ الحديث الرابع تحويل القبلة :
- ٥٠١ مسجد رسول الله ﷺ :
- ٥١٢ المواطن الصالح :
- ٥٢٤ صفة تغسيل الميت :
- ٥٢٧ حديث عن الظلم :
- ٥٣١ إلى إخواني المسلمين في كل مكان :
- ٥٣٥ من أحكام سورة النور :
- ٥٤٠ حكم الزاني :
- ٥٤٥ زواج العفيفة بغير عفيف :
- ٥٥١ حكم القذف :
- ٥٥٧ الناس فريقان :
- ٥٦٣ التجارة في الإسلام :
- ٥٧٤ التفكير في ملكوت السموات والأرض :

٥٧٨

تسهيل المهور:

٥٨٤

الهجرة النبوية:

٥٩٥

خاتمة:

كلمة ترحيب بالشيخ عبدالله الزاحم ألقاها محمد عبدالرحمن الأمين

٥٩٦

العام لجمعية أهل الحديث ببغلايش عند زيارة الشيخ لها:

٦٠٤

قصيدة شعرية - صلاح محمد كرنه:

٦٠٦

(أحببت شرع الله) قصيدة شعرية - محمد هاشم رشيد؛